هدية مجلة الأزهر

سنة ١٩١٩م

ثورة الاستقلال والوحدة الوطنية

الزعامة.. والجماهير

تأليف

أ.د محمد عمارة

عضو هيئة كباء العلماء



شوال ١٤٤٠هـ - يونيه ٢٠١٩م



سنة ١٩١٩م
ثورة الاستقلال والوحدة الوطنية
الزعامة.. والجماهير

تأليف

أ.د. محمد عمارة

عضو هيئة كبار العلماء

عدد شوال ١٤٤٠ هـ



مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١م

زعيم الأمة، وقائد الثورة

(١)

الشيخ سعد زغلول باشا

ابن الأزهر الشريف

كثيرون هم الزعماء والقادة الذين أنجبتهم مصر، والذين فتح الشعب لهم أبواب العقول والقلوب غير أن سعد زغلول قد تميز وامتاز من بين هؤلاء الزعماء والقادة بأنه لم يكن زعيمًا لنخبة أو صفوة، ولا قائدًا لحزب أو طبقة، ولا فقهيًا لمذهب ولا مُنَظِّرًا «لأيديولوجية»، وإنما كان القائد المحبوب - وليس فقط المقبول - من الأمة والكافة والعامة والجمهور على اختلاف مذاهب وطبقات وديانات الكافة والجمهور، لقد فتحت له الأمة عقولها وأسكنته في قلوبها واحتضنته في ضمائرها، ورأت فيه «غزال البر» فتطلعت إلى «عين الشمس» كي تظلله في الغدوات والروحات!

وكما علَّقت عليه الأمة آمالها فلقد منحته الحب والاحترام معًا، بل وكانت تخاف عليه من كل سوء وتغار عليه من المنافسين فضلًا عن الخصوم.

لقد تنازعت انتسابه إليها وانتسابها إليه كل الطبقات والتوجهات والديانات: المسلمون والنصارى، المثقفون والعامة، المعممون والمطربشون، الطبقات «العليا» والفلاحون والعمال «الصنايعية» حتى لقد افتخر هو بانتمائه إلى «الرعاع»

فقـال وهو يخطب في العمـال : «إنني أفرح كثيرًا وأُسـر كثيرًا كلما شـعرت أن هذه الحركة (الثورة، والنهضة) ليسـت فيما يسمونه بالطبقة العالية فقط بل هي منبثة – أيضًا وعلى الأخص – في الطبقة التي سماها حسادنا : «طبقة الرعاع» ! وأفتخر بأني من الرعاع مثلكم !» فانخـرط العمال في هتاف متكرر : «ليحيا سعد زعيم الرعاع»[1] !..

ولعل سـعدًا كان الزعيـم الوحيد بين زعمـاء مصر الحديثة الذي تعلقت به الجماهير التي لا علاقة لها بالسياسة أو الحزبية فتحالفت العواطف مع الوعي على جعل الفطرة الشـعبية تتعلق به، وكأنه أسطورة من الأساطير في حياة هذه الجماهير .

لقد وُلدتُ – بالريف – بعد وفاة سـعد زغلول بأربع سـنوات ولقد وعت ذاكرتي مكانة سـعد زغلول كبطل أسطوري تحكى حولـه الكرامات وخـوارق العادات في مناخ تطغـى عليه الأمية ولا يوجـد فيـه تنظيم لحزب الوفد بل لا توجد فيه سـوى فطرة الناس البسطاء فحتى أصوات الحيوانات تهتف «بحياة سعد» ! ! وحتـى أوراق المزروعات تنبت وتتفتـح ومكتوب عليها «يحيا سـعد» ! !، وذلك فضلاً عن الأغاني الشعبية التي تعبر – بالحب لسعد زغلول – عن مكانته المتفردة في قلوب الكافة من الناس .

---

(١) محمـد إبراهيـم الجزيري: سعد زغلول: ذكريات تاريخيـة (ص٨٤) طبعة «كتاب اليوم»، القاهرة.

ولعـل هـذه الحقيقة مـن حقائق تميـز وامتياز زعامة سـعد زغلول أن تجد من الدارسين الدراسات التي تكشف عن أسبابها وأسرارها.

فهـو لم يكـن الفلاح الوحيـد الذي يقـود الأمـة، ولم يكن الأزهري الوحيد الذي تتعلق به آمال الكافة، ولم يكن السياسي الوحيد الذي يتصدى للاحتلال والاستعمار، وإنما كان المتفرد بين هذه الزعامات بالمكانة التي خصته بها الأمة من بين مواكب الزعماء والقادة الذين أنجبتهم مصر الولود.

أما هـذه الصفحات المحـدودة فإن مقاصدهـا المحددة هي الكشـف عن الأثر الإسلامي للتعليم الأزهري على هذا الزعيم، الشيخ سعد زغلول باشا ابن الأزهر الشريف.

***

لقد ولد سعد زغلول (١٢٧٣هـ/ ١٨٥٧م) في قرية «إبيانة» مركـز «فوة» محافظـة «الغربية» - «كفر الشـيخ» حاليًّا - إبَّان حكم الخديوي سعيد (١٢٣٧-١٢٧٩هـ/ ١٨٢٢-١٨٦٣م) لمصر، وكانت مصر - يومئذ - ولاية لها اسـتقلالها الذاتي في إطار الإمبراطورية العثمانية.

وكان والـده - إبراهيـم زغلول - عمدة القريـة فوهبه للعلم الديني والدراسة بالأزهر الشريف.

● فدخل سعد كُتَّاب القرية وهو في السابعة من عمره وقضى به خمس سنوات حفظ فيها القرآن الكريم.

● وفي سنة (١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م) عُيِّن أخوه الأكبر «الشناوي أفندي» رئيسًا لمجلس مركز «دسوق» المجاور لمركز «فوة» فاصطحب الشناوي أفندي معه أخاه سعدًا، وألحقه «بالجامع الدسوقي» - التابع للأزهر الشريف - فبدأ فيه تجويد القرآن الكريم، وأذكر أننا ونحن طلاب «بمعهد دسوق الديني الابتدائي» بين سنة (١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م) وسنة (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م) أننا كنا نمرُّ على منزل ظهرت عليه آثار القدم قالوا لنا: إنه المنزل الذي كان يسكن فيه سعد زغلول عندما بدأ رحلته الدراسية في الأزهر الشريف بمدينة «دسوق».

● وفي سنة (١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م) انتقل سعد زغلول من الدراسة «بالجامع الدسوقي» إلى الدراسة بالجامع الأزهر بالقاهرة، وبدأ تلقي دروس الفقه - على مذهب الإمام الشافعي - في «زاوية العدوي» بالقرب من الجامع الأزهر، ثم انتقل إلى الدراسة في ذات الجامع الأزهر.

وكان الطالب - في ذلك التاريخ - هو الذي يختار شيخه والحلقة التي يتلقى فيها دروسه ويختار أيضًا العلوم والكتب التي يريد مواصلة دراستها والتخصص فيها.

● وفي ذلك التاريخ كان جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤-١٣١٤هـ / ١٨٣٨-١٨٩٧م) قد استقر به المقام في مصر، وانتظمت دروس علمه وتجديده وثوريَّته في منزله - قريبًا من الجامع الأزهر - وكان الشيخ محمد عبده (١٢٦٦-١٣٢٣هـ / ١٨٤٩-١٩٠٥م) الطالب الأزهري الذي يكبر سعد زغلول

بعشـــر سنوات قد أصبح أنجب تلاميذ جمال الدين الأفغاني حتى كان - قبـل تخرجه من الأزهر - يعقد حلقة درس بالجامع الأزهر يعيـد فيها على الطلاب ما سـمعه من أسـتاذه الأفغاني من علوم وفنون كانت غريبة عن المناهج الأزهرية في ذلك الحين، فتتلمذ عليه في هذه الحلقة الطالب سعد زغلول وقادته هذه التلمذة إلى دروس موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام جمال الدين الأفغاني.

وكمـا كان محمد عبده أنجب تلاميـذ الأفغاني وأقربهم إلى قلبه أصبح سعد زغلول أنجب تلاميذ محمد عبده، بل لقد صار محمد عبده بالنسبة له أبًا وشيخًا ورائدًا ومربيًا.

● وعلـى يـدي جمـال الدين الأفغانـي ومحمد عبـده أصبح «الشـيخ سـعد زغلول» طالـب الأزهر واحدًا مـن دعاة الإصلاح وواحدًا مـن الذين تعلموا فن الكتابة وصناعة الإنشـاء وتحرير المقالات، وبتشجيع من الأفغاني نشرت له صحيفة (التجارة) التي كانت إحدى الصحف التي أصدرها الأفغاني «بالإسكندرية» ورأس تحريرها «أديب إسحاق» (١٢٧٢-١٣٠٢هـ/ ١٨٥٦-١٨٨٥م) وسـليم نقاش (١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م) نشرت للشيخ سـعد مقالاً عن «الحرية» علَّق عليه أسـتاذه الأفغاني فقال: «إنه مما يدل على أن الحرية ناشـئة في مصـر أن يجيد الكتابة عنها هذا الناشـئ» - سـعد زغلول - فكانت الحرية هي الباب الذي ولج منه الشيخ سعد إلى عالم الإصلاح والإبداع!

● ولأن هـذا الحـزب الإصلاحـي كان يعـوِّل فـي الدعـوة الإصلاحيـة على تجديد مناهج المؤسسـة العلميـة الأم الأزهر

الشريف كطريق لإصلاح وتجديد دنيا المسلمين، كتب الطالب الشيخ سعد زغلول «منشورًا» يدعو فيه إلي إصلاح الأزهر الشريف، ونسخ منه سبع نسخ وعلَّقها - ليلًا - على أعمدة الجامع الأزهر ليقرأها الطلاب في الصباح!

● ومع التحرير في الصحف والانخراط في الدعوة إلى الإصلاح: التعليمي والفكري والوطني توجه الطالب الشيخ سعد زغلول إلى حقل التأليف فكانت باكورة تآليفه كتابًا في (فقه الشافعية)، ولقد طبع هذا الكتاب ونفدت طبعته الأولى، وكان الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي (١٢٩٨-١٣٦٤هـ/ ١٨٨١-١٩٤٥م) يحتفظ في مكتبته بنسخة منه، وذات يوم كان لطفي السيد باشا (١٢٨٨-١٣٨٢هـ/ ١٨٧٠-١٩٦٣م) يزور الشيخ المراغي بداره في «حلوان»، وجرى الحديث بينهما في العلم والفلسفة والزعماء فقال لطفي السيد:

- إن بين الزعماء السياسيين نوابغ لو تفرغوا بعض الوقت للتأليف والإنتاج لأفادوا فائدة عظيمة.

وهنا ابتسم الشيخ المراغي وقال له:

- هل تعلم أن المرحوم سعد زغلول باشا ألَّف كتابًا في الفقه؟

فشغف لطفي السيد للاطلاع على هذا الكتاب فقام الشيخ المراغي إلى مكتبته وأحضر الكتاب فتناوله لطفي السيد في نهم وقلّب صفحاته وهو يقول:

- عجيبة !

وأزاح لطفي السيد غلاف الكتاب وقرأ اسمه وقد كتب ناشر الكتاب تحت عنوانه ما يلي :

«ألَّفه الفقير إلى الله تعالى الشيخ سعد زغلول الشافعي المذهب من طلاب الأزهر الشريف»[٢] .

● وبينما كان الشيخ سعد زغلول في عام التخرج من الأزهر الشريف وقبل أداء امتحان العالمية تولّى شيخه محمد عبده رئاسة تحرير صحيفة «الوقائع المصرية» فترك الشيخ سعد الأزهر ، وأصبح محررًا في «الوقائع» منذ (٥ أكتوبر سنة ١٨٨٠م) وفيها تجلَّت مواهبه في الكتابة والتحرير ، ولقد استمر فيها شيخًا معممًا إلى (٣ مايو سنة ١٨٨٢م) حين عُيِّن - أيام وزارة محمود سامي البارودي باشا (١٢٥٥-١٣٢٢هـ/ ١٨٣٩-١٩٠٤م) - معاونًا بنظارة الداخلية فأصبح الشيخ سعد «سعد أفندي» منذ ذلك التاريخ ، وإن ظل في نظر ولغة جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده «الشيخ سعد» دائمًا وأبدًا .

● وفي (٦ سبتمبر سنة ١٨٨٢م) - إبَّان المقاومة الوطنية للغزو الإنجليزي لمصر - انتقل سعد زغلول إلى وظيفة «باش معاون» ، وتولى نظارة قلم القضايا بمديرية الجيزة ، وظل الموقع الأول والوظيفة الأساسية «للشيخ سعد زغلول» هي وظيفة المريد والتلميذ لوالده وشيخه ومربِّيه الأستاذ الإمام

---

(٢) محمد عبدالمنعم خفاجي: الأزهر في ألف عام (٢/٨، ٩) طبعة القاهرة سنة (١٣٧٤هـ).

الشــيخ محمد عبده؛ فانخرط معه في الثورة العرابية والمقاومة للغــزو الإنجليــزي، ونادى «بالجهــاد الديني» ضــد الإنجليز، ولعــب دورًا في نقل الرســائل بين محمد عبــده وقيادة الثورة - بالقاهرة - وبين زعيم الثورة وقائد الجهادية أحمد عرابي باشــا (١٢٥٧-١٣٢٩هـ/ ١٨٤١-١٩١١م) في جبهة القتال.

● وبعد هزيمة الثورة العرابية في (١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢م) نال سعد زغلول ما نال الثوار، ففصل من وظيفته في (٢ أكتوبر ســنة ١٨٨٢م) وصدر بحقه قرار «الحرمان المدني» فاتجه إلى العمل الحرِّ، واشــتغل بالمحاماة وافتتح «مكتبًا للدعاوى»، ثم قبض عليه في (٢٠ يونيه سنة ١٨٨٣م) بتهمة عضوية جمعية ســرية معادية ومقاوِمة للاحتلال الإنجليزي - اســمها «جمعية الانتقام» - وقضى في الســجن ثلاثة أشهر حتى برَّأته المحكمة لعــدم ثبوت أدلــة الاتهام، ولقــد أحرجت هذه البراءة ســلطات الاحتلال فعدلت عن قرار نفيه إلى السودان - كما نفت أستاذه وشيخه محمد عبده من البلاد.

● وعندما فك الإنجليز سراح جمال الدين الأفغاني في منفاه بالهنــد - عقب هزيمة الثورة العرابية - فغادر الهند إلى أوروبا، وكتــب أثنــاء عبوره «قنــاة الســويس» - من ميناء «بورســعيد» أو «بــورت ســعيد» - كتب رســالة إلى محمد عبــده - في منفاه ببيروت - بتاريخ (٢٣ ســبتمبر سنة ١٨٨٣م/ ٢٢ ذي القعدة سنة ١٣٠٠هـ) طالبًا منه اللحاق به في باريس، وفي هذه الرسالة

أثنى الأفغاني على سعد زغلول، فقال: «وأثني على الشابين الأديبين: السيد إبراهيم اللقاني والشيخ سعد زغلول»[٣].

وطوال سنوات وجود محمد عبده بالمنفى كانت الصلات والمراسلات قائمة ودائمة بينه وبين الشيخ سعد زغلول، وتشهد هذه المراسلات على مكانة سعد من الأستاذ الإمام، وهي مكانة الابن والتلميذ والمريد والساعد الأيمن والمؤتمن على الأسرار الذي يعهد إليه محمد عبده بالخاصِّ والعامِّ من المهام والشئون.

وإذا شئنا نماذج من الرسائل الجوابية التي كتبها سعد إلى أستاذه - وهو ببيروت - والتي تكشف عن مستوى هذه العلاقة، فهذه ثلاث رسائل يبدأ الشيخ سعد واحدة منها مخاطبًا شيخه محمد عبده بعبارة: «مولاي الأفضل ووالدي الأكمل» ويصف نفسه فيهما بأنه: «خريج حِكَم الأستاذ الإمام والناشئ في نعمه، وصنيع آدابه، والمحفوف بعنايته، والمشمول بعين رعايته».

● ولقد كانت الرسالة الأولى جوابًا على أول رسالة كتبها محمد عبده من منفاه في بيروت، ونصها:

«من مصر ٢٤ ربيع الآخر سنة «١٣٠٠هـ»[٤] إلى بيروت.

مولاي الأفضل ووالدي الأكمل أحسن الله معاده.

(٣) الشيخ محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام (٢٨٢/١)، طبعة القاهرة سنة (١٩٣١م).

(٤) مارس سنة (١٨٨٣م).

بعد تقبيل الأيدي الكريمة : قد ورد الكتاب الكريم على طول تشـوُّقنا إليه فتلوناه ووعيناه في الفؤاد ، وحمدنا الله تعالى على أن شـرفتم تلك الديار سـالمين ، مبالغًا في إكرامكم والاحتفال بكم من كـرام أعيانها المسـلمين وأماجد نبهائهـا المؤمنين ، جزاهم الله عن كل مصري يعرف مقداركم خير الجزاء .

ولهم منا معشـر أتباعكم ومريديكم بما تقبلوك به من كريم الاحتفال وعظيم الإجلال ألسـنة مرطبـة بالثناء عليهم وضمائر مطويّة على مزيد احترامهم وفائق تعظيمهم .

صحتـي البدنية معتدلة ، أما فكري فقد تولاه الضعف من يوم أن صـدع الفـؤاد بالبعـاد ، وتمثلت فيه بعد تلـك الحقائق التي كانت تجلو مطالعها معـان نعرفها أوهامًا يضيق بها الصدر ولا ينطلق بردها اللسـان مخافة فوات مرغوب أو لحاق مكروه مما تعلمون .

توجهت إلـى البيك صاحب تاريخ العرب[٥] وسـألته إعارته فأجاب بأن «محمود سـامي»[٦] أخذه منه وسافر ولم يرده إليه ، ثم هو يسـلم عليكم أطيب السـلام ويقول : إنه مسـتعد لخدمة جنابكم في أي شـيء تريدون حسِّـيًّا كان أو معنويًّا ، وسأتحرى هذا الكتاب في كتب سامي عند بيعها فإذا وجدته فيها اشتريته

(٥) الإشارة إلى كتاب: تاريخ العـرب وآدابهم، تأليف «إدورد فنديك» و«فيلبيدس بك قسطنطين».

(٦) الإشـارة إلى محمود سامي البارودي باشا الـذي نفاه الإنجليز – هو الآخر – من مصر ضمن زعماء الثورة العرابية.

وأرسلته في الحال إلى حضرتكم، أو أحضرته معي إن وافق ذلك استجماعي لوسائل السفر.

الحال العمومية على ما تركتها، غير أن الناس أخذوا في نسيان ما فات من الحوادث وأهوالها، وقلَّت قالتهم فيها، وخفَّت شماتة الشامتين منهم، وأصبح المادحون للإنجليز من القادحين فيهم، وبالعكس، والكثير يتوقع انقلابًا أصليًّا والله أعلم بما يكون.

رفعت تحيتكم لجميع من ذكرتم في الكتاب تصريحًا وتلويحًا فتقبلوها بمزيد المسرة والانشراح، يسلم على جنابكم الصادق في صداقته ومودته حسين أفندي، وهو في غاية من الصحة والعافية وقد عاد من الريف فرارًا من شروره آسفًا على ما وقع لجنابكم أكثر من أسفه على نفسه، الشيخ محمد خليل والشيخ عامر إسماعيل والشيخ حمادة الخولي والسيد عثمان شعيب والشيخ حسن الطويل ووالدي عبدالله وأخواي شناوي وفتح الله[٧] وكثير غيرهم يقبلون يديكم ويسلمون عليكم ويقدمون مزيد تشكرهم لحضرات أولئك الكرام الأماجد الذين أحسنوا وفادتكم وأكرموا مثواكم زادهم الله كرمًا وكمالاً.

مولاي: ذكرت لحضرتك أن الضعف ألمَّ بفكري فبالله إلا ما قويته بتواصل المراسلة غير تارك فيها ما عودتنا على سماعه من النصائح والحِكَم التي نهتدي بها إلى سواء السبيل، ونتمكن

(٧) فتح الله.. هو فتحي زغلول.

بها من السير في العالم المصري الذي اختبرت حقائقه وعرفت خلائقه، وما يناسبها من ضروب المعاملة، وفقنا الله لمتابعتك ولا أطال على بلادك مدة غيبتك، إنك إمامها -وإن اقتدت بغيرك-، ومحبها الصادق -وإن لم تُعرِّف بقدرك- والسلام».

ولدكم سعد زعلول

● أما الرسالة الثانية- وهي جوابية على رسالة من الأستاذ الإمام إلى الشيخ سعد - فتاريخها ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٠٠هـ[٨] ونصها:

«مولاي الأفضل، ووالدي الأكمل، أحسن الله مآبه.

أكتب إلى السيد الأستاذ بعد تقبيل يده الشريفة عن شكر مزيد لمكارمه التي لم يمنع منٍ تواترها على صنائعه تباعد الديار، ولا تنائي البلدان، معترفًا بالعجز عن وفاء واجب الحمد، مع الاعتقاد بأن هذا لا يثنيه عن المَكْرُمات يوليها، والمبرَّات يسديها، فما يَفْعَل الخير التماس الثناء، ولا يُصْدِر البر ابتغاء الجزاء، إنما يُحسِنُ محبة في الإِحسان، ويَبَرُّ شفقة بالإِنسان.

تفضل أدام الله فضله على خريج حِكَمه، الناشئ في نعمه، بكتاب هو المحكم آياته، المعجز دلالته، الشافي لما في الصدور، الكاشف لحقائق الأمور، الهادي إلى سبيل الرشد وإلى صراط مستقيم، فسُرَّ لمرآه سرور العليل بالشفاء وافاه، وتلاه متدبرًا دقيق معناه، مكررًا رقيق مبناه، فازداد إيمانًا بفضل

(٨) (الموافق ١٧ مارس سنة ١٨٨٣م).

مولاه، ويقينًا بحكمة من أوحاه، وشكر الله على صحة من أهداه، دامت نامية وارفة الظلال.

وتكرم أبقى الله كرمه ببيان بعض أسماء الكملة الكرام الذين دارسوه فصولاً من المروءة، وأبوابًا من النجدة، وما لهم من كمال الفضل، وما فيهم من تمام العقل، فرسمنا أسماءهم على صفحات القلوب، وحفظنا أمثلة فضائلهم في الصدور، وتشوقنا لأن تتشرف أبصارنا برؤياهم، كما تحلت بصائرنا بمعرفة أعلامهم ومزاياهم، وما يحتاج في إقناع النفوس بضعف تلك الحجة، وإن كانت تمكنت في الأذهان إلى قوة البيان، فمعرفتهم بمقام فضله، ومقدار حكمته ونبله كافية بذاتها في الدلالة على نزاهة نفوسهم، وطهارة قلوبهم، وغزارة فضلهم، وسمو عقولهم، ورجاحة هممهم، وسجاحة[٩] شيمهم، وفي توجيه ما ثبت من الفساد في أخلاق غيرهم، إلى أسباب أخرى نود أن يبينها الأستاذ الجليل في كتاب مخصوص إذا وجد من الوقت مساعدًا، إنما نحتاج إلى قوة البيان في هذا الموضوع لنتبين كيف يكون تدارس المروءة بين الأفاضل، وتداول النجدة بين الكرام الأماثل، فما رأيناك[١٠] من قبل لدينا إلا فاضلًا كريمًا يدرس الفضائل بين من لا يعرفون للفضل مقدارًا، ولا يفقهون للكرامة اعتبارًا.

---

(٩) سجاحة: سجح يسجح سجحًا وسجاحة: سهل وطال في اعتدال. (المجلة).

(١٠) في الأصل: رأيتنا.

ولقد زادني ميلًا في السفر، وبغضًا في الحضر ما جاء في وصف أولئك الأماجد ذوي النفوس الزكية، والمحامد العلية، وما تلاه من بيان حقيقة الأمم، ساقطي الهمم، سافلي القيم، جاهلي مقادير النعم، غير أني عدلت عن داعية هذا الميل امتثالًا للأمر، وفي النفس حسرات لا يقاومها صبر، وبها إلى السفر أشواق لا يتناولها حصر.

وأحسن خلد الله إحسانه على صنيع آدابه، اليتيم في أترابه، بحكم من مثل التي تعودها غذاء للعقل، ونورًا للفكر، فتلقاها بقلب شاكر، وتقبلها بفؤاد حامد، وحفظها في الوجدان، راجيًا من الله التوفيق إلى الأخذ بمعانيها، والهداية إلى اتباع ما فيها، آملًا من مكارم موليها، دوام تواليها.

أسفت، بل خجلت مما بلغ المقام الشريف عن الشيخ عبد الكريم [11] الفاضل ثابتًا صدقه بشهادة من سئلوا من الصادقين، ولولا التحقق من سعة بال الأستاذ الكريم، ومن وثوقه بي فيما أرويه لكان الأسف مضاعفًا.

إني - كما تعلمون- كثير الاجتماع بهذا الشيخ، وما سمعت منه ما يقصد به من مقامكم الكريم، ولم يتكلم أمامي يوم أن بلغه خبر الاعتراف باليمين المعروف إلا بما معناه الأسف والإشفاق من عاقبة هذا الاعتراف، فلعل ما بلغ المسامع الشريفة من هذا

(11) الحديث عن الشيخ عبدالكريم سلمان، زميل سعد زغلول في الأزهر وفي التتلمذ على يدي الأستاذ الإمام.. وما نسب إليه في أعقاب هزيمة الثورة العرابية، ومحاولات التنصل من المشاركة في أحداثها.

القبيل، والسامعون لشدة حرقتهم وبلوغ الأسف من فؤادهم مبلغه، انصرف خاطرهم عن رعاية مقام القول فتوجه ذهنهم إلى مفهوم الكلام الحقيقي، وطبقوا المقام على ما فهموه، ولهم العذر، فهم لم يتعودوا سماع كلام مثل هذا في جانب حضرتكم ولو مرادًا به غير حقيقة معناه، ولم يألفوا تأويل العبارات وصرفها عن ظواهرها، ولم يعرفوا عادة ذلك الشيخ في كيفية تأدية مراده، والعبارة- في حد ذاتها- يصعب تأويلها إلى غير المتبادر للأفهام منها كل الصعوبة على من لم يكن أزهريًا متعودًا من الشيخ سماع أفظع منها مفهومًا وأشنع تركيبًا.

وكيف يتأتى له إرادة الظاهر مع علمه بكون ذلك لا يصدر إلا عن لؤم طبيعة وخراب ذمة وسفاهة عقل؟ أنسي ما أوليته من كرائم النعم وجلائل الأمم التي لا يزال متمتعًا بها متفيئًا ظلالها، وأنك المؤرق أسفًا، المحترق حزنًا، المشفق عليه يوم وجدت اسمه مكتوبًا في تقارير اللئام، حتى شغلك همه عن همك، وسعيت- وأنت مسجون- في تنجيته من التهمة بواسطة المحامين؟!

ما نسي كل هذا وما قدم العهد عليه حتى ينقض ولاءك، ويبتكر هجاءك، ويمس مقامك، في بيت آواه، ومنزل طالما رتع في بحبوحة نعماه.

فهذه العبارة- إن صح النقل- لا يمكن أن يكون المراد بها شيء وراء إعلان الأسف والإشفاق، أما كونه لم يرسل خطابًا؛ فمولاي يرى أنه من الأدلة الصادقة على كون ذلك الشيخ الفاضل صادقًا في ولائه، حريصًا على دوام تذكر أوليائه، إذ

لم يَدْعُه إلــى ذلك إلا تمام رغبته في المحافظة على النعمة التي غرســتم أصولها، وأنميتم فروعهــا، ليكون على الدوام متذكرًا لحقيقة مبدئها، متصورًّا صورة منشئها.

أما كتاب الشــيخ محمد خليل[١٢]، فقد علمت ما في إرسال صورته من حســن التعليل وكمــال التلطف في التأديب، على ما جــرت به عادتكم الشــريفة، وقــد طالعت هذه الصــورة فرأيت أنها من أقوى الأدلة على شــدة ميل صاحب الأصل إلى الصدق، ورغبتــه عن التمويه، حيث أوضح حالــه صادرًا في الإيضاح عن الحق برهانًا على شــدة إخلاصه بإثبــات العبارة التي نفيتها بين يدي حضرتكم في الدائرة.

فــإن إثباتها لا يصــدر إلا عن تمام إخلاص لا يشــوبه تمويه، ومن هنا يتبين لحضرتكم سلامة نيته، وحسن طويته.

أما عنوان الجواب فما أداه إلى نسجه على ذلك الأسلوب إلا اعتماده على معرفتكم بكونه من الصادقين المعظمين لجنابكم الكريــم، وعلــى كل حال فنحن لا نســتغني عــن كريم عفوك، وجميل صفحك، فإن لم تعف عنا وتصفح كنا من الخاسرين.

إن ظنكم فيما رأيتموه في جريدة البرهان هو الموافق للصواب، ويحــق لحضرتكم الســرور بما نال ولدكــم[١٣]، فهو المتربي في

---

(١٢) من تلاميذ الأستاذ الإمام- وزملاء سعد زغلول - والحديث عن موقفه من أحداث الثورة العرابية بعد هزيمتهــا، والكتاب الذي أرسله إلى الحكومة عن موقفه من أحداث الثورة.

(١٣) الإشارة إلى سعد زغلول نفسه.

نعمتكـم، المغتـرف من بحار حكمتكـم، المحفـوف بعنايتكم، المشـمول بعين رعايتكم، البالغ ما بلـغ ويبلغ من مراتب الكمال بحسن توجهاتكم، وكريم تعطفاتكم، أدام الله لكل خير مبدأ.

رفعت تحيتكم إلى حضرات من ذكرتم أسماءهم وأشرتم إليهم فتقبلوها بالاحترام، وهم جميعًا يُقبِّلون يديكم، ويسلمون عليكم، وأخص بالذكر منهم منبع الصفا، ومصدر الوفا، الذاكر لفضائلكم فـي كل حين، والدي حسـين أفندي، وحضـرة ولدكم الصادق في متابعتكـم الشـيخ عامـر إسـماعيل الذي امتـن غايـة الامتنان بما اختصصتمـوه به في كتابكم الشـريف، وحضرة الشـيخ سـليمان العبد، والسـيد أميـن أفندي، ونحن جميعًا نرفع أحسـن التحيات وأزكاها لحضرات الكرام الذين تشرفنا بمعرفة أسمائهم من الذين دارسـوكم فصول الكرامات، ونقدم لهم واجبات الاحترام، أدامهم الله مثـالًا للفضـل وعنوانًا للكمال، ونسـلِّم على حضـرات أخينا الفاضـل إبراهيم أفنـدي اللقاني، وإبراهيم أفنـدي جاد، ونجلكم الكريم، وجميع من بمعيتكم حفظهم الله.

أحوالنـا العموميـة أنتم أعلم بهـا منا فلا حاجة إلـى بيانها، نرجـو تفصيل أحوالكم وما تشـتغلون به من قـراءة وتأليف إذا حسن لديكم ذلك.

كُتُب سـامي لم تشـهر إلى الآن فـي المزاد ولا زلـت مراقبًا لإشهاره.

حضـرة البك صاحـب الكتاب توجه قبـل ورود كتابكم إلى البلـد، ولم يحضر إلـى الآن، وعند العلم بحضـوره أتوجه إليه وأرفع لحضرته مزيد تشكراتكم، دامت معاليكم.

أفندم (٨ج) سنة (١٣٠٠) صنيعكم- سعد زغلول.

أرجو عدم انقطاع المراسلات، وأتمنى أن لا أحرم كل أسبوع من كتاب تطمينًا للخاطـر وترويحًا للفؤاد، ولمولاي في إجابة هذا الرجاء النظر العالي».

(سعد)

●●●

● أمـا هذه الرسـالة الثالثة- والتي أجاب بها سـعد زغلول على رسـالتين للأسـتاذ الإمام، أرسـلتا في شـهر واحد، وفي أسـبوعين متواليـين فإنهـا ذات دلالـة خاصة فـي موضوعنا- تأثير الدراسـة الأزهرية الشـرعية على الشـيخ سـعد زغلول- فعلاوة على شهادة هذه الرسـالة على قيام سعد زغلول بواجبات الابن البار من والده- من مثل إرسـال «الفرش» واللوازم المنزليـة من القاهرة إلى بيروت عبر ميناء الإسـكندرية- وحديثها عن اشتغاله بالمحاماة، وتحسن حالتـه المالية فـإن فيها سـطورًا كثيرة يتحدث فيها سـعد زغلول عـن عقائد إسـلامية يدور حولهـا الجدل في علم الـكلام، وتصدر حولها الكتب، ويناقشـها أهل السـنة والجماعة، مـن مثل عقيدة «خلـق القـدرة»، ولعلها عقيـدة المعتزلة في خلق الإنسـان لقدرته واسـتطاعته وأفعالـه الاختيارية، وسـعد زغلول يحكـي- في هذه الرسـالة- ما دار بمصر يومئذ من جدل حول هذه العقيدة، ويطلب

من أســتاذه محمد عبده أن يكتب في هذا الموضوع شــرحًا كالذي سبق وكتبه على «شرح الدواني للعقائد العضدية» [١٤].

وفــي هذه الرســالة يتكلم ســعد زغلول بأســلوب البلغاء من الفلاســفة والمتكلمين، كما أن فيها حديثًا عن مقالات نشرها جمــال الدين الأفغاني عن حال مصر والأمة، وواجبات المرحلة لمواجهــة هذا الذي حــدث لمصر بعد الاحتلال، وفي الرســالة إشــارة إلى تفرغ محمــد عبده- فــي منفاه- لمناجــزة الأعداء، ودعاء حزبه له بالفوز والنصر عليهم، ونص هذه الرسالة هو:

«حضرة الأستاذ الفاضل والمولى الكامل.

وبعــد تقبيل اليــد الكريمة، فقد ورد علينــا كتابكم المؤرخ (١١ج) والمــؤرخ (١٨ج) [١٥]، وســررت غايــة الســرور بما أحســنتم علينا بــه من إهداء الصورة التــي حفظناها في العيون، وجعلنــا بروازهــا من القــوة الحافظة لتكون علــى الدوام نصب الخاطــر، ولا بــدع فهي مثال الكمــال، ومرآة الجــلال، وراموز الوقار، وعنوان الاعتبار.

ذكــرت أنك تفرغــت لمناجزة الأعــداء، فدعونــا الله تعالى لجنابك بالفوز العظيم، والنصر المبين، وســألنا منه عناية تلزم أعمالك، ورعاية ترافق آمالك.

---

(١٤) لقد حققنا نسبة التعليقات على شرح الدواني للعقائد العضدية إلى جمال الدين الأفغــاني، الذي أملاها، وكان محمد عبــده هو المدون لهذه الأمالي- ولم يكن قد تخرج بعد من الأزهر- انظر تقديمنا للأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، طبعة بيروت، سنة (١٩٧٩م)، (١٥٥- ١٦٦).

(١٥) جمادى الأولى سنة (١٣٠٠هـ) الموافق (٢٠، ٢٧ مارس سنة ١٨٨٣م).

اطلعنا على مقالة السيد [١٦] في جريدة البصير [١٧]، فعلمنا أنها لم تصدر إلا عنه [١٨]، وقد كان لها الوقع الجميل في نفوس المصريين على اختلاف طبقاتهم، وقد رأينا له مقالة أخرى هذه المرة في تلك الجريدة عنوانها (مضار الشقاق ومنافع الوفاق)، نسجها على منواله المعهود، وبين فيها أسباب سقوط الأمم وموجبات ارتفاعها، ووعد في آخرها بنشر رسالة تتضمن إيضاح ما يوجب رفعة الأمة بعد سقوطها، ومن الغريب أن آراءه فيما يختص بلادنا تصادف منازل الاستحسان عند أولياء الإنكليز الأقدمين، ويصوبونها في كل محفل حضروه، مع كونها سهامًا مفوقة[١٩] إليهم، ولكنهم لا يعقلون.

(خلق القدرة) مرت أيام على القائلين به، رأوا فيها من الأحوال ما زلزل اعتقادهم، وألحق بوجوههم غبرة ترهقها قترة، وأولى عقولهم سباتًا تليه حيرة، وصيرهم يوالون من كانوا عنهم يولون، خصوصًا في الأوقات التي قدم فيها من كانا غائبين، ففيها كثرت قالة الناس في هذه العقيدة، وسقطت درجة اعتبارها عند من كانوا يعظمون شأنها ويتباهون بكونهم في متابعتها من المخلصين، بل جاهر الكثير منهم بتسوئتها،

---

(١٦) هو جمال الدين الأفغاني.. وكان لقب «السيد» المفصح عن نسبته لآل البيت هو أشهر ألقابه على الإطلاق.

(١٧) صدرت في لندن سنة (١٨٨١م)، ورأس تحريرها خليل غانم.

(١٨) كان الأفغاني لا يوقع مقالاته في الصحف باسمه، وإنما باسم مستعار.

(١٩) مُفَوَّقَة: موجهة. (المجلة).

وتزييفها، ولو كانت هذه العقيدة ذات عقل أو إحساس لما رضيت بالإقامة في مركزها من قلوب بعض معزلاً [20] الذين لا يقدرونها حق قدرها، ولكنها تقوت من بضعة أيام، وتهافت الناس على أبواب كنهها، ولا يصل إلى إدراكها إلا القليل، وربما أُلهم الوصول إليها وإدراكها من بين (النظار) إليها المتشوفين إلى التيمن باعتقادها من لا يحسب له الناظر حسابًا، وزادها مهابة وقبولاً عند الأفهام اطلاعهم على كتاب من الكتب المؤلفة حديثًا في عقائد أهل السنة والجماعة يسمى النظام، فإن ظواهر عباراته وأنفياته [21] وإطلاقه وتقييداته كشفت للعقول أن لهذه العقيدة نفوذًا مبسوطًا في مملكة الحق، وأن مكانها من الثبوت رفيعًا.

وأظن حضرتكم اطلعت أو تطلع على هذا الكتاب، ولا تتأخرون عن تعليق شرح عليه يكشف نقاب معانيه، ويحل رموز مبانيه، فلحضرتكم شغف شديد بشرح كتب التوحيد وتوضيح مبهماتها، ونود أن يكون على أسلوب الحاشية التي علقتموها على العقائد العضدية في (اتخاذ أقرب الطرق) إلى حل الرموز وتوضيح المقصود.

أظن الفرش وصل لحضرتكم، فقد وردت إفادة إرساله منذ أسبوع.

---

(٢٠) هكذا بالأصل.

(٢١) هكذا بالأصل.

طلبتم أن نوضح لحضرتكم كل ما ينفق على ما تطلبونه من المصاريف، ليكون لكم الحرية التامة في الطلب، وإني مع جرح خاطري من هذا التعليل أقول: إن الكتب لم ينفق عليها إلا أربعة وعشرون قرشًا، والفرش لا أعرف ما أنفق عليه، فإن الشيخ أحمد الليثي غائب، وهو الذي تولى إرساله من محطة مصر إلى إسكندرية، والذي أرسله منها إلى بيروت هو قريب حضرة الوالد حسين أفندي وافي، هذه النفقات بالله أرجو من مكارم حضرتكم أن تعافونا من هذا البيان، وكل ما ترغبون إرساله مُرونا به ونحن نقوم بإِرساله، ونفقاته نقيدها في دفتر مخصوص، وفي أي وقت نحاسبكم على مقتضاه، والحمد لله عندنا فلوس كثيرة لا نحتاج إلى أن ترسلوا لنا شيئا منها الآن، فقد شرعنا نتوكل في بعض القضايا ولا يخفى على حضرتكم، وذلك بمعونة ومشاركة منبع الصفا، وعلى الله نجاح المأمول.

تكلم حضرة الوالد منبع الصفا مع قريبه في شأن إرسال مصطفى بالطريقة التي أشرتم إليها، فوعد بأنه عند توجهه إلى إسكندرية يتكلم مع الحاج سعد الله حلابة في ذلك ويفيد حضرة حسن أفندي، وقد توجه من يومين وينتظر حضوره غدًا أو بعد غد، وهنالك ننظر ما يكون.

ضمن هذا مكتوب من حضرة الشيخ محمد المزين.

يسلم على حضرتكم جميع من تعرفون أسماءهم في رسائلنا، وحضرة محمد أفندي الألفي، والشيخ العيدروس شاه

بندر تجار الزقازيق، وحضرة منبع الصفا، والشيخ حسن أخوه، والسيد أمين، وثابت أفندي، وفتحي أفندي.

ونحن نسلم على حضرة عارف أفندي [22]، وقد سررنا كل السرور بإزاحته من علته، زاده الله صحة فوق صحته وبارك في عافيته، وعلى حضرة إبراهيم أفندي علي، وما نختار إلا ما اختاره لنا، وعلى حضرة إبراهيم أفندي جاد، وعلى حضرة (أستاذنا) محمد أفندي الصدر، وحضرة حسن أفندي يسلم على جميعهم، أمتع الله عيون البلاد بعودتكم جميعًا إليها، والسلام».

(٢٧ج) [23] كاتبه ولدكم/ سعد زغلول.

●●●

تلك هي الرسالة الثالثة، التي تحدث فيها سعد زغلول حديث الباحث في علم الكلام، المنقب عن آراء العلماء (النظار) في مذاهب المتكلمين من أهل السنة والجماعة، والطالب من أستاذه الفاضل ووالده الكامل شرح ما أغلق عليه من مباحث هذا الفن من فنون الاعتقادات.

وهكذا توالت المراسلات بين الأستاذ الإمام وبين الشيخ سعد زغلول، مفصحة عن المكانة الممتازة والمتميزة لسعد في طليعة مدرسة الأستاذ الإمام وحزبه، وهي مراسلات جديرة بدراسة

---

(٢٢) عارف أفندي أبو تراب، رفيق الأفغاني وخادمه وشريك محمد عبده في ترجمة رسالة الرد على الدهريين- للأفغاني - من الفارسية إلى العربية.

(٢٣) (٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٠٠هـ) الموافق (٥ أبريل سنة ١٨٨٣م).. وانظر هذه الرسائل الثلاث في: تاريخ الأستاذ الإمام ١ (١ / ٢٧٥- ٢٨٠، ١٠٨٠ - ١٠٨٢).

خاصة، تحلل مضامينها، وتستخلص دلالاتها، وتكتشف إضافاتها إلى تاريخ تلك الحقبة وما شهد من أحداث جسام.

● كذلك أرسـل الأستاذ الإمام سـنة (١٣٠٥هـ / ١٨٨٨م) من بيروت مقالة عن الوحدة الوطنية في مصر، أرسلها إلى سعد زغلول، ليعيد نشرها في الصحف المصرية.

● ومنـذ عـودة محمد عبـده من المنفـى إلـى أرض الوطن- أواخـر سـنة (١٢٠٦ هــ / ١٨٨٨م)- كان سـعد زغلول في طليعـة المواظبيـن على حضور ندوته بمنزلـه في ضاحية «عين شـمس»، كما كان محمد عبده هو صاحب اقتراح تعيينه نائب قاض في محكمة الاستئناف سنة (١٨٩٢م)، وكانت مؤهلات سـعد زغلول حتـى ذلك الحين هي مؤهلات «الشـيخ سـعد»: دراسته الشرعية الأزهرية، وخبرته العملية في المحاماة، والتي تأسسـت هي الأخرى على دراسته الشـرعية الأزهرية. ذلك أنه لم يكن قد درس بعدُ الحقوقَ ولا حصل على «الليسانس» فيها، فلقـد بدأ تعلم الفرنسـية في صيف سـنة (١٨٩٢م)، والتحق بجامعة باريس أوائل سـنة (١٨٩٦م)، وحصل على ليسـانس الحقـوق منها فـي يوليو سـنة (١٨٩٧م)، فالأزهـر- وثقافته الشرعية- هو الذي أهَّله للعمل بالقضاء!

● وكمـا تحـدث جمـال الدين الأفغانـي عن محمـد عبده، باعتبـاره أنجـب تلاميـذه وأقربهم إلـى عقله وقلبـه... ورغم الـدور الريـادي والقيادي الذي نهض به الشـيخ محمد رشـيد رضـا (١٢٨٢ - ١٣٥٤ هــ / ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م) فـي حمل

رسالة هذه المدرسة الإصلاحية إلى العالم الإسلامي - من خلال مجلة «المنار»- وهو الدور الذي جعل الشيخ رشيد أبرز أركان «التوجه الديني» لمدرسة الأستاذ الإمام، فإن سعد زغلول- بشهادة الشيخ رشيد رضا نفسه - كان التجلي لمدرسة الأفغاني ومحمد عبده، ورائد الجناح المدني لهذه المدرسة الإصلاحية، وبعبارة الشيخ رشيد: «فلقد ظهرت روح الشيخين «جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده» في أعمال تلاميذهما، ومن أشهرهم سعد زغلول، الذي أصبح عميد الحزب المدني للأستاذ الإمام وأقوى أركانه»[٢٤].

● وكما كانت الدراسة الأزهرية- الشرعية الفقهية، والعربية والأدبية- هي المكوِّن والمؤهل لسعد زغلول- المؤلف في فقه المذهب الشافعي، والداعية لإصلاح الأزهر، والكاتب عن الحرية والشورى، وداعية «الجهاد الديني» ضد الاحتلال الإنجليزي لمصر، والمحامي المبرز، ونائب قاضي محكمة الاستئناف- كذلك كانت هذه الدراسة الأزهرية وثقافتها الشرعية، هي التي علّمت سعد زغلول «الاستقلال الفكري»، الذي طبع شخصيته وكل مواقفه وقراراته وأفكاره في كل ميادين الحياة التي عاشها وجاهد فيها، على تنوع وتعدد هذه الميادين.

ولقد تحدث هو - في مقام الاعتراف بفضل الدراسة الأزهرية عليه- عن هذه الخصيصة من خصائص الدراسة الأزهرية التي كانت تتيح للطالب حرية اختيار الأستاذ والشيخ الذي يتتلمذ

---

(٢٤) تاريخ الأستاذ الإمام (١ / ١٣٦، ١٣٧).

عليـه، واختيار العلـوم التي يتفقه في دراسـتها، وكذلك أثّرت صعوبـة أسـاليب الكتـب التي كانت تـدرس، وعمـق القضايا الأصوليـة التي تحتويهـا هذه الكتب، أثّـر كل ذلك في تدريب الطـلاب على امتلاك مواهب ومؤهلات «الغوص» وراء المعارف والحقائق والأفكار في صبر ومثابرة وجهد وأناة.

تحدث سعد زغلول باشا، حديث المعترف بفضل هذه الدراسة الأزهريـة على «اسـتقلاله الفكـري» فقال- وهو زعيـم الأمة- بعد عودته من أوروبا سنة (١٩٢١م)، عندما ذهب إلى الجامع الأزهر، معترفًا بفضل الأزهر عليه، وفضله الكبير في ثورة سنة (١٩١٩م) فخطب بالجامع الأزهر- حيث درس- فقال:

«جئـت اليـوم لأؤدي في هـذا المكان الشـريف فرض صلاة الجمعة، وأقـدم واجبات الاحترام لمكان نشـأت فيه، وكان له فضل كبير في النهضة الحاضرة، تلقيت فيه مبادئ الاستقلال؛ لأن طريقتـه فـي التعليـم تربي ملكة الاسـتقلال فـي النفوس، فالتلميذ يختار شـيخه، والأسـتاذ يتأهل للتدريس بشـهادة من التلاميذ الذين كانوا يلتفون حول كل نابغ فيه ومتأهل له، يوجه إليـه كل منهم الأسـئلة التي يراهـا، فإن أجاب الأسـتاذ وخرج ناجحًا من هذا الامتحان كان أهلًا لأن يجلس مجلس التدريس.

وهـذه الطريقة في الاسـتقلال جعلتنـي أتحوّل مـن مالكي إلى شـافعي، حيـث وجدت علماء الشـافعية في ذلك الوقـت أكفأ من غيرهم» [٢٥].

---

(٢٥) مذكـرات سعـد زغلـول (١ /٥٤)، تحقيق وتقديم: د. عبدالعظيـم رمضان، طبعة القاهرة، سنة (١٩٨٧م).

وجدير بالملاحظة أن هذا الاستقلال الفكري، الذي جعل سعد زغلول- الطالب الأزهري- يفضل المذهب الشافعي على المذهب المالكي- الذي هو الغالب على مسقط رأسه ومحيطها الجغرافي- بسبب تفضيله علماء المذهب الشافعي، لم يؤثر عليه أن مذهب أستاذه وشيخه ومربيه محمد عبده كان المذهب الحنفي، فالاستقلال الفكري كان ثمرة من أنضج وأعظم طرق التدريس الأزهرية في ذلك الحين.

● وعندما أصبح «الشيخ سعد» «سعد باشا»، وتولى «نظارة المعارف العمومية» تحققت على يديه إصلاحات جذرية، كانت بنودًا في برنامج المدرسة الإصلاحية التي تبلورت من حول جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده.

فلقد أنشأ «مدرسة القضاء الشرعي» سنة (١٩٠٧م)، لتكوِّن- مع «مدرسة دار العلوم» ديوان الإصلاح الديني والتجديد والاجتهاد في علوم الشريعة الإسلامية وفي علوم العربية، هذه المدرسة التي سبق ودعا إلى إنشائها سنة (١٨٨٧م) منشئ «دار العلوم» في سنة (١٨٧١م) علي باشا مبارك (١٢٣٩ - ١٣١١هـ / ١٨٢٤ - ١٨٩٣م)، لتكون أداة لتجديد وتقنين الفقه الإسلامي، حتى تقاوم الأمة- بهذا التجديد والتقنين- تغريب القانون وعلمنته، وهو نفس المقصد الذي سعى إليه الإمام محمد عبده، عندما أراد إنشاء «القسم القضائي» في الأزهر الشريف [٢٦]، فلما تعذر إنشاء هذا «القسم القضائي»

(٢٦) تاريخ الأستاذ الإمام (١/ ٥٥٧).

بالأزهـر- لفرط حـذر التيار المحافظ بين شـيوخ الأزهر من أي تجديد، خوفًا من أن يخدم «التجديد» «التغريب»- أنشـأ سـعد زغلول هذه المدرسـة، «مدرسـة القضاء الشرعي»، لتحقق هذه المقاصد القومية، وجعلها تحت نظر الشـيخ حسـونة النواوي (١٢٥٥- ١٣٤٣هـ / ١٨٤٠- ١٩٢٥ م) إبَّان مشيخته الثانية للجامع الأزهر، تحقيقًا للصلة بينها وبين المؤسسـة الأم للعلم الإسلامي، وجعل الدراسة الفقهية فيها على المذاهب الإسلامية المختلفة وليس فقط للمذهب الحنفي ـ كما كان يريد الخديوي عباس حلمي الثانـي (١٢٩١-١٣٦٣هـ/ ١٨٧٤-١٩٤٤م) ـ فحقق سـعد زغلول بذلك مذهب أستاذه محمد عبده الذي دعا إليه في تقريره الشهير عن إصلاح القضاء الشرعي.

● كذلك رد سـعد زغلول ـ «ناظر المعارف العمومية» ـ بعض عـدوان اللغة الإنجليزية علـى لغة القرآن الكريـم في المدارس الأميرية، وكتب في مذكراته ـ بتاريخ (١٠ مايو سنة ١٩٠٩م) ـ يقـول: «يجـب أن تكون غاية عملي: جعـل التعليم أهليًّا أي: باللغة العربية في المدارس المختلفة».

وكذلك أكثر من إنشاء الكتاتيب في القرى والمدن وضاعف الإعانات المالية المخصصة لها.

● وإذا كان الأزهـر قد قاد -بواسـطة علمائه وطلابه- معارك الدفاع عن الإسلام، وإذا كانت المعارك الفكرية التي قادها علماء الأزهـر وطلابـه ضد كتاب (الإسـلام وأصول الحكـم) -الذي كتبه الشـيخ / علي عبد الرازق (١٣٠٥- ١٣٨٦هـ/ ١٨٨٧-

١٩٦٦م) سـنة (١٩٢٥م)ـ وضد كتاب (في الشعر الجاهلي) الذي كتبه الدكتور/ طه حسين (١٣٠٦-١٣٩٣هـ/ ١٨٨٩-١٩٧٣م) سـنة (١٩٢٦م) -إذا كانت هـذه المعارك قد غدت مـن أخطر وأشـهر المعارك الفكريـة للقرن العشـرين؛ بل لقد ظلـت محور أغلب معاركنا الفكريـة حتى هذه اللحظات؛ فلقد كان سـعد زغلول -زعيم الأمة ورئيس مجلس النواب- في ذات الموقع الفكري للأزهر وعلمائه ضد محاولات علي عبد الرازق (علمنة الإِسـلام) وضد جموح طه حسـين للتشكيك في بعض ما ورد بالقرآن الكريم، أي: ضد أخطر التحديات التغريبية التي تواجـه العرب والمسـلمين، وإذا كان العديـد من علماء الأزهر الشريف قد كتبوا الكتب والدراسات والمقالات وألقوا الخطب والمحاضـرات فـي تفنيـد دعاوى صاحـب (الإِسـلام وأصول الحكـم) فإِن رأي سـعد زغلول في هذا الكتاب كان أقسـى من رأي كثير من هؤلاء الشـيوخ العلماء، ولقد أشـار في ثنايا نقده لهذا الكتاب إلى الأزهر الشريف وإلى ثمرات العلم الذي تعلمه فيـه واسـتغرب جهل علي عبـد الرازق -الأزهـري- بهذا العلم الشـرعي الـذي قدمه الأزهر لطلابه عن شـمول الإِسـلام للدين والدنيا وللمرجعية الشرعية والمدنية جميعًا.

تلك واحدة من أبرز الصفحات المشرقة في كتاب فكر وعلم الشيخ سعد زغلول باشا -ابن الأزهر الشريف- وثقافته الشرعية وهي الصفحة التي يتجاهلها العلمانيون الذين يريدون (سرقة) سعد زغلول و(اختطاف) الثورة التي قادها سنة (١٩١٩م) إلى

حظيرة العلمانية وتجريد الإسلام وشريعته من صلاحيته في تدبير الحياة والاجتماع والدولة والسياسة والاقتصاد.

وهي صفحة يجهلها -مع الأسف الشديد- كثير من الإسلاميين فيساعدون بهذا الجهل العلمانيين على (السرقة والاختطاف)!

● أما موقف سعد زغلول من كتاب الدكتور طه حسين (في الشعر الجاهلي) -والذي شكك فيه بعدد من العقائد التي وردت في القرآن الكريم من مثل: علاقة الإسلام بملة إبراهيم -عليه السلام- وفي الرحلة الحجازية لإبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- وفي إقامتهما ورفعهما قواعد البيت الحرام -فيشير إليه سكرتيره- محمد إبراهيم الجزيري -أيضًا عندما يكتب فيقول عن سعد زغلول:

«وكان -رحمه الله- يرقب باهتمام ما ينشر من الكتب الحديثة بمصر فيكلفني شراءها ويقرأ منها ما تسمح به الفرصة.

وقرأت له كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للأستاذ علي عبد الرازق (وزير الأوقاف فيما بعد) وأدلى إلي برأي فيه سجلته عندي وسأورده في هذه المذكرات[٢٧] وكذلك قرأت له كتاب المرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي (في إعجاز القرآن) وكتاب الدكتور طه حسين (في الشعر الجاهلي) ورد المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدي عليه، ومحاضرات المرحوم الشيخ محمد الخضري بك في نقده.

---

(٢٧) هو الرأي الذي نقلناه عن الجزيري في هذه الدراسة.

وأذكر أنه –رحمه الله– أعجب كل الإعجاب بكتاب الأستاذ محمد فريد وجدي هذا، وكان قد وضعه في نقد كتاب (في الشعر الجاهلي) وأهدى إلى الرئيس نسخة منه فلما قرأها كتب إلى الأستاذ وجدي هذا الكتاب البليغ التالي:

«حضرة الأستاذ الفاضل محمد فريد وجدي، وصلني كتابك الذي وضعته في نقد كتاب (في الشعر الجاهلي) وتفضلت بإرساله إليّ وقرأته في عزلة تجمع الفكر، وسكون يحرك الذكر، فراقني منه قول شارح للحق ومنطق يقارع بالحجة في أدب رائع، وتحقيق دقيق في أسلوب شائق، وإخلاص كامل للدين في علم واسع وانتصاف للحقيقة في احترام فائق، ومجموع من هذه الخصال استمليت منه قلبًا فياضًا بالإيمان وعقلًا مثقفًا بالعرفان، ونفسًا محلاة بالأدب فقررت عينًا بوجود مثلك بيننا، ورجوت الله أن يكثر من أمثالك فينا، وأن يجازيكم على ما تصنعون بتوفيق الباحثين والمتناظرين لاحتذاء مثالكم في دقة البحث وأدب المناظرة وإنكار الذات والانتصار للحق، وبتوفيق الناس لاستماع أقوالكم واتباع أحسنها والسلام على المهتدين».

(١٦ أكتوبر سنة ١٩٢٦م) سعد زغلول.[٢٨]

فلقد قرأ سعد زغلول رد الأستاذ محمد فريد وجدي على كتاب طه حسين (في عزلة تجمع الفكر وسكون يحرك الذكر) وأعجب كل الإعجاب بهذا الكتاب شكلًا ومضمونًا أسلوبًا ومنطقًا، أدبًا في التعبير وحجة تفنيد دعاوي الخصم، كما أعجبه فيه (فيض الإيمان) الذي حرك صاحبه للدفاع عن

---

(٢٨) سعد زغلول: ذكريات تاريخية (ص٣٧).

الإِســلام، و(العقــل المثقــف بالعرفان) الذي جعــل من (فريد وجدي) نموذجًا تمنى (ســعد زغلول) أن يحتذيه المتناظرون والباحثون الساعون لانتصار الحق على الباطل في عالم الأفكار.

وإذا كنــا قــد رأينــا (قوة الحق) عند ســعد زغلــول في نقده لكتاب الشــيخ علي عبد الرازق عندما اتهمه بالجهل بالدراســة الأزهرية وعلوم الشريعة الإسلامية، وبالسعي لهدم قواعد الدين الإِســلامي، فلقد كانــت (قوة الحق) هذه متجليــة -أيضًا- في موقف ســعد زغلول من اجتراء طه حســين علــى القرآن الكريم في كتاب (في الشــعر الجاهلي) فعندما زحفت مظاهرة طلابية غاضبة على هذا الكتاب وصاحبه إلى (بيت الأمة) خطب زعيم الأمة في هذه المظاهرة مستنكرًا ما جاء في هذا الكتاب، وبلغت بــه الإِدانة والاســتنكار إلى الحــد الذي تمثل فيــه -وهو يصف صاحب (في الشعر الجاهلي)- بشطر البيت الذي يقول:

وماذا علينا إذا لم يفهم البقر؟!

هكذا تجلت ثمرات الأزهر الشريف في فكر وحياة ومواقف ســعد زغلول، وهكذا كان الشيخ ســعد زغلول باشا ابن الأزهر الشريف -عليه رحمة الله-.

-٢-

الأيام الحمراء

مذكرات الشيخ عبد الوهاب النجار

عن أحداث ثورة سنة ١٩١٩م

الشيخ عبد الوهاب النجار
(١٢٧٨- ١٣٦٠هـ/ ١٨٦٢- ١٩٤١م)

● هو عبد الوهاب ابن الشيخ سيد أحمد النجار.

● ولد بالقرشية -من قرى محافظة الغربية- بدلتا النيل.

● بدأ تعليمه بالقرية، ثم بالأزهر الشريف -بطنطا- ثم انتقل إلى القاهرة، وتخرج من مدرسة دار العلوم العليا ١٣١٥هـ ١٨٩٧م.

● اشتغل بالمحاماة الشرعية، ثم عين مدرسًا للأدب والشريعة -في كلية غوردون بالخرطوم- بالسودان-، ثم أستاذًا للأدب بمدرسة البوليس -بالقاهرة-، فأستاذًا للتاريخ الإسلامي بالجامعة المصرية القديمة، فأستاذًا للشريعة بدار العلوم، ثم شغل وظيفة -ناظر مدرسة عثمان ماهر باشا- حتى آخر حياته.

● كان من أبرز علماء عصره الذين جمعوا بين الأصولية وبين التجديد في ميادين البحوث التاريخية والشريعة الإسلامية، ولقد أثارت كتاباته محاورات علمية خصبة، وخاصة كتابه الفذ (قصص الأنبياء) الذي تميز من بين ما كتب في تراثنا القديم والحديث حول هذا الموضوع.

● وغير أستاذيته، وإبداعاته الفكرية، كانت له إسهامات في الحياة الاجتماعية الإسلامية من خلال مشاركاته في الكثير من الجمعيات الإسلامية، وفي مقدمتها جمعية الشبان المسلمين، التي تولى وكالتها.

● وغيـر بلاغتـه وبراعته فـي الخطابة، كان لـه إلمام ببعض اللغات السـامية وتراثها وخاصة العبرية؛ الأمر الذي أعانه على النظـرة المقارنـة والنقدية فـي المباحث التاريخية والشـرعية التـي تناولهـا... كما كانـت له رحلات إلى خـارج مصر، دوّن انطباعاته عنها.

● ولقد أسهم في ثورة مصر الكبرى ١٩١٩م، وفصّل أخبارها فـي يوميات كتبهـا عنهـا -على طريقـة الجبرتـي (١١٦٧-١٢٣٧هـ ١٧٥٤- ١٨٢٢م) مع الثورات المصرية على الحملة الفرنسية، ولقد نشر هذه اليوميات تباعًا في صحيفة (البلاغ).

● من آثاره الفكرية.

١- زهرة التاريخ.

٢- تاريخ الإِسـلام -في سـتة أجزاء- تنـاول في جزئه الأول تاريخ مصـر القديم، وتاريخ الإِسـلام حتى خطبـة حجة الوداع ١٠ هـ.

٣- قصص الأنبياء.

٤- تاريخ الخلفاء الراشدين.

٥- مذكرات عن الهند.

٦- الأيام الحمراء- وهي يومياته عن ثورة ١٩١٩م[٢٩].

---

(٢٩) الزركلـي -الأعـلام- طبعة بـيروت. وسركيـس- معجم المطبوعـات العربية والمعربة- القاهرة ١٩٢٨م. و(تقويم دار العلوم) ج١- القاهرة.

بين يدي هذه المذكرات

في ١٨٨٢م احتلت إنجلترا مصر، وألغت جيشها الوطني، وحاكمت زعماء الثورة العرابية وقادة الحركة الوطنية -شيوخًا ومدنيين- ونفتهم خارج البلاد.

● وحولت إنجلترا مصر إلى (مزرعة) تابعة للرأسمالية الإنجليزية، وإلى قاعدة عسكرية لحراسة مصالح ومطامع الإمبريالية البريطانية.

● وعندما قامت الحرب الاستعمارية العالمية الأولى ١٩١٤م أعلنت بريطانيا الحماية على مصر، وعزلت الخديوي عباس حلمي الثاني (١٢٩١- ١٣٦٣هـ/ ١٨٧٤- ١٩٤٤م)، وعطلت (الجمعية التشريعية) -البرلمان- وحكمت البلاد حكما مباشرا بالأحكام العرفية، وسخرت ملايين الفلاحين وثروة مصر لخدمة الجيوش الاستعمارية المحاربة.

● وعندما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها في ١١ نوفمبر ١٩١٨م، كانت الحركة الوطنية المصرية في طليعة الحركات التي تطلعت إلى كسر أغلال الاحتلال وتحقيق الاستقلال الوطني التام والناجز لمصر والسودان، فتألق (الوفد المصري) -بزعامة سعد زغلول باشا (١٢٣٣- ١٣٤١هـ ١٨٥٧- ١٩٢٧م) في ١٣ نوفمبر ١٩١٨م- وكيلا عن الأمة، ليعرض القضية المصرية على (مؤتمر الصلح) الذي تقرر انعقاده بباريس.

● لكــن ســلطات الاحتــلال الإنجليــزي -ممثلة فــي القائد البريطاني الجنرال ويلســون (١٨٨١- ١٩٦٤م) وجهت إلى الوفد المصري إنــذارًا -في ٦ مارس ١٩١٩م- بتثبيت الحماية على مصر، وبقائها تحت الاحتلال والأحكام العرفية.

● ولما رفض (الوفد) هذا الإنذار، تم اعتقال قياداته:

سعد زغلول باشا (١٢٧٣- ١٣٤٦هـ/ ١٨٥٧- ١٩٢٧م)

ومحمــد محمــود باشــا (١٢٩٤- ١٣٦٠هــ/ ١٨٧٧- ١٩٤١م)

وحمــد الباســل باشــا (١٢٨٨-١٣٥٩هــ / ١٨٧١- ١٩٤٠م)

وإســماعيل صدقــي باشــا (١٢٩٢- ١٣٦٩هــ/ ١٨٧٥- ١٩٥٠م) فــي يوم ٨ مــارس ١٩١٩م، وتم ترحيلهم -في اليوم التالــي ٩مارس- إلى بورســعيد فمالطا، وفــور ذلك اندلعت في جميع أنحاء مصر كبرى ثوراتها الوطنية، وأعظم ثورات الشرق في العصر الحديث.

- اندلعــت الثــورة التي شــاركت فيها كل الطبقــات، والتي انخرطــت فيهــا المــرأة المصرية لأول مــرة في تاريخ الشــرق الحديث، بل ربما في التاريخ العالمي.

- الثــورة التي حققت أعلى مســتويات الوحــدة الوطنية بين المســلمين والمســيحيين، فقطعــت الطريــق علــى مؤامــرات الاستعمار.

- الثورة التي تحول فيها الأزهر الشريف -ومن حوله معظم مساجد مصر- إلى ساحات للبعث الوطني والفداء والاستشهاد.

- الثورة التي تبادلت فيها منابر المساجد والكنائس الخطباء من الشيوخ والقساوسة.

- الثورة التي قدم فيها الشعب من الشهداء ما أعاد سيرته النضالية التي سطرها ضد بونابرت [١٧٦٩-١٨٢١ م] وحملته الفرنسية- التي قتلت سبع ($\frac{١}{٧}$) سكان مصر !!

● وإذ كان الشيخ عبد الرحمن الجبرتي (١١٦٧- ١٢٣٧هـ ١٧٥٤- ١٨٢٢م) ابن الأزهر الشريف -ومؤرخ العصر- قد سجل يوميات الثورة ضد الحملة الفرنسية في (عجائب الآثار) و(مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس) فإن الشيخ عبد الوهاب النجار (١٢٧٨- ١٣٦٠هـ / ١٨٦٤- ١٩٤١م) قد أرخ بمذكراته (الأيام الحمراء) أحداث أيام ثورة مصر الكبرى ١٩١٩م، التي قادها علماء الأزهر الشريف، بزعامة ابن الأزهر سعد زغلول.

● وإذا كانت هذه الثورة -التي مر عليها الآن قرن من الزمان- قد حظيت بالتاريخ والدراسة من قبل كثير من الوطنيين والأجانب، فإن هذه (المذكرات) التي كتبها -يوميات لهذه الثورة- الشيخ عبد الوهاب النجار إنما تتفرد من بين كل ما كتب عن هذا الحدث الوطني العظيم، حتى لنستطيع أن نقول: إنها المصدر الأول والأدق والأوفى الذي بدونه لا يمكن إدراك

الحقائق والآفاق التي تمثلت في هذه الملحمة التي سطرتها جماهير شعبنا المصري العظيم.

● فكاتب هذه (المذكرات) مؤرخ كبير، جمع بين فلسفة ابن خلدون (٧٣٢- ٨٠٨هـ/ ١٣٣٢- ١٤٠٦م) في (الوعي بالتاريخ)، وبين (دقة) الجبرتي في التحقق من وقائع التاريخ، مع الإدراك لتمايز تيارات الفكر السياسي والاجتماعي في الواقع المصري الذي شهد وقائع هذه الملحمة الوطنية الكبرى، والوعي بتمايز المواقف الدولية من طموحات الشعوب الإسلامية للحرية والاستقلال.

● ففي هذه (المذكرات) سيجد القارئ -ضمن ما سيجد-:

١- كيف كان الجامع الأزهر -الذي أحاطته قوات الاحتلال بالجنود المدججين بكل أنواع السلاح -هو المقر (لمجلس قيادة الثورة) المكون من العلماء: الشيخ محمد شاكر، والشيخ عليّ سرور الزنكلوني، والشيخ محمد الأبياري، والشيخ مصطفى القاياتي، والشيخ محمود أبو العيون، والشيخ عبد ربه مفتاح، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز، والشيخ محمود أبو دقيقة- الذين كانوا قادة الثورة على أرض مصر، عندما كانت قيادتها منفية في مالطا.

٢- وكيف كان الجامع الأزهر -على امتداد أيام الثورة ولياليها- غاصًّا بالجماهير التي تتحلق حول الخطباء -كما كان طلبته- قبل الثورة -يتحلقون حول العلماء.

٣- وكيف أن أغلب المدن والمديريات المصرية قد أعلنت استقلالها عن سلطات الاحتلال، وانتخبت إدارات تدير شئونها المحلية، وحطمت وسائل الاتصال كي تقطع الطرق على الجيش الإنجليزي الزاحف لمقاومة الثوار في مختلف أقاليم البلاد.

٤- وكيف أقام العلماء -قادة الثورة- وزارة وطنية للداخلية، وشرطة وطنية -لها شارات تميزها- كان مقرها مسجد السلطان مؤيد المحمودي- ورئيسها الأستاذ الشيخ مصطفى القاياتي -المدرس بالأزهر الشريف- وأحد أبرز خطباء الثورة.

٥- وإذا كان العالم قد انتفض لما أحدثه الاستعمار الإنجليزي بـ(دنشواي) ١٩٠٦م من العدوان الهمجي على الفلاحين، ومن المحاكمات الجائرة، والسجن والجلد والإعدام للأبرياء -بمرأى ذويهم- فإن ما جاء بهذه (المذكرات) عن المحكمة العسكرية الإنجليزية -التي عقدت في (صفت الملوك)، والأحكام التي أصدرتها على الفلاحين، والتنفيذ البشع الذي طبقته -يوم الجمعة ١٨ إبريل ١٩١٩م- إنما يفوق -في الجور والبشاعة- ما حدث في دنشواي.

٦- وإذا كانت بعض الدراسات قد نظرت إلى ثورة ١٩١٩م من منظار وطني إقليمي، فإن هذه (المذكرات) تبرز الآفاق الواسعة لهذه الثورة، التي امتدت بتأثيراتها إلى شبه القارة الهندية، التي احتذى شعبها حذو الثورة المصرية ضد العدو المشترك -الاستعمار الإنجليزي- بل إن الهنود والفرس قد هتفوا لسعد زغلول -في لندن- كزعيم للشرق كله، وليس لمصر وحدها.

٧- وإذا كانت هذه الثورة -بشهادة كل مؤرخيها- قد حققت نموذجا فريدًا في الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين، فإن هذا النموذج الفريد قد بلغ أعظم تجلياته فيما جاء بهذه (المذكرات): خطباء الشيوخ -وفي مقدمتهم الشيخ محمود أبو العيون (١٣٠٠- ١٣٧١هـ/ ١٨٨٢- ١٩٥١م) على منابر الكنائس -وخطباء الشيوخ- وفي مقدمتهم القمص سرجيوس (١٣٠٠- ١٣٨٤هـ/ ١٨٨٣- ١٩٦٤م) على منبر الأزهر وغيره من المساجد -وفي شعر الشعراء المسلمين عن اتحاد المسلمين والمسيحيين، ورائعة الشاعر المسلم محمد الهراوي في عيد الفصح المسيحي، والتي أحيت السنة النبوية عندما فتح رسول الله ﷺ مسجد النبوة لنصارى نجران فصلوا فيه صلاة عيد الفصح ١٠هـ[٣٠].

٨- وإذا كانت عشرات الكتب قد سطرت آلاف الصفحات عن زعيم هذه الثورة -ابن مصر البار، وابن الأزهر الشريف، وتلميذ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦- ١٣٢٣هـ/ ١٨٤٩- ١٩٠٥م) وجمال الدين الأفغاني (١٢٥٤- ١٣١٤هـ/ ١٨٣٨- ١٨٩٧م)- هذا الزعيم الذي أحب وطنه وأمته، وجاهد في سبيلهما حق الجهاد، فتحول إلى أسطورة في القلوب والعقول تغنت بها الجماهير، فإن ما جاء في هذه (المذكرات) عن فرحة

---

(٣٠) كان طلاب الأزهر هم أول من وضع الصليب في أحضان الهلال -على العلم المصري- مكان النجوم، وذلك منذ أوائل المظاهرات الكبرى التي تفجرت بها الثورة، واستمر ذلك شعارا للثورة على امتداد أيامها.

الشعب بالإفراج عن زعامة الثورة -يوم ٧ إبريل- هو وصف لا نظير له لفرحة لا نظير لها، غير مسبوقة ولا ملحوقة في تاريخ الزعامات والثورات، على نطاق العالم ومر التاريخ.

لقد أفاضت هذه (المذكرات) في وصف الفرحة القلبية التي عبرت عنها الأمة بكل ألوان التعبير، حتى قال الشيخ عبد الوهاب النجار: «ومهما سرت في ناحية من نواحي القاهرة العامرة بالسكان وجدت فرحا ظاهرًا وسرورًا وخطبًا فياضة وخطباء مفوهين وهتافًا عاليًا»، ثم قال: «على أني أعتقد الآن أن جبال هملايا لو خالطها ما خالط أي واحد من الناس في هذا القطر من السرور اليوم لرقصت... أجل! إن هذا السرور قد فعل بألباب الناس ما لا تفعل الخمر، فهم جديرون بأن يجيبوا اللائم بقول الشاعر:

سقوني وقالوا لا تغن ولو سقوا

جبال حنين ما سقوني لغنت

● نعم، إننا- بإزاء هذه (المذكرات)- عن (الأيام الحمراء) أيام أعظم الثورات المصرية، وكبرى ثورات الشرق في العصر الحديث -أمام ملحمة- تاريخية، أرخت لملحمة ثورية، بقلم عالم وشيخ جليل هو الشيخ عبد الوهاب النجار، شاهد العيان على الثورة، والمشارك في أحداثها، والمدون والمحقق لوقائعها[٣١].

●●●

(٣١) لقد نشرت صحيفة (البلاغ) هذه اليوميات بدءا من ٢٢ مارس ١٩٣٣م. ثم أعيد نشرها -في كتاب- بإعداد وتحقيق د. مصطفى الغريب محمد. وتقديم د. أحمد زكريا الشلق- بدار الكتب والوثائق المصرية ٢٠١٠م.

ونحــن إذ نقدم للقارئ- في الذكــرى المئوية لثورة ١٩١٩م أبرز صياغــات يومياتها، المعبرة عن أبــرز أحداثها، فإننا نأمل أن يحقــق الوعــي بهذا التاريخ طاقات خلاقــة لأجيالنا الحاضرة تعينهــا على صنــع التاريخ الذي نرجو أن يكــون غده أفضل من أمســه، وذلك حتى تســتعيد أمتنا مكانتها فــي الريادة والإمامة والقيادة، التي سبق وتبوأتها عندما جعلها إسلامها العالَم الأول علــى ظهر هــذه الأرض لأكثر من عشــرة قرون، إنــه أمل نتطلع إليــه، ودعاء نتوجه به إلى الله -ســبحانه وتعالى- الذي هو خير مسئول وأكرم مجيب.

أ.د. محمد عمارة

٦ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ.

١٣ ديسمبر ٢٠١٨م.

تقديم صاحب المذكرات

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، فإنا في اليوم الخامس عشر من شهر مارس سنة ١٩١٩م، وهو يوم من الأيام العصيبة التي منيت بها مصر ورزئت بها البلاد رزءا[٣٢] شديدًا بما سال في أرجاء البلاد من دماء الأبرياء من طلاب العلوم الدينية، وطلبة المدارس العالية، ولا ذنب لهم إلا أنهم يظهرون عواطفهم نحو وطنهم ويبدون شعورهم نحو حريتهم المفقودة واستقلال بلادهم المسلوب بيد الاستعمار الإنجليزي، وبسبب سفك هذه الدماء أردت أن أسمي هذه الأيام (الأيام الحمراء) وهو اسم صادق مسماه، ولفظ وافق معناه.

ولما كانت الجرائد المصرية ملجمة عن قول الحق مكفوفة عن الصدق في الرواية لا تقدر أن تشرح حادثة أو تفصل نكبة من النكبات بأكثر من قولها: «حصل في جهة كذا ما يكدر، وعادت السكينة في الحال» في حين أن ذلك الحادث يكون قد حصد فيه من الأرواح عشرات وأصيب فيه بالجراحات ما لا يصاب عدد مثله في وقعة حربية كبيرة؛ لهذا رغبت في خدمة التاريخ والحقيقة في تدوين حوادث هذه الأيام الحمراء على وجه الصواب متحريًا في ذلك الحقيقة جهد الطاقة ملغيًا ذكر الإشاعات الباطلة التي تروج في مثل هذه الأوقات المحزنة، مع حرصي على العزو إلى من حدثني الحديث وشرح لي الخبر إن لم أكن رأيت ذلك بعيني حتى لا يقع الجيل الآتي في عماء وضلال عن صحيح الأخبار؛ وليكون وجه الحقيقة أبيض ناصعًا.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

(٣٢) رزأ يرزأ رزءا: أصابه بمصيبة. (المجلة).

بوادر الأيام الحمراء:

● بات سعد زغلول باشا وزملاؤه من أعضاء الوفد المصري ليلة الأحد ٩ مارس وفي ذات اليوم رَحَّلَتْهُم السلطة العسكرية إلى بورسعيد في القطار الذي كان يقوم من القاهرة في الساعة الحادية عشرة قبل الظهر وقد وصلوا إلى بورسعيد ومنها نقلتهم على إحدى السفن إلى جزيرة مالطا.

● وفي ذلك الوقت علم طلبة مدرسة الحقوق بما فعل الإنجليز من إبعاد سعد باشا وزملائه إلى مالطا فهاج هائجهم وانتخبوا من بينهم طالبًا مسلمًا وآخر مسيحيًا فأنهيا إلى ناظر المدرسة (والتون) على لسان جميعهم أنهم يريدون إبطال الدروس لعمل مظاهرة سلمية يعربون بها عن ذات نفوسهم بإزاء هذه الحالة السيئة التي يعامل بها الإنجليز بلادهم، ومن شأنها القضاء على استقلال البلاد وبقاؤها رازحة تحت عبء العبودية والاستعباد.

اليوم الأول من الأيام الحمراء:

يوم الاثنين ١٠ مارس سنة ١٩١٩م

● كان كثير من طلبة المدارس الثانوية لم يعلموا بالاعتصاب[٣٣] والمظاهرة في يوم الأحد، فاتفقت كلمة جميع الطلبة على الاعتصاب والمظاهرة وإعلان شعورهم نحو أمانيهم التي يريد الإنجليز قتلها في نفوسهم.

(٣٣) اعتصاب قوم: صاروا عُصبة أي جماعة. (المجلة).

● وقــد اجتمعت كلمة طلبة الأزهر الشــريف على أن يقوموا بمظاهرة سلمية يعلنون بها حنينهم نحو حرية بلادهم واستقلال أمتهم؛ فنظموا أنفسهم لهذا الأمر واستعدوا له وجعلوا غايتهم أن يســيروا إلى الــوزارات ودواوين الحكومة؛ لإخــراج العمال منهــا احتجاجًا على ما يأتيه الإنجليز من العنف بالبلاد وأهلها، وإظهار شعورهم المشترك بالنسبة للحرية والاستقلال.

● وعلمت أنه قامت مظاهرة اشــترك فيها طلبة الأزهر وطلبة المدارس وانضم إليهم بعض اليهود الذين تزيوا بزي للمشايخ، وكذلــك بعض البوليس الســري، وأغروا الرعــاع الذين يتبعون المظاهــرة بتحطيم زجاج بعض المحلات التجارية بالموســكي وقليل من غيره.

فكان في هذا اليوم أول القتلى والجرحى.

● ومــن أعجــب مــا شــوهد أن الناس لــم يهمهم مــرأى الدم المســفوك ومشــاهد القتلى والجرحى مضرجيــن[٣٤] بدمائهم حتى إن الأطفال لم يفــروا ولم يذعروا وقد كانت قطرات الماء تفرقهم في أهم مظاهراتهم.

يوم السبت ١٥ مارس:

● في هذا اليوم علمنا باعتصاب عمال العنابر من المصريين.

● ووصل إلى علمي في مساء هذا اليوم أنه قد قامت ثورة في قليــوب حركها خطباء المســاجد، ولما فرغ القــوم من عملهم

(٣٤) مُضَرَّج بالدم: أي ملطخ به. (المجلة).

عمدوا إلى المركز فأخرجوا المعتقلين، وهرب المأمور وخربوا حجرته.

● وقد علمنا بعد ذلك أن محطة شبرا خربت وتوقف سير القطارات إلى قبلي وإلى بحري، وقد ورد على وزارة الأشغال تلغراف بأن محطة الواسطي خربت.

● وفي مساء هذا اليوم حدثني حسين رياض أفندي وعبد الخالق عطية أفندي أن مرقص حنا المحامي حدث أمامهما أنه سمع من عزيز كحيل باشا المستشار بمحكمة الاستئناف أن القناصل احتجوا على المجازر التي يحدثها الإنجليز بقوم عزل من السلاح، فوعد الإنجليز بعدم استعمال الرصاص إلا في حال الضرورة، وكتب بوانتاليس سفير فرنسا كتابًا إلى المسيو (بيشون) فحواه: أنه تجري في مصر مظاهرات رهيبة، وهي وطنية محضة ليس فيها عداء للأجانب، ولكنها موجهة ضد الإنجليز خاصة، وسببها شدة الضغط الواقع من الإنجليز على المصريين.

● ومن قائل: إن الأرطة[٣٥] الثامنة عصت وأبت تسليم سلاحها، وتجمهر طائفة منها فأطلق الإنجليز مدفعًا على المتجمهرين فتشتتوا.

● وبلغني من حضرة البكباشي علي زيتون أفندي -أركان حرب مدرسة البوليس- أن السيد محمد عبد العال الإدريسي

(٣٥) أرطة: (بالتركية أورته أو أورتا) وتطلق في مصر على الكتيبة. (حوالي ألف جندي). (المجلة).

حدثـه بما أحدثـه الإنجليز في المسـجد الحسـيني من ضرب الرصـاص وإصابة بعض المصليـن، بما أدى إلى إزهاق أرواحهم وسفك دمهم بالمسجد.

وجـاء من طريق آخر أن السـيد محمد عبد العال الإدريسـي صـار الآن يخاطب بعض الكبراء؛ ليكون واسـطة بين الإنجليز وبين المصريين في تهدئة الحال.

● وحدثنـي أيضًا البكباشـي علـي زيتون أفندي بأن الشـيخ محمد شـاكر[٣٦] -من كبار العلماء بالأزهـر والعضو المنتدب عن الحكومة في الجمعية التشـريعية- ذهب إلى سـكرتير دار الوكالـة البريطانيـة أيضًـا في ذلـك اليوم وهو بحالـة رديئة من الانفعال ظاهرة على محياه، فسـأله السكرتير عن سبب غضبه فقال له:

● إن الإنجليز فعلوا فعلًا لا يمحوه التاريخ، ولا ينساه مسلم؛ لأن بيـت الحسـين بن رسـول الله ﷺ ضـرب بالرصاص، وقتل فيـه المصلـون والخطيب واقف علـى المنبر يأمرهـم بالهدوء والسكينة، ويدعوهم إلى الاعتصام بالتؤدة.

وقد علمت من الشـيخ عبد العزيز الإشـراقي -من مدرسـي الأزهـر- أن العلمـاء كتبـوا احتجاجًا على الحـال الحاضرة في

(٣٦) الشيـخ محمـد شاكر (١٢٨٣- ١٣٥٨هـ/١٨٦٦-١٩٣٩م) مـن كبار علماء الأزهر وشيـخ علماء الإسكندريـة وعضو هيئة كبار العلماء وقاضـي قضاة السودان ووكيل الأزهر وعضو الجمعية التشريعية وأبرز من اشتغل وكتب في السياسة من علماء عصره حتى لكأنه نائب سعد زغلول في أحداث ثورة سنة ١٩١٩م.

البلـد، وطلبـوا المطالب الماثلـة الآن وهي: إعـادة المعتقلين والتصريـح للوفد بالذهاب إلى أوروبـا، وإعادة الوزارة، وأمضاه منهـم نحو خمس مئة عالم (لا أدري إن كان هذا العدد مضبوطًا أو مبالغًا فيه).

● وقد علمت بذهاب الشيخ محمد بخيت[٣٧] -مفتي مصر- إلى دار الوكالة البريطانية ولم أعلم ما دار بينه وبين القوم.

● وفي هـذا اليوم دخل المحامون الشـرعيون إلى المحكمة وهـم متفقون علـى تأجيـل القضايـا؛ للتنازل عـن التوكيلات احترامًا لشعور الأمة إزاء الحالة الحاضرة.

يوم الأحد ١٦ مارس سنة ١٩١٩م:

● لقـد زاد فـي ابتعاد أكثـر الناس من الركوب فـي (الترام) أنهـم كانـوا يعتبـرون مقاطعته عمـلًا وطنيًّـا، وبمعنى أوضح مقاومة سلبية.

● وفي خارج البلد (القاهرة) أصبحت المواصلات مقطوعة كما أمست.

● وقـد أفلت زمام التدبير من يد العقل وصار الناس يصدرون ويوردون عن وجدانهم لا عن عقولهم، وهذا شأن الجماعات في

---

(٣٧) الشيـخ محمد بخيت المطيعي (١٢٧١- ١٣٥٤هـ/ ١٨٥٤-١٩٣٥م) من كبار علماء الأزهر ومفتي الديـار المصرية وعضو هيئة كبار العلماء وممثل الأزهر في لجنة وضع الدستور ١٩٢٣م، وصاحب التآليف الكثيرة في الفقه والأصول والإفتاء.

الاندفاع تحت تأثير الغضب، فكثير من الجماهير لا ينفع فيهم منطقٌ ولا يرد جماحَهم عقلٌ.

● وقد تناقلت الألسُنُ وراجت الإشاعات أنه ما من بلد إلا وقع فيه هَرْجُ ومَرْجُ ثم كفاح بين أهله ورجال الضبط فيه.

فمما يؤكده بعض الناس: هجوم أهل منيا القمح على ديوان المركز، وقد أمكنهم أن يطلقوا سراح المسجونين بعد معركة حامية ذكروا أن عدد من سقطوا فيها قتلى نحو ثلاثين إنسانًا، وأن المتظاهرين لم يكفهم ما فعلوا فهاجموا محطة السكة الحديدية، ونشبت بينهم وبين خُفَرَائها معركة أخرى انجلت عن بعض القتلى والجرحى.

● كذلك وردت الأخبار بأن أهالي مركز الدلنجات -من أعمال مدينة البحيرة- أتلفوا سكة حديد الدلتا في ستة أمكنة فعطلت المواصلات في هذا الخط.

● ولقد تخيل للناس أن البلاد تضطرم فيها الثورة في كل مكان، والمظاهرات قائمة في طول البلاد، إن المظاهرات -اليوم- عامة شاملة في كل مكان وقد امتازت بأنها سلمية منتظمة لم يَشُبها عنف.

● ومما امتازت به مظاهرات القاهرة -في هذا اليوم- أن السيدات من كرام العقائل خرجن في حشمة ووقار؛ ليُعْربن عن مشاركتهن للرجال في إبداء العاطفة الوطنية نحو بلادهن، وقد ألفن موكبًا فخمًا يتقدمه أربعة من طلاب الأزهر أمسك كل واحد

منهم بطرف العَلَم المصري منبسطًا -كما يفعل المسيحيون في بساط الرحمة عند تشييع موتاهم- ووضع الصليب داخل الهلال موضع النجوم في هذا العَلَم، ولم يسبق لي ولا لأحد أن رأى مثل ذلك قبل اليوم، وكان خلف الأربعة الأزهريين أزهريان أيضًا يحملان عَلَمًا آخر رُسِمَ في أعلاه هلال يعانق الصليب، وكُتِبَت على العلم الجملةُ الآتية: (الحرية من آيات الله، الحرية غذاؤنا، والاستقلال حياتنا) وسارت السيدات في صفين على جانبي الطريق تتوسطهن واحدة منهن حاملة عَلَمًا أبيض علامة للسلام وفيه الهلال بلون أحمر، وجاء خلف الصفين سبع سيدات سرن صفًا واحدًا بعُرضِ الطريق وفي أيديهن عرائض كتبت فيها مطالب المصريين وفي مقدمتها استقلال البلاد، وطافت السيدات في موكبهن أهم شوارع القاهرة، وقصدن إلى دور الوكالات السياسية للدول، كما قصدن إلى ميدان سراي عابدين وكانت حامِلةُ العَلَم بينهن تهتف لاستقلال مصر وحريتها وبسقوط الحماية الإنجليزية والظلم، فيردد المتظاهرات هذا الهُتاف في حماسة وجميعهن رافعات أيمانهن بأعلام مصرية صغيرة مصنوعة من الورق أو القُماش.

وقد خرج أكثر أهل القاهرة رجالًا ونساء وأطفالًا؛ لشهود هذا الموكب، وكانوا يرددون الهُتافَ على جانبي الطريق مع الهاتفات فوقع لذلك دويٌّ شديد جدًّا.

وصـــادف مرورهن من ميدان الأوبرا بيـــن الجنود الإنجليزية المحتشـــدة بســـلاحها وعَتادهـــا الحربـــي فلمـــا حاذيـــن فنـــدق الكونتيننتـــال تعـــرض الجنـــود الإنجليز للموكـــب فوقفن وقد كثـــر عـــدد الأجانب المشـــاهدين لهذا الموقف، وبعد عشـــرين دقيقة فســـح لهن الجنود الطريق فســـرن حتى وصلن منزل سعد باشـــا زغلول، فحال الجنود الإنجليـــز بينهن وبين الوصول إليه ودخولـــه، وصوبوا البنادق إلى صدورهـــن فتقدمت حاملة العلم إلى الضابط الإنجليزي القابضة يده على المسدس وقالت وهي تكشف صدرها بيدها اليســـرى: (هذا صدري فهات ما عندك، نحن لا نهاب الموت، ولتكن في مصر مس (كافل) أخرى)[٣٨] وظلت واقفة في مكانها والضابط أمامها برهة رهيبة انثنى بعدها خجلًا خافضًا سلاحه هاتفًا بعسكره: (أفسحوا الطريق).

ولبثت المظاهرات ســـاعتين في شارع سعد زغلول وما حوله من الشـــوارع فـــي حال حصـــار بالبنـــادق والســـونكيات، وترك الجنـــود لهن طريـــق الرجوع وحموا عليهن طريـــق الوصول إلى منزل سعد زغلول باشا، فأبين الرجوع وكان لهن ما أردن.

● واجتمـــع المحامـــون الأهليـــون بمقر نقابتهم في الســـاعة الخامســـة بعد الظهر، وأحاط العســـاكر الإنجليز بالعمارة التي فيهـــا مقر الاجتماع، ثم صَعِدَ إلـــى المحامين كاريتييه والمأمور

(٣٨) مـــس كافل: ممرضة إنجليزية، أسرها الألمان في الحرب العالمية الأولى واتهموها بالجاسوسية وأعدموها رميًا بالرصاص.

والمعاون وبعض العساكر -الذين أخذوا بباب المكان ونوافذه- وسألوا المحامين عن سبب الاجتماع، فأجابهم وهيب أفندي دوسي المحامي القبطي وإسماعيل زهدي أفندي المحامي المسلم بأنهم اجتمعوا في هذا المكان لأنهم محامون أضربوا عن العمل.

● ووصل إلى سمعي من بعض الشبان أن الطلبة يستعدون لمظاهرة هائلة جدًّا، وسيحملون أمامهم فيها علمًا مكتوبًا عليه: فليحيا (الاستقلال، الجلاء، الجلاء) وعلمت أن الطلبة قرروا صنع أعلام الدول جميعًا ليرفعوها في أثناء هذه المظاهرة، وقد استثنوا منها علم دولة بريطانيا.

يوم الاثنين ١٧ مارس سنة ١٩١٩م:

● علمت أن الحكومة أو السلطة الإنجليزية تفكر في إرسال بعض المفتشين ومعهم تراجمة من المصريين غير الموظفين ودوريات إنجليزية يطوفون على القرى والبلاد لتهدئة الحال وتسكين الناس، ويكون المترجمون واسطة بينهم وبين الإنجليز.

وقد تعسر عليهم أن يجدوا من يقوم بالترجمة والوساطة، فعولوا على ترقية تلاميذ مدرسة البوليس والإدارة قبل موعد الترقية؛ ليقوموا بهذه المهمة مع المفتشين، فأبى التلاميذ ذلك.

● وقد سمعت وأنا بالمدرسة (مدرسة البوليس) في الساعة الأولى بعد الظهر أن القاهرة في هياج شديد، وأن المظاهرات فيها هائلة جدًّا.

● وعلمت أن طلبة الأزهر والمدارس قاموا مشتركين مع العمال بمظاهرة هائلة... ولقد طافت على شوارع عديدة حتى وصلت إلى منزل سعد زغلول باشا، ومرت في تطوافها بدور قناصل الدول. ولما حيوا قنصل إيطاليا أطل عليهم من منزله وحياهم.

وقد رأيت موكب هذه المظاهرة بعيني رأسي، وكان موقفي قريبًا من محطة ترام الظاهر الواقعة بجانب منزل المرحوم الشيخ الأنبابي، والموكب يسير في شارع الخليج المصري، فبعد أن مر الزعانف والصبية الذين يتقدمون المظاهرات عادة، بدأ الموكب وأمامه علم أبيض به دائرة من القُماش الأبيض وقد كتب عليه بخط جليّ جميل كلمة (الاستقلال) وتحتها سطر بخط فارسي جميل (مدرسة القضاء الشرعي)، وخلف العلم طلبة مدرسة القضاء وطلبة الأزهر، وبعد أن مر ألف وخمس مئة طالب، إذا عَلَم أحمر كتب عليه بالقُماش الأبيض:

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾

(آل عمران: ١٠٣)

وخلفه بقية طلبة الأزهر، وبعد أن مر نحو ألف وخمس مئة طالب آخر، إذا علم مصري وخلفه طلبة المدارس، ثم علم آخر

وقد كتب عليه (العمال) وبعد مرور كل طائفة كبيرة من الناس علم تتلوه طائفة أخرى وهكذا.

وجاء في الآخر علم وراءه طائفة من طلبة المدارس، وبذلك انتهى الموكب، وهو يشتمل على عدد من الطلاب والعمال وغيرهم يقدر بما بين ستة آلاف إلى ثمانية آلاف.

وكان جميعهم يهتفون طائفة بعد طائفة: (ليحيا الاستقلال، ليحيا الوطن، لتحيا مصر الحرة، لتحيا الحرية، ليحيا سعد زغلول باشا، ليحيا نجيب غالي باشا[٣٩]، ليحيا الاتحاد، أحرار في بلادنا كرماء لضيوفنا).

وقد نظموا أنفسهم تنظيمًا تامًّا، وكونت كل طائفة بوليسا منها مسلحًا بالهراوى ينحي عن المتظاهرين من ليس منهم من الزعانف وحثالة الناس، ومعهم من يحمل القِرَبَ لسُقيا من يظمأ منهم، وقوم يحملون قِلالَ الماء، والناس يخرجون إليهم بالماء لسُقياهم، وبعض الناس يسقيهم الماء المحلى بالسكر، والسكان من كل صنف كالشوام المسيحيين والأوروبيين والأقباط على طول طريقهم قد أطلوا رجالًا ونساءً وأطفالًا من بيوتهم يحيونهم ويحيون مصر واستقلالها وحريتها ورجالها وقادتها ويصفقون لهم، والمتظاهرون يحيونهم بالتحية وإظهار

(٣٩) نجيب بطرس غالي باشا (١٢٩٠ - ١٣٥٢هـ/ ١٨٧٣ - ١٩٣٣م) أكبر أبناء بطرس غالي، شغل منصب وكيل الخارجية قبل الحرب العالمية الأولى. وتولى وزارة الزراعة. وكان رئيسًا لجماعة الإصلاح القبطي.

العطـف والإكرام، فكان منظرًا مؤثرًا اغرورقت عيناي بالدموع على بخلها بها في أشد مواطن الحزن وآلمها.

● وعلمت في المساء أن آخر سلك تلغرافي يصل القاهرة بغيرها من البلاد المصرية قد قطع ولم يبق سوى التلغراف الإنجليزي.

● ويقـول فريـق من النـاس إن الجنرال واطسـن أرسـل إلى الحكومة البريطانية يقـول: إن تظاهر المصريين ديني، يُقصد به المسـيحيون عمومًـا والأجانب خصوصًـا، وإن إطفاء الثورة يحتاج إلى شدة وقسوة في المعاملة، وأنه يستأذن في ذلك.

وقيـل إن الحكومـة الفرنسـية سـألت قنصلها فأجـاب بأن الحركـة وطنية مصريـة؛ ليس فيهـا عداء للأجانـب وإنما هي موجهـة إلـى الإنجليـز خاصـة، والقصد منهـا إظهار الشـعور والتضامن مـع الزعماء في طلب الحرية والاسـتقلال، وقيل إن قنصل دولة إيطاليا أجاب دولته بمثل ذلك عندما سألته أن يبين لها حقيقة الحال في مصر.

● وقـد تحـدث النـاس بأنـه تجـري مفاوضـات بيـن بعض الإنجليز وحسـين رشـدي باشـا(٤٠) وعدلي يكن باشـا(٤١) في

(٤٠) حسين رشدي باشا (١٢٧٩ – ١٣٤٧ هـ/ ١٨٦٢ – ١٩٢٨م) درس القانون بباريس، وعـين مفتشًا بالمعارف، وقاضيًا، ومديرًا للأوقاف، ووزيـرًا للعدل، ورأس الوزارة عند إعلان الحمايـة سنة ١٩١٤م. ورأس لجنة وضع الدسـتور سنة ١٩٢٣م. ورأس مجلس الشيوخ سنة ١٩٢٦م.

(٤١) عـدلي يكن باشـا (١٢٨٠ – ١٣٥٢هـ/ ١٨٦٤ – ١٩٣٣م) مـن أسرة تركية. تعلم بمدارس الفرير والجزويت. واختـير بعد الاحتلال سكرتيرًا لوزارة الحقانية، ثم سكرتيرًا لنوبار –رئيس الوزراء– سنة ١٨٨٤م. وعين سنة ١٩١٣م وكيلًا للجمعية التشريعية.=

منزل هــذا الأخير ، ولم يقف أحد علــى موضوع هذه المفاوضة والغاية منها .

يوم الثلاثاء ١٨ مارس سنة ١٩١٩م:

● فــي هذا اليوم أخبرني الســيد مأمون الإدريســي بأن قد قام إلــى الصعيد فــي الليلــة الماضية خمــس بواخر تحمــل جنودًا إنجليزيــة معها المدافع الكثيرة وما يلزمها من الذخيرة ومدافع متراليوز مما يُحمل على البغال أو السيارات ، وآخر باخرة مرت من كوبري عباس الســاعة الرابعة بعد منتصف الليل ، واستعداد الإنجليــز بهذه القوة ينبئ بوقوع حوادث عظيمة تســتدعي هذا الاستعداد العظيم .

● محاصرة الأزهر بالمدافع:

وفــي هذا اليوم قامت مظاهرة غاية في الهول ، غير أن أكثرية الأزهريين حوصروا بما أقيم على أبوابه من الحرس ، ومنع الناس من الدخــول إليه ، وأقيم الجند على أفــواه الطرق المؤدية إليه ، كباب (زويلة) ، ومعهم الســيارات المسلحة ومدافع المتراليوز (الرشاشــة) ، وقــد صُفــت (الخراطيــش) أمام هــذه المدافع ، والجنــد الحارس لا يســمح لأي طالب بالمــرور ، داخلًا كان أو خارجًا ، وقد تعسر على الناس قضاء مصالحهم في تلك الجهة .

= وتولى وزارات الخارجية والمعارف والداخلية ما بين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٩م. وبعد الثورة كان زعيمًــا للتيار المناوئ لسعد زغلول والمهادن للاحتلال. رأس حزب الأحرار الدستوريين سنة ١٩٢٢م.

● وقد أخبرني شاهد عيان أن سير المتظاهرين من عمال العنابر وغيرهم كان على غاية من النظام، فجاءت سيارة إنجليزية بها عسكر، ومع السائق ضابط، فتعمد شق صفوف المتظاهرين مخترقًا جمعهم فداستهم السيارة، وبذلك كثر عدد القتلى والجرحى والمهشمين... وقد تولى بعض موظفي وزارة الأشغال -وكانوا من شهود الحادث- فضمدوا جراح بعض المصابين وأسعفوهم.

● **الأرمن:**

وراج في هذه الأيام أن الإنجليز لما أعيتهم الحيل في جعل الثورة المصرية ثورة دينية موجهة إلى الأجانب، ولم يوافقهم قناصل الدول الأجنبية على صبغ المسألة باللون الذي يريدونه، عمدوا إلى (الأرمن) يغرونهم بإحداث الشغب مع المصريين، حتى يتأتى لإنجلترا أن تتقول على المصريين بما تهوى لتبلغ حاجة في نفس رجالها المستعمرين.

● والعقلاء يحسون اليوم بأن القاهرة قادمة على مجاعة هائلة، والناس مشغولون عنها بأخبار الثورة غافلون عن عواقبها.

● وحدثني بعض أصدقائي أن طيارة ألقت قنبلة على منيا القمح فقتلت عددًا من الرجال والنساء والأطفال، وقال لي إن أحد زملائه الموظفين شهد هذا الحادث بنفسه.

● وحدث في حي الأزهر بعد ظهر اليوم أن جماعة كبيرة من الطلبة غير الأزهريين ألفوا موكب مظاهرة انضم إليها

كثيـــر من الناس حتى كبرت، ولما وصلت المظاهرة إلى شـــارع الصناديقيـــة اصطدمت بقوة من الإنجليـــز كانوا يحاصرون هذه الناحية، فسقط قتلى وجرحى لم يعرف عددهم.

● وقـــال شـــعراوي باشـــا إن الإنجليـــز لايزالون علـــى عتوهم وتمســـكهم بالرغبـــة فـــي محاكمـــة رجـــال الوفد أمـــام محكمة عســـكرية، وتحميلهـــم إثم مـــا حصل فـــي البلاد مـــن العصيان والتخريب.

يوم الأربعاء ١٩ مارس سنة ١٩١٩م:

● أصبحنـــا في هذا اليوم والحـــال على ما هي عليه من وقوف المواصلات، حتى إن كثيرين من أهل الترف والنعيم الذين ليس لهم عربات خاصة ولا سيارات إنما يذهبون إلى أعمالهم ركبانًا علـــى عربات (الكارو)، وقد كانوا من قبـــل يتنزهون عن الدنو منها وهي ســـائرة، فأصبحوا مـــن المتهافتين عليها، والســـعيد منهـــم من يفوز بركوبها، ومما يتنادر به الناس في هذا الباب أن الأســـتاذ محمد حافظ رمضان بك المحامي(٤٢) والأستاذ محمد البنداري أفندي المحامي جاءا من العباســـية إلى القاهرة راكبين عربة (كارو).

---

(٤٢) محمد حافظ رمضان (١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م) رئيس الحزب الوطني -بعد محمد فريد- وأحد الوزراء والقانونيين والكتاب والخطباء.

وقد وقع هذا الخبر عندي موقع الأخبار المدهشة لما أعلمه في صديقي محمد حافظ بك رمضان من الترف في حياته، وأنه لا يحتمل هذه الخشونة إلا لضرورة ملجئة.

وجاءت الأخبار أن حضرات مستشاري محكمة الاستئناف الأهلية الذين كانوا في دور جنايات بني سويف قدموا إلى القاهرة لتعطل الأحوال هناك، وكان قدومهم في سفينة شراعية، ولم يجدوا عند وصولهم سوى عربات (الكارو) فامتطوها إلى بيوتهم فرحين.

وتواجد العساكر الإنجليز بكثرة في جهات المشهد الحسيني والأزهر والسكة الجديدة، وشاهدت فريقًا من القوة التي أعدت من الجيش الإنجليزي لإبطال المظاهرات أمس، وقد ظلت رابضة في أمكنتها إلى الليل وهذا الصباح، ورأيت في ميدان باب الخلق عدة مدافع رشاشة مع العسكر، وكذلك شاهدت في كل مكان من منافذ شارع الخليج قوة من الجنود الإنجليز بالسلاح الكامل.

ومن أغرب ما راج من الإشاعات في هذا اليوم أن مديرية أسيوط أعلنت استقلالها عن الحكومة المصرية، وأن الذين أعلنوا هذا الاستقلال هم الأهالي.

● وفي هذه الليلة يتحدث الناس أن الروح المعنوية في الوفد قوية، وأن ما شاع من عزم السلطة الإنجليزية على محاكمة

أعضـاء الوفد أمام محكمة عسـكرية لم يفـتَّ في عضدهم ولم يؤثر فيهم.

● **إضراب المحامين:**

ومما يذكـر أن المحاميـن عدلوا عـن طلب نقل أسـمائهم إلى جدول غير المشـتغلين بالمحامـاة بأن أعلنوا الإضراب عن المدافعـة أو الحضور أمـام المحاكم، وأبلغـوا ذلك إلى جهات الاختصـاص رسـميًا، وقد ضاعـف إعلان هـذا القرار حماسـة الأهالي أعضاء الوفد والقائد العام.

● ووصلـت الأخبار بـأن ألفي عربـي انتهزوا فرصـة اعتداء الأهالـي على إبراهيـم حليم باشـا مدير البحيـرة فزحفوا على مركز كوم حمادة، فأرسل الإنجليز قوة لقتالهم.

● وفـي بني سـويف أخذ الثائـرون أمـوال الحكومة وهدموا مبانيها وأحرقوا محطات كثيرة، كما قطعوا الأسلاك التلغرافية والتليفونية وأتلفوا بعض خطوط السـكك الحديدية، ومنها ما هـو ملك لسـكة حديد الدلتا التي تملكها شـركة إنجليزية... وذلـك دون أن يمسـوا الشـركة البلجيكية بأذى، وهي تسـيّر قطاراتها في خطوط كثيرة.

● ولقد تكلم مندوبا الوفد للقائد الإنجليزي فقالا: إن الوفد مكلف من الأمة بالمهمة التي وكلته فيها، ولا يستطيع أعضاؤه الرجوع إلى الوراء قبل أن يتموا المهمة المنوطة بهم. وقد رأيتم

يــا جنــاب القائد هيــاج الأمة فــي كل ناحية، ونحن نخشــى أن يبطش بنا الشعب إذا لم نقم بما عهد به إلينا.

● وحدثني بعض الأصدقاء ممن لهم صلة ببعض الجاليات الأوروبيــة أن أُسَــرَهم فــي أوروبا أرســلت إليهــم كتبًا ملئت بالإِعجاب الشديد بأعمال المصريين، وأنهم ما كانوا يظنون أن المصرييــن يقدمون على ثورتهم في الوقت الذي كمل فيه الظفر والنصر لبريطانيا العظمى وحلفائها.

يوم الخميس ٢٠ مارس:

● مظاهرة للسيدات:

في الســاعة العاشــرة صباحًا اجتمعن من كل أوب ممتطيات الســيارات والعربات، وســرن فيها إلى أن وصلــن إلى الحديقة التــي تقع قرب نهــر النيل بموضــع القصر العالــي (في جاردن ســيتي)، ولما جاء الموعد المقرر ســرن ماشيات على الأقدام، وفي مقدمتهن ســتة أعلام كلها باللون الأســود، وقد كُتِبَ على أحدهــا باللغة العربيــة وبالخط الجلي بالقُمــاش الأبيض: (إننا نحتَجُّ على سفك دماء الأبرياء العُزَّلِ من السلاح)، وكُتِبَ على العَلَــم الثاني: (إننا نحتَجُّ على اعتقال الأبرياء)، ثم كُتِبَ على العَلَم الثالث: (إننا نطلب الاستقلال).

وَقَــد رأيت على كل عَلَم مــن الثلاثة الأعلام الباقية ترجمة ما على أحد الأعلام الأولى باللغة الفرنسية، وكان كل علم تحمله

ســيدتان، وقد أعددن أوراق احتجاج لتقدم واحدة منها إلى كل قنصل من قناصل الدول إذا مررن بداره.

وكان ســير المتظاهرات ومركباتهن خلفهن في شــارع قصر العيني ثم في شــارع ناظر الجيش بالإنشــاء، ثم واصلن سيرهن بنظام تام حتى وصلن إلى شــارع ســعد زغلول باشا، ووقفن أمام بيته هاتفات والناس من حولهن.

وبينمــا هن على هذه الحــال أقبلت قوة كبيــرة من البوليس مشــاة وركبانًــا وتلتهــا قــوة من الجنــد الإنجليــزي وصلت في الســيارات وهــي مســلحة بالبنــادق، ومعهــا ســيارات وضعت فيهــا المدافع الرشاشــة (المتراليوز)، وفــي الحال ضرب على الســيدات المتظاهرات نطاق مــن جند البوليــس وخلفه نطاق آخــر من الجند الإنجليــزي، وبذلك حُصرت الســيدات حصرًا تامًّا محكمًا، ومنعن من المســير إلى منازلهن أو السير فيما كُنَّ بســبيله، ومن الدخول فــي المنازل المجــاورة، وظللن واقفات في الشــمس من الســاعة العاشــرة والنصف صباحًا إلى الساعة الواحدة بعد الظهر.

والناس يقولون إن إحدى السفن التي ذهبت إلى الوجه القبلي أو اثنتين منها شحطتا في النيل، فأوقع بمن فيها الأعراب فقتلوا وجرحوا وأصيبوا كما أصابوا.

يوم الخميس ٢٠ مارس(٢):

وفــي هــذا اليوم جــاءت الروايــة عن حــادث الاعتــداء على إبراهيم حليم باشــا مدير البحيرة فــي دمنهور، ويروي الراوون

أن المتظاهرين مروا أمام بابه، فخرج إليهم وأفحش في سبهم إفحاشًا شديدًا، وتحداهم أن يكون بينهم رجل، فبرز إليه شاب في يده (نبوت) وقال: (أنا رجل يا سعادة الباشا) ثم أهوى إليه بنبوته، وتبعه بعض المتظاهرين بالأسلحة غير القتالة.

● أما الحركة في ناحية الوفد المصري فهادئة، ورجاله يُظهِرون الجلد والثبات، والناس يهتفون بشأن العمال -جمع المال لهم سرًّا وعلى حال خفية- والأخبار عن التخريب والتدمير كثيرة، وأكثرها من الأقاليم.

ويقول الراوون: إن الطريق الزراعية من الإسكندرية إلى مصر محفور فيها خنادق تمنع السيارات من المرور، وأن كل خندق عنده جماعة من الأهالي يسألون السائر عن اسمه وشأنه ويأمرونه بقراءة الفاتحة، فإذا قرأها كان ذلك جوازه ويضعون له أخشابًا يمر عليها إن كان معه سيارة، وإلا فلا جواز له.

● ومن الأحاديث التي تدور بين الناس أن المستر شيتهام طلب إلى قنصل فرنسا أن يأمر العساكر الفرنسية في مصر -وهم نحو ستين جنديًّا- بالاشتراك مع الإنجليز في إخماد المظاهرات؛ لأن المسألة دينية ضد المسيحيين، فأجابه: «إني قلت قبل الآن إن المسألة وطنية لا دينية، وإنها ضد الإنجليز وليست ضد الأجانب، وأنا لا أنقض ما قلت. على أن الإنجليز الذين في مصر ليسوا من الضعف بحيث يحتاجون إلى معونة ستين جنديًّا فرنسيًّا».

ثم جمع القنصل الفرنسي كبار الجالية الفرنسية (ديبوتي)، وعـرض عليهم الأمر، فقرروا أن الحركة ليسـت ضد الأجانب، وأعطوه تقريرًا بذلك إجابة لمطلبه.

● موقف للشيخ بخيت:

وأخبرت أن الأسـتاذ الشـيخ محمد بخيت (المفتي) كتب إلى القناصل أن يتوسـطوا لدى السـلطة العسـكرية الإنجليزية لحقـن الدمـاء التي تراق بـلا ذنب وإطـلاق المعتقلين، والإذن للوفـد بالسـفر حتى تهدأ هـذه الأحوال، وقد وقّـع له على هذا الكتاب عشـرة من العلماء، ومع أن هـذا العمل يذكر لفضيلته بالشـكر فإن فريقا من الطلبة يئولونه بغير ما قصد صاحبه. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

● وأذيع منشـور بين الناس -وليس لدي نسـخة منه- أشـار إلـى أن الإنجليز يريدون أن يُفَوِّتوا على المصريين فرصة انعقاد مؤتمر السلام فلا يفرجوا عن سعد باشا وزملائه إلا بعد أن ينجز المؤتمر عمله وينفض.

● وقد علمت أن كثيرًا من المصورين الأجانب اسـتطاعوا أن يصـوروا السـيدات المصريات في أثنـاء موكبهن، ثم في نطـاق الحصار الذي ضرب عليهن سـاعات وهن واقفات في الشـمس، وكان الجنـد الإنجليزي مصوبًا بنادقه وسـنكياته إلى صدورهن.

يوم الجمعة ٢١ مارس:

● الناس يتهامسون اليوم بأن الإنجليز كانوا قد أرسلوا قوة تقدر بنحو مئة وخمسين جنديا إلى الفيوم مع عبد العزيز يحيى بك مدير الفيوم، فلما استقرت القوة في معسكرها هاجمها الأعراب فلم يُبقوا منها دَيَّارًا، وغنموا المعسكر بما فيه من سلاح وذخيرة.

● ويذكرون أن بعض الجنود الإنجليزية في أسيوط دعوا إلى حفلة شاي ببيت أحد الوجهاء فأغلق أهل أسيوط المنزل عليهم وهم محبوسون فيه.

● واشتهر أمر عريضة تُمضى من كثير من الناس مضمونها الطلب من نائب ملك الإنجليز أن يبيح الكلام لكل متكلم، وأن يأذن بالسفر لمن يريد داخل القطر وخارجه، وأن يأمر بإطلاق المعتقلين، وأن يصدر العفو عن أرباب الجرائم السياسية، وأن هذه العرائض يعمل في إمضائها كثيرون منهم الأستاذ الشيخ محمد بخيت المفتي وصاحب الفضيلة شيخ الأزهر(٤٣) وإبراهيم فتحي باشا وغيرهم.

● وفي هذا اليوم التقيت مع الأستاذ الشيخ محمد شاكر والأستاذ محمد إبراهيم هلال والشيخ إسماعيل خليل،

(٤٣) شيخ الأزهر الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي (١٢٦٢- ١٣٤٦هـ/ ١٨٤٧- ١٩٢٧م) من كبار علماء الأزهر وشيخ معهد الإسكندرية، وشيخ المالكية. له مؤلفات في المنطق والأصول.

وتجاذبنا أطراف الأحاديث في كثير من الأحوال الحاضرة وأسبابها وتطورها من حال إلى حال، فمما قاله لي الأستاذ الشيخ محمد شاكر: إن الوفد إنما قام بمطالبة السلطة الإنجليزية بالسفر إلى أوروبا فقط. والطلبة إنما قاموا احتجاجا على ما صدر من الإنجليز من منع الوفد من السفر ومصادرة الحرية باعتقال بعض أعضاء الوفد، فلما رأوا أن المسألة قد كبرت وطم سيلها واستطال شررها وعظم شرها وضررها وتعطلت الأحوال، والوفد لا ينزل عن المطالبة بالسفر، أراد الإنجليز أن يلفتوا الناس عن مطالب الأمة الأساسية، ذلك أنهم عمدوا إلى ناس ذوي نيات حسنة وشفقة على الأمة، يتألمون لما أصابها من الكوارث، ويودون من كل قلوبهم أن يروا الأمة هادئة قريرة العين، فأعطوهم عرائض قد كتبت في الوكالة البريطانية تتضمن مطالب قد خلقتها الوكالة، ودست فيها السم في الدسم، وصورت الأمة بصورة المُطالِب بها، وهذه العرائض تختلف في مبناها وتتحد في معناها.

إن الطلبة لم يقوموا بمظاهرتهم لحَيفٍ أصابهم أو لجورٍ نالهم أذاه. وإنما قاموا بها لأن السلطة الإنجليزية أكثرت من أعمالها التي أرادت بها إخفات صوت الأمة حتى لا يسمع لها صوت في قضيتها، وليس قبض السلطة على المعتقلين هو الذي آثار سخطهم؛ ولكن كان ذلك لاعتبارهم رمزًا للدفاع عن قضية الأمة المصرية.

وأيضا فإن الناس لم يَشْكوا عدم إطلاق سراح الكافة، ولم يطلبوا التصريح بالسفر لكل من يريد، وإنما يشكون حجر السفر على الوفد الذي هو لسان الأمة الناطق، ولكن الإنجليز أرادوا أن يوجهوا الأمة في تيار غير الذي قامت المظاهرات من أجله، ليقولوا بعد ذلك قد أجبنا مطالب الأمة، فأعطوا العرائض التي طبخوها من مختلف الصيغ والعبارات عندهم لعدة من الناس لإمضائها وتقديمها لرجال السلطة، وفي ذلك تقليل من اعتبار الوفد وإحباط لمقاصد الأمة.

إن الوكالة البريطانية أعطت العرائض لحضرة الشيخ المفتي الذي طاف بها على كل من السيد عمر مكرم نقيب الأشراف، والسيد عبد الحميد البكري شيخ مشايخ الطرق، والشيخ محمد أبي الفضل شيخ الأزهر، والشيخ محمد محمود ناجي رئيس المحكمة ـ العليا الشرعية، وأعطوا عرائض أيضا للفريق إبراهيم فتحي باشا، وغيره وغيره، وإن هذا العمل هو المقصود من قول القائد العام في منشوره الذي نشرته الجرائد إنه لا يعارض في إيفاد الوفود على السلطات بالمطالب، بشرط أن تكون الوفود صغيرة وتنال إذنا منه.

● وقد طلب الشيخ محمد شاكر من السيد محمد عبد العال الإدريسي أن يأخذ له موعدا من المستر كومباين السكرتير الشرفي في دار الوكالة البريطانية، فلما قابله سأله المستر كومباين:

● إنك طلبت مقابلتي فلأي شيء؟

●● فقال الشيخ : جئت لمقابلتك في أمر مهم، وهو أني أعلمك بما حصل من العساكر الإنجليزية أمس من التعدي على مسجد الحسين ابن بنت رسول الله، فهذا ما جُرح له فؤاد كل مسلم، إنكم بهذا العمل أوجدتم في كل بيت من بيوت مصر مأتما، فلم يبق مجلس من مجالسنا العامة أو الخاصة إلا وفيه عيون تذرف الدموع، وأنا لا أفهم ولا أقدر أن أفهم كيف يقبل الشرف البريطاني والشهامة البريطانية أن يصدر هذا العمل من الجند البريطاني، ولا يمكن للمدنية الأوروبية أن تبرر هذه الفظائع، فماذا جرى للإنجليز؟ ولماذا انقلبت أعمالهم وحال رجالهم عما يعهده الناس فيهم؟ إنكم -يا مستر كومباين- أضرمتم النار في القلوب وجرحتم الأفئدة جرحا بطيء الاندمال، ومن العجب أننا قرأنا في الجرائد من مدة أن الجيش الإنجليزي في العراق ترجل جنرالاته وضباطه وعساكره وهم مارون بمكان مقتل الحسين، وأنتم في مصر تضربون المكان الذي دفن فيه بالمدافع، فما بال الحسين يكرم بالعراق ويهان بمصر[٤٤]

● أليس إذا دخل دار الوكالة داخلٌ يكون ملتجئا إليكم، والمعتدي عليه وهو عندكم يكون معتديا عليكم؟

- فقال : بلى.

---

(٤٤) أي: من جنود الاحتلال. (المجلة).

- فقال الشيخ : إن الناس قد التجئوا إلى الحسين فضربتموهم بالرصـاص، وقتلتموهـم فكأنما فعلتم ذلك بالحسـين، في أية مدينـة أو أي ديـن يضرب السـاجد لله تعالى ويقتـل وهو يؤدي الفريضة؟

إن المدافـع ما كانت تضـرب المتظاهريـن، ولكنها كانت مقتـرب اللاجئين الفاريـن، ولقد تحول المـكان إلى بركة دم؛ لقد أوقدتم النار في صدورنـا، وجرحتمونا، فانظروا في الدواء وفكروا في الترضية.

● فقال : وما يرضيكم؟

●● فقـال الشـيخ : إن المعتدى عليه لا يفكـر فيما يرضيه، ولكـن عليكم أنتـم أن تفكروا فـي ذلك، ولا تتركـوا صدورنا تأكلها النيران وقلوبنا تؤثر فيها الجراح.

●● وفـي هذا اليوم أخبرنـي أحد الأصدقاء بـأن الطريق بعد الواسـطى غير مأمونة؛ لأن الناس يطلقـون الرصاص على القوة الإنجليزية التي كانت ذاهبة بعد الواسـطى، فعادت وعسكرت هناك.

● وشـاع في هذا اليوم أن السـلطة الإنجليزية أرسـلت طيارة أو طيـارات فضربـت الفيوم وبني سـويف والواسـطى، فقتلت وخربت في تلك البلاد.

● وفي هذا اليوم شُـيِّعَت جنازة أول شـهيد -من شارع ممتاز بالبغلة- جنازة الشـاب الطالب ماهر، نجل صديقنا حافظ أمين

مأمور مركز جرجا سابقا، وكان هذا الشاب في جهة الأزهر يوم الثلاثاء ١٨ من الشـهر الحاضر، فغافـل الجند واختطف مدفعا رشاشـا وأسـرع به يريد دخول الأزهر، فأطلق عليه أحد الجنود رصاصـة أصابت رجله وصـوب عليه آخر أخـرى أصابت ظهره واخترقـت المثانة، ونقل إلى مستشـفى عباس ومات به مسـاء الخميس.

ولما حان خروج الجنازة اجتمع طلبة مدرسة القضاء الشرعي والأزهـر والمدارس العالية وغيرهم وغشـوا الخشـبة التي فيها الجثـة براية مصرية كتب عليها: (فليحيا الاسـتقلال، شـهيد الحرية) ورتبوا أنفسهم ترتيبا بديعًا منتظما وحمل النعشَ أربعةٌ من طلبة مدرسـة القضاء الشـرعي، وكان الاحتفال مهيبًا رهيبا مشـى فيه كثير من أفاضل المدرسين والأعيان وذوي الوجاهة، وقـد فزعت لذلك المحافظة وظن بعض الناس أن الجنازة مزيفة لغرض التظاهر، وقد سـار مشـيعو الجنازة إلى منزل سـعد باشا وأرادوا أن يمـروا بها على دور القناصل فمنعتهم الجند، ومروا بشارع القصر العيني إلى جبانة زين العابدين وقد ألقيت الخطب الكثيرة، وكان الناس في حزن شديد.

● وقد ذاع كلام يؤخذ منه أن المسيو ليفيفر بوا نتاليس عزل من قنصلية فرنسـا بسـبب أنه لم يوافق على القول بأن الحركة دينيـة يُقصَـد بها الأجانب المسـيحيون، ومثـل ذلك يقال عن

قنصل إيطاليا، وأنه منع من أن يرسل تلغرافات ففضل الاستقالة على مخالفة ضميره.

● وأنبئت أن إبراهيم فتحي باشا يسعى في تأليف وفد ليذهب إلى السلطة لتقديم العرائض لتهدئة الحال وطلب الاستقلال الداخلي، ولكنه لم يجد من يوافقه على ذلك، وعلى الجملة فإن القوم جادون في تفريق كلمة المصريين وآية ذلك: اختلافهم في شأن هذه العرائض ولله في خلقه شئون.

● ومن الفيوم ورد قادمون إلى مصر رووا أن الثائرين عسكروا حول مدينة الفيوم ودخل جماعة منهم ومعهم بعض العمد من العرب إلى سلطان بهبس بك، فذهب معهم إلى المدير عبد العزيز يحيى بك، وقال له أحد العمد: «قد عزلناك يا سعادة المدير» فأجابه قائلا: قد رضيت.

وذهب فريق منهم إلى المعسكر البريطاني بالفيوم (وجنوده هنود) فلما رأى الجند الناس مقبلين ظنوهم مهاجمين، فأطلقوا عليهم مدفعا رشاشا قتل منهم خمسة وثلاثين، وجرح تسعة عشر نفسا ومنهم باشمهندس الري وابنته وزوجته، وكانوا يطلون من نوافذ البيت.

يوم السبت ٢٢ مارس:

● لا تزال المواصلات على حالها والجند الإنجليزي يقطع طرق الأزهر على الأزهريين والطلبة، وهو آخذ بأفواه جميع

الطـرق المؤدية إلى الأزهر إلا بعض مخارم[٤٥] لا يعرفها سـوى الأزهريين في ناحية شـارع الشـنواني، وقد جُرد جنود البوليس المصريون من الأسـلحة جميعها سوى العصي، وذلك خوفا من انضمامهم إلى المتظاهرين.

● وقـد ذكـر لـي صديـق أن صبور أفنـدي (صاحـب مكتبة بالعباسـية) قرأ فـي جريدة أوروبية أن مؤتمر الاشـتراكيين في مدينة برن بسويسـرا عقد وفيـه مندوبو اثنتين وعشـرين أمة، وقد أرسـل إلى مؤتمر الصلـح يحتج على إهمـال الهند ومصر مـن برنامـج أعماله، وأنـه لا ينبغي له أن يصغـي إلى تمويهات الإنجليـز الذين يقولون: إن المصرييـن راضون عن حكمنا ولا يريدون سواه، وأشار على مؤتمر الصلح أن يرسل بمندوبِين من دول مختلفة لأخذ رأي المصريين في مصيرهم.

● وقـد علمت اليوم أن شـعراوي باشـا تكلم مـع محمد عز العرب بك وتناول الحديث العريضة التي يأخذ الشـيخ المفتي الإمضـاءات عليها فوقـع فيه أحد المحامين الشـرعيين، وكان حاضرا فامتعض شـعراوي باشـا مـن قوله، وقال لـه: إن الخير إذا أتـى من أية ناحيـة فهو خير مقبول على كل حال والسـاعي فيـه مشـكور، وأن العلماء لا ينبغـي لهم أن يقوموا هـذا القيام فـي العريضـة، وعلى ذلك أرسـل محمد عـز العـرب ابنه عبد العزيـز أفنـدي ليحث الطلبة فـي الأزهر وفـي النواحي الأخرى

(٤٥) مخارم جمع مخرم وهو الطريق في الجبل أو الرمل. (المجلة).

التـي كانت فيهـا الخطابات تلقى دائمًا، علـى الهدوء، فذهب إلـى تلك النواحي وقال لهم: إن أبي يؤكـد أن العريضة لا ضرر فيها، ويؤكـد أن إمضاءها وتقديمها مصلحة للوفد، فلم يمتثل الطلبة، وقالوا: «حتى نراجع فلانا وفلانا» ممن يثقون بهم.

وفي مسـاء هـذا اليـوم قابلني أحـد أصدقائـي وأخبرني بأن الأستاذ الشيخ محمد شاكر ناقم على العريضة، وبعد مناقشات بيننا وبين الشـيخ شـاكر أصر إصرارًا تاما علـى القول بأن هذه العريضة ضارة ومع ذلك فإنه يسـلم بأنها لا تحتوى شيئًا سيئا؛ لأنه يطلب بها عدم إطلاق الرصاص على الطلبة، وإباحة الكلام لـكل متكلـم، وإباحة السـفر داخـل القطر وخارجـه لكل من أراد، وإطـلاق المعتقلين، والعفو عن أهل الجرائم السياسـية، وكانـت حجته في ذلك الإصـرار أن تقديم هـذه العريضة ينفع الإنجليز ويؤيد حجتهم في أن المسـألة دينية، وأنهم سيُجيبون الطالبيـن بتكليفهم تهدئة الحال، وأنهم سـيخابرون دولتهم، وقصـارى أمانيهم ذلك؛ لأن الرد على الطلبات لا يأتي إليهم إلا بعـد أن يكون مقدمو العريضة قـد أثمرت نصائحهم، ونجحت دعوتهم في إعادة السـكينة، وبذلك يورطـون مقدمي العريضة ويكلفونهـم تهدئة الحـال عند كل حركة ويجعلونهم شـركاء للقائمين بالمظاهرات.

والشيخ -شاكر- يعتبر في عرف مخالفي رأيه أنه منبع للتيار الجارف الذي يسير في اتجاه مخالف للقائلين بإمضاء العريضة وتقديمها إلى السلطات الإنجليزية، وعنده أن الإنجليز لم يستدعوا الشيخ المفتي ويطلبوا إليه إمضاء العريضة إلا لمصلحتهم لا مصلحة أهل البلاد، ولا يُسَلم الشيخ شاكر بما قيل له من أن تقديم العريضة إذا لم يُفدِ فإنه لا يَضُرُّ، وأخبرني بعض من لهم يد في هذه الحركة أن العريضة في اليد، وأنها وصلت سليمة إلى أيدي أناس بعد أن أخذت قهرًا من شيخ الأزهر، ويمكنهم أن يتمموا إمضاءها وتقديمها ولكن الغرض تسكين ثائرة الأستاذ الشيخ محمد شاكر حتى لا يبطش الطلبة بمن أمضوا العريضة.

● **إمبراطورية زفتى:**

وفي هذه الليلة وقفت على نشرة صدرت بزفتى تتضمن ما حصل فيها من قيام الأهالي تشكيل لجنة من أناس عينت أسماؤهم بها، وأنهم أخذوا على عاتقهم أن يكونوا المرجع الأعلى للأمور الإدارية -ولقد علقت الأميرة نازلي هانم على ذلك بقولها: إن الواحد منهم لا يساوي الحبل الذي يشنق به!

يوم الأحد ٢٣ مارس:

أصبحنا في هذا اليوم والمواصلات على حالها من الانقطاع، والعساكر الإنجليزية بأسلحتها ومدافعها وعتادها رابضة

علـى أفواه الطرق الموصلة إلـى الأزهر، وقد مررت بكرة النهار على الأستاذ الشيخ مصطفى القاياتي[٤٦] -من مدرسي الأزهر الشريف- وهو فاضل معروف، وأديب له نفوذ بين كثير من طلبة الأزهر، وعندي أنه إذا كان الأستاذ الشيخ محمد شاكر منبع التيار المنبعث ضد الأستاذ الشيخ محمد بخيت المفتي ومن أمضوا العريضة، فإن الشيخ مصطفى القاياتي يعتبر قنطرة يحبس عندها جريان الماء ويهدأ التيار.

فلما تلاقينا ببيت القاياتي -بجهة السكرية- أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا، وسألته عن أمر العريضة، فناولني صورتها وقرأتها، فإذا هي خالية من كل شائبة فقلت له: وما وجه الاعتراض عليها، فقال أولا: إنه يخاطب فيها (نائب الملك) وهو اعتراف بالحماية التي لا نريدها.. ثانيا: أن مطلبنا لا يتغير وهو الاستقلال، وقال: إن هذه الحالة إذا هدأت لا تعود، والإنجليز يشترطون تهدئة الحال، وهم لا يوفون بوعد ولا يوثق لهم بعهد، ولا يمكن أن يحل المسألة سوى إعلان الاستقلال، ولا نرضى بسواه.

● ولقد اجتمع بعض أهل الشرقية يريدون فك أسرى الأتراك في معسكر قريب من السنبلاوين، فلما قرب الأهالي من

(٤٦) تعلم بالأزهر ودرس الأدب بالأزهر وبالجامعة المصرية، كان خطيبا جريئا وانتخب نائبا بالبرلمان ثلاث مرات متعاقبات.

المعسكر جاءهم ضابطان برتبة يوزباشي وسألاهم عن مرادهم فأخبروهما، فأبيا عليهم إطلاق الأسرى.

فحمل الطيش بعض الأهالي فقتلوا الضابطين، فلما رأى المعسكر ذلك أطلقوا عليهم الرصاص فقتل من الأهالى نحو مئتي رجل.

يوم الأحد ٢٣ مارس (٢):

● عريضة العلماء:

أثبت هنا صورة العريضة التي أمضيت من بعض العلماء، وقد أخذها الطلبة بالقوة من صاحب الفضيلة شيخ الأزهر، وهي:

«صاحب الفخامة نائب جلالة ملك بريطانيا العظمى في القطر المصري.

إن قمع المظاهرات السلمية الحاصلة الآن بإطلاق الرصاص وسفك الدماء تأباه العواطف الإنسانية، ولا توافق عليه أي دولة من الدول التي تدعو إلى السلم والحرية، خصوصًا دولة بريطانيا العظمى، فلذلك نرجو من فخامتكم أن تتوسطوا في العدول عن هذه الأمور، مع إزالة الاضطرابات بإزالة أسبابها بأن ترخص لكل مصري بالسفر إلى الجهة التي يريدها داخل القطر المصري وخارجه في أي وقت يشاء، وأن يخلى سبيل جميع المعتقلين والمبعدين والمسجونين بسبب هذه الحركة على وجه عام، وأن تترك الحرية العامة لجميع المصريين لإبداء عواطفهم وأمانيهم القومية داخل القطر المصري وخارجه

بدون تعرض لهم، حتى بذلك يمحى كل أثر في النفوس، وتعود الطمأنينة للبلاد، وترجع الأمة لما ألفته من الهدوء والسكينة.

وكونوا على ثقة تامة بأنه ما حملنا على بسط هذا الرجاء لدى فخامتكم إلا رغبتنا الشديدة فيما فيه مصلحة الأمة المصرية بجميع طوائفها.

كما أن لنا الثقة التامة في رجال الدولة البريطانية العظمى القائمين بالعمل في القطر المصري من عسكريين وملكيين أن يحققوا ما رجوناه منعا لهذه القلاقل التي كادت تعم القطر كله، وتفضلوا بقبول فائق الاحترام».

يوم الاثنين ٢٤ مارس:

لقد سمعت في هذا اليوم أن الإنجليز في الليلة الماضية كانوا يضعون الأسلاك الشائكة على أفواه الطرق الموصلة إلى بلدة إمبابة تمهيدا لما اعتزموه من تخريبها بقنابل المدافع، والسبب في ذلك أن شريط السكة الحديدية يقطع عندها كل ليلة.

● وقد طرق الآذانَ خبرٌ مزعجٌ، وهو أن الإنجليز باتوا يأبون المفاوضة وتهدئة الأنفس الثائرة وقد اعتزموا إخمادها بالقوة القاهرة، وأنهم لايريدون أن يسمعوا لمصري صوتا، فإذا صح هذا فإننا نتوقع شرا مستطيرا وضررا فادحا عظيما ولا حول ولاقوة إلا بالله وهو المستعان.

● وقــد حضــر من الغربية فــي هذا اليوم نحــو ٢٣ عمدة من طنطــا ليرفعوا احتجاجًا لدى قناصل الدول والقائد العام على ما حصــل بطنطا من الفظائع وقتل الأبرياء، ويطلبوا سـحب القوة الإنجليزيــة من مدينتهم، والســماح للوفد بالسـفر إلى أوروبا، وإطلاق سـراح المعتقلين. وبينـوا أنه بدون ذلك لا يهدأ للبلاد حال.

والإنجليز إلى الآن لم يعملوا للناس شيئًا يخفض من حدتهم ويسـكن ثائر أنفسهم، وإن الروح السـاري في الناس والغضب المسـتولي على أنفسـهم لا يهـدأ إلا بنيل المطالـب. وهم في هذا الهِياج لا يبالون رءوسـهم تتطـاح ودماؤهم تباح وأرواحهم تذروها الرياح.

● وفي هذا اليوم أنبأني صديق لي بأن عبد الله أباظة بك -من وجهاء الأسـرة الأباظية- وفد إلى مصر في عدد كبير من وجهاء منيا القمح، ويمموا دار القنصلية الأمريكية، فقابلهم السكرتير وسـألهم ماذا يريدون؟ فقالوا له: نريـد مقابلة القنصل؛ لنرفع إليه احتجاجنا على الدكتور ويلسـن رئيـس جمهورية الولايات المتحدة، ونطلب منه التعويض عن مصابنا فضحك وقال لهم:

- وكيف ذلك؟

- فقالـوا له: إنه أعلـن مبادئه الأربعة عشـر، وطلب الصلح عليهـا، فقبلها الألمان والمتحاربون. ومن مبادئه أن الشـعوب الضعيفة تستشـار في مصيرها، ولا يُحكم شـعب بالقهر عنه،

وعُقِدَ مؤتمر لذلك تسمع فيه أصوات الأمم والشعوب، فاغتررنا بمبادئه ووعوده، وقمنا نطالب بحقنا، فكان جزاؤنا أن أرسل الإنجليزُ علينا طياراتهم تقذفنا بالقنابل المهلكة المدمرة، فقتلوا الرجال والنساء والشيوخ والأطفال، ولكونه هو الذي غرر بنا حتى أوقعنا في الضرر، نطالبه بتعويض ما أصابنا من خسارة، ونحتج عليه أشد احتجاج؛ لأنه قال قولًا لا يثق من نفسه ولا ممن ينصرهم ويحارب في صفوفهم بتنفيذه.

فذهب السكرتير إلى القنصل وقص على سمعه ما قالوه له. فقال له: قل لهم: إن القنصل سيرفع إلى الدكتور ويلسن [٤٧] أقوالكم.

● وفي هذه الليلة علمنا أن الإنجليز أتوا من سوريا بجنود مصريين بحجة أن العرب يغيرون على الأهالي في مصر، وأرسلوا بهؤلاء الجنود إلى الصعيد فورًا دون أن يعلموا حقيقة الحال، فأسرع الطلبة وكتبوا منشورًا ضمنوه وصف الحال، قاصدين انتشاره بين أولئك العساكر ليكونوا على بينة من الأمر.

● ومما شاع في هذا اليوم أن إحدى الصحف تطبع نسختين مختلفتين توزع إحداهما في مصر والأخرى ترسل إلى الخارج،

---

(٤٧) د. ويلسون -توماس وودرو (١٨٥٦ - ١٩٢٤م) من الحزب الديمقراطي الأمريكي. الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية. درس القانون. وعمل بالمحاماة. ودرس العلوم السياسية والقانونية بجامعة (هوبكنز) وكان مديرًا لجامعة (برنستون ١٩٠٢ - ١٩١٠م). وانتخب حاكمًا لولاية (نيو جرسي ١٩١١ - ١٩١٢م). أيد الحماية الإنجليزية على مصر، وسيكس بيكو، ووعد بلفور.

وفــي هــذه تَدَّعــي أن في مصــر ثورة دينيــة من المســلمين ضد المســيحيين، لتصــور الحــال فــي مصر تصويــرًا يبــرر أعمال الإنجليز.

يوم الثلاثاء ٢٥ مارس:

● نحــن الآن فــي حالة تشــبه أن تكون حالة حــرب، إذ ليس يســافر إلــى الوجه البحــري إلا الأجانــب المصرح لهــم بذلك بشــرط أن يكونوا مســافرين إلــى الخارج، وكذلــك الأهالي لا يسافرون بالســكك الحديدية إلا إذا كانوا موظفين سائرين إلى مقر أسرهم، أو يثبتوا أنهم مكلفون بأعمال للسلطة العسكرية. وامتنعــت المواصلة بطريق النيل، وأقيمــت أتومبيلات بوليس على الأتومبيلات المسافرة. وهكذا الحال.

● وقــد رأيــت عز العرب بك اليوم، وعلمــت أنه رفع الطلب والمنشــور، وأن جماعــة مثل: ويصا واصــف (٤٨) ومرقص بك حنا (٤٩) وعبد اللطيف بك الصوفاني أَبَوا التوقيع بحجة أن ذلك

(٤٨) ويصــا واصــف (١٢٩٠ - ١٣٥٠ هــ/ ١٨٧٣ - ١٩٣١م) درس في فرنسا. وعمل بالتدريــس والمحامــاة وتعرف على مصطفى كامل، واختير عضــوًا باللجنة الإدارية للحزب الوطني. وعمل مستشارًا للوفد المصري بباريس سنة ١٩١٩م. واعتقل بعد نفي سعــد زغلول سنة ١٩٢١م. وانتخب وكيلاً لمجلس النواب في عهد سعد زغلول، ورئيسًا له في عهد النحاس. واختاره المحامون نقيبًا لهم عدة مرات.

(٤٩) مرقــص حنــا (١٢٨٩ - ١٣٥٣هـ/ ١٨٧٢ - ١٩٣٤م) درس في فرنسا. وعمل بالنيابة والمحامــاة. واختير نقيبًا للمحامين. وكان نصــيرًا لمصطفى كامل والحزب الوطني. واختير سنــة ١٩١٩م عضوًا بلجنة الوفد المركزيــة. واعتقله الإنجليز إبان نفي سعد زغلول. وتولى وزارة الأشغال سنة ١٩٢٤م ووزارة المالية سنة ١٩٢٦م ووزارة الخارجية سنة ١٩٢٧م.

انهزام أمام القائد، وأنه ليس فيه طلب تسريح الوفد أو شيء من ذلك، وأن تهدئـة الحال على مثل ذلك فيه انتحار القطر وإهانة لعواطف أهله... إلخ.

● ورأيـت في (المقطم) جملة تشـير إلى حـض المصريين والعقـلاء منهـم على مفاوضـة رجال السـلطة في إنهـاء الحال الحاضـرة، لأن القائـم بها هم الرعاع والشـبان، وطريق الكلام بالـذي يفهمـه هـؤلاء إنما هو الإرهـاب. وتـرى (المقطم) أن الواجب على العقلاء أن يخاطبوا القائد العام ويفاوضوه في شأن إسكان الحركة، ويبسطوا له مطالب البلاد ليسعى في إجابتها.

● وقـد أخبرني أمين عز العرب أفندي أنه اطلع في هذا اليوم على ورقة ممضاة من ملاحظ بوليس مركز قليوب، وهي نشـرة عامـة لعمد البلاد يأمرهم أن يعلنوا بطريـق المناداة في بلادهم أنـه محظور علـى كل واحد في البلاد أن يوجـد خارج منزله من السـاعة السـابعة مساءً إلى السـاعة الخامسـة صباحًا، وأن كل واحـد تمر بـه الدورية الإنجليزية عليه أن ينـزل إذا كان راكبًا، وأن يعطي التحية للضابط الإنجليزي برفع يده إلى رأسه.

أقـول: إن مسـألة التحية والنزول قانـون وضعه الإنجليز في السـودان، ولا يعفى منه إلا عدد يسـير في الخرطوم وأم درمان، وهؤلاء معروفون بأسـمائهم، والمصريون لـم يألفوا هذا الأمر ولا اعتادوه مع حاكم من الحكام.

● وفي هذا اليوم أخبرني عامل بمصلحة التلغراف أنه ورد على السلطة تلغراف من أحد الضباط الإنجليز يطلب فيه ضرب بلد بين النخاس والزقازيق بالمدافع ؛ لأن السكة الحديدية قطعت عندها على الفرع الذي بين الزقازيق وزفتى، فلما وصل الضابط (بالترولي موتر) المسلح إلى موضع القطع أراد الرجوع إلى الزقازيق فوجد الطريق قد قطع خلفه.

● وفي هذا اليوم أرسلت القوة التي ذهبت إلى أسيوط تطلب ذخيرة لأنه لم يبق عندها إلا ما يكفي ساعة واحدة، وطلبت أن يكون إرسال الذخيرة بالطيارات.

● وتقابلت اليوم مع عبد المؤمن أفندي المحرر في جريدة (الأهرام). فأخبرني أنه دخل الأزهر منذ ليال فوجد الناس من أزهريين وسواهم جماعات، كل جماعة كونت حلقة قام فيها خطيب يشرح الأحوال ويبين ما عليه البلد وما يدور بين ولاة الأمور مما يذاع من الأنباء، وبخاصة حثهم على التشبث بالاستقلال وعدم الكف عن الحركة، وكل الخطباء نيران متقدة. فلما وصل إلى الحلقة السابعة آنس من خطبائها ومستمعيها رشدًا، فاستأذن وخطب فيهم يدعوهم إلى السكينة وترك الأمر الآن للعقلاء من الرجال يديرونه بالطريقة التي يمكن أن توضع موضع التنفيذ رحمة بهذا البلد وحقنًا لدماء الأبرياء، فقاطعوه، فقال له بعضهم من معارفه: لولا ما نعرف فيك من الإخلاص لنالك منا سوء.

يوم الأربعاء ٢٦ مارس:

ولم يزل المحامون مضربين عن العمل رغم ما يبدو من تبرم بعضهم بوقوف الحال وحلول الضيق والحرمان بساحتهم.

● ولقد قذف (الموتر ترولي المسلح) الرصاص على أهل (ميت القرشي) -بين زفتى والزقازيق- فأصاب منهم نحو مئة بين قتلى وجرحى.

● ولقد جمع مأمور مركز طوخ من طوخ وبعض البلاد المجاورة نحو ثلاث مئة إنسان بحجة الاشتراك في تخريب السكة الحديدية، وحبسهم في ساحة المركز، وهي ساحة واسعة مكشوفة، وأخذ في التحقيق معهم ليؤخذ الآثم بذنبه، وبينما المأمور داخل القسم يؤدي عمله ويحقق ويدقق جاءت الطيارات وقذفت الناس في ساحة المركز بالقنابل المدمرة، فقتلت ستة وجرحت نحو ثلاثين.

● وقد روى القادمون حديثًا من الصعيد أن الناس لما رأوا وقوف الحركة في السكة الحديدية عمدوا إلى السفن الشراعية يسافرون فيها، فإذا وصلوا إلى الواسطى أو أي بلد به معسكر إنجليزي اعترضهم الجند الإنجليزي بحجة التفتيش عن الأسلحة، ثم يقولون لهم فيما يقولون: «إن المصري لا يستحق الرحمة».

● ويروي الكثيرون أن الجند البريطانيين ينتشرون في الحارات والأزقة بالقاهرة ليلًا، ويسيرون عُصَبًا، ويطلبون

ممــن ينفردون به مــن المارة أن يرفع يديه قائلين Hands up ثم يجردونه مما يحمله بعد أن يضربوه ضربًا أليمًا.

● وقد عم القطر الأمر بملازمة البيوت ما بين الساعة السابعة مســاء والخامســة صباحًــا، وحتمــوا أن على المصــري إذا رأى ضابطًا إنجليزيًا أن يترجل وأن يحييه.

● وأخبرني أحد أصدقائي أنه علم أن الإنجليز انقســموا على ثلاث فرق في شأن ما يعملونه في القاهرة في اليوم الثالث من أيام المظاهرات، الرأي الأول: أن يضربوا الأحياء الوطنية بالمدافع مــن القلعة. الرأي الثاني: أن تضرب تلــك الأحياء بالقنابل بأن تلقى عليها من الطيــارات. الرأي الثالث: وهو رأي موريس بك مفتــش النظام بالداخلية.. أن ترســل الســيارات المســلحة في الشوارع ليكون المضروب بمرأى من الضارب. وهذا الرأي هو الذي عولوا على العمل به ونفذوه.

● ويقول الناس: إن المستر (برونيات - المستشار القضائي والقائــم بأعمال المستشــار المالي) هو الذي وضع المشــروع المشــئوم للقانــون النظامــي وقانــون العقوبــات الــذي يجعل الأوروبيين آلهة كاملين لا أنصاف آلهة.

يوم الأربعاء ٢٦ مارس (٢):

فــي هذا المســاء علمنــا أن مديريــة المنيا قد اســتقلت منذ أســبوع، وقد اختارت للرياسة الدكتور محمد عبد الرازق، وقد قام بحماية ٥٦ إنجليزيًّا من القتل.

● أما أسيوط فإن الجنود الإنجليزية التي كانت تقاتل بها، ويبلغ عددها ١٥٠٠ فنيت عن آخرها، والتجأت شرذمة منهم إلى دار المدرسة الأمريكية فهاجمها المقاتلون وأبادوها.

● وقد أخبرنا مهندس حضر من مديرية الشرقية بأن السلطة أحرقت عدة بلاد في أيام مختلفة وضربتها بالمدافع الرشاشة، وطريقة ذلك أن الطيارة كانت تقف على القرية وتلقي قنابل محرقة، فإذا ثارت الحرائق خرج أهل البلد إلى الخلا خوفًا من الحرق فتتلقفهم المدافع الرشاشة.

● وفد الغربية:

وفي مساء هذا اليوم علمت أن وفد الغربية ذهب منه عشرة باحتجاجهم إلى قنصليتي فرنسا وأمريكا، وقد قوبلوا في القنصلية الفرنسية بأحسن مما قوبلوا فيها من المرة الأولى -يوم ٩ الحاضر- وسألهم القنصل عن قطع السكة الحديدية، فقالوا: إننا رأينا الإنجليز يبطلون المظاهرات السلمية التي نقوم بها بضرب الرصاص، ولا يمنع وصولهم إلينا سوى قطع السكة الحديدية، ففعل الناس ما فعلوا من تعطيل المواصلات ليدفعوا عن أنفسهم ضرب الرصاص.

يوم الخميس ٢٧ مارس:

● إن اللعبة التي يريد الإنجليز أن يلعبوها هي أن يأخذوا من رجال الأمة إقرارًا صريحًا بالرضا بحكمهم؛ ليتخذوا ذلك حجة لدى مؤتمر الصلح تسوغ لهم إهمال مصر من جدول أعمال

المؤتمر، فإذا ما أهمل أمر مصر على هذا الوجه التهم الإنجليز البلاد، وكانت لقمة سائغة لا غصة معها.

● وفي مساء أمس رأيت بعض الوجهاء يسيرون متفرقين، ورأيت الشيخ التفتازاني يسير أمام مسجد السيدة زينب وقد لبس فرجية(٥٠) طويلة الأردان(٥١) واسعتها، وعلى رأسه عمامة كبيرة طويلة، وفوق ذلك شال من الكشمير وكأنه المحمل(٥٢) يسير.

● وبعد تعيين ملك إنجلترا الجنرال السير إدموند اللنبي (٥٣) نائبًا عنه في مصر.. وإنذاره للثوار.. وجه دعاة التهدئة نداء إلى الأمة المصرية -جاء في نصه-:

أصدرت السلطة العسكرية إنذارًا بأنها ستتخذ أقسى ما يكون من الوسائل الحربية عقابًا على ما يقع من الاعتداء على طرق المواصلات، ولا يخفى أن الاعتداء سواء كان على الأنفس أو على الأملاك محرم بالشرائع الإلهية والقوانين الوضعية، وأن قطع المواصلات يضر أهل البلاد ضررًا واضحًا، إنه يَحول

---

(٥٠) ثوب واسع طويل الكمين، يتزيا به الشيوخ والأعيان والعلماء. (المجلة).

(٥١) أردان: جمع ردن وهو الكم أو طرفه الواسع. (المجلة)

(٥٢) المحمل: الهودج. (المجلة).

(٥٣) الجنرال اللنبي (١٨٦١ - ١٩٣٦م) قائد بريطاني. شارك في حرب البوير (١٨٩٩ - ١٩٠٢م) وفي الحرب العالمية الأولى. وغزا فلسطين سنة ١٩١٧/ ١٩١٨م. وعين مندوبًا ساميًا على مصر في أبريل سنة ١٩١٩م. وعمل على إصدار تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢م. واستقال في سنة ١٩٢٥م.

بينهم وبين مباشــرة مصالحهم، ويوقف حركة نقل المحاصيل والأرزاق، ويعطل المعاملات والأخذ والعطاء، ويســبب العسر وســوء الحــال، علــى أن العقــاب عليــه يعــرض بعــض القــرى للتخريــب، ويعرض الأنفس البريئة إلى أن تؤخذ بما لم ترتكب مــن الذنوب، وينبغي أن يلاحظ أن مثل هذا الاعتداء يضيع على المصريين ما ينتظرونه من العطف عليهم بما يســبب من رواج إشاعات السوء عنهم.

مــن أجل ذلــك رأى الموقعون على هذا من أقــدس الواجبات الوطنية أن يناشــدوا الشعب المصرى باســم مصلحة الوطن أن يَجتَنِــب كل اعتداء وألا يخــرج في أعماله عن حــدود القوانين حتى لا يســد الطريق في وجه كل الذين يخدمون الوطن بالطرق المشروعة.

كمــا أننا ندعو أعيان البــلاد وأرباب النفوذ فيهــا أن يقوموا بالواجــب عليهــم مــن الأمــر بالمعــروف والنهي عــن المنكر فيسارعوا إلى اتخاذ جميع ما لديهم من الوسائل لمنع وقوع كل ما ينجم عنه ضرر البلاد.

وإنــا شــديدو الرجــاء فــي أن الأمــة المصرية بمــا عرفت به مــن التعقل والروية تصغي إلــى هذا النداء، وتلــزم الحكمة في سلوكها، والله الهادي إلى سواء السبيل.

٢٤ مارس سنة ١٩١٩م:

● **الموقعون:**

شيخ الجامع الأزهر محمد أبو الفضل، شيخ مشايخ الطرق الصوفية عبد الحميد البكري، مفتي الديار المصرية محمد بخيت، رئيس المحكمة الشرعية العليا محمد ناجي، بطريرك الأقباط كيرلس، نقيب الأشراف عمر مكرم، حسين رشدي باشا، عدلي يكن باشا، إسماعيل أباظة باشا، علي شعراوي باشا، أحمد لطفي بك(٥٤)، مصطفى النحاس بك، أحمد مظلوم باشا، عبد الخالق ثروت باشا، أحمد زيور باشا، محمد علي بك، جورج خياط بك، دكتور حافظ عفيفي بك، إسماعيل سري باشا، أحمد حلمي باشا، نجيب بطرس غالي باشا، عبد العزيز فهمي بك، سينوت حنا بك، إلياس عوض بك، يوسف وهبة باشا، يوسف سابا باشا، محمود صدقي باشا، محمود أبو النصر بك، عبد اللطيف المكباتي بك، حسين واصف باشا، حافظ المنشاوي بك، قليني فهمي باشا، عبد الستار الباسل بك، محمد السيد أبو علي باشا، محمد السباعي المصري بك، محمد نافع باشا،

---

(٥٤) أحمد لطفي السيد (١٢٨٨ - ١٣٨٢ هـ/ ١٨٧٠ - ١٩٦٣م) تخرج من مدرسة الحقوق. وعمل بالنيابة حتى استقال سنة ١٩٠٥م. شارك في تأسيس حزب الأمة، ورأس تحرير صحيفته (الجريدة) منذ صدورها في مارس سنة ١٩٠٧م حتى توقفها في سبتمبر سنة ١٩١٤م. مثل تيار الوطنية المصرية المستقلة عن العروبة والجامعة الإسلامية. ودعا إلى الليبرالية العلمانية. وشارك في تأليف الوفد سنة ١٩١٨م ثم خرج عليه. رأس الجامعة المصرية، ومجمع اللغة العربية، وتولى العديد من المناصب الوزارية.

محمد عز العرب بك، محمود سـليمان باشـا، سيد محمد خشـبة بك، عبد الرحمن محمود بك، عمر عبد الآخر بك، إبراهيم مراد باشـا، أحمد خيري باشـا، إبراهيم نبيه باشا، محمد عبد الخالق مدكور باشا، علي المنزلاوي بك، أحمد عفيفي باشـا، محمود خليل باشا، كامل جلال باشا، لملوم السـعدي المصـري بـك، عبـد الله عبد السـميع بك، علي المصري بك، أحمد رشوان بك، أحمد حشمت باشا، علي رفاعي بك.

● ولقـد ترامت الأخبار اليوم بأن الإنجليز قد فعلوا الأفاعيل فـي بلـدة العزيزية، وبعد أن تم لهم مـا أرادوا كتبوا ورقة باللغة الإنجليزيـة تتضمن إقرار أهل البلـد بأنهم فعلوا جرائم منكَرة، وأنهـم يسـتحقون العقاب الـذي نالهم بسـبب جرائمهم التي اقترفوها، وقد أمضى هذه الورقة أهل البلد والمسدسات مصوبة إلى رءوسهم وصدورهم.

● ويقـول الناس: إن المتظاهرين لم يعتدوا على مال أحد من الأفراد سواء أكانوا من الأجانب أم أهل البلاد، ولم يمسوا أحدًا بسـوء في نفسـه أصلًا، وإنما ضربوا السكك التي هي ملك في الحقيقـة لأهل البلاد بغية أن تخلص أرواحهم من القتل برصاص الإنجليز. إن المصريين قاموا بمظاهرات سياسية سلمية، وهم عـزل لا سـلاح بأيديهـم، فقابلهـم الإنجليز برصـاص البنادق والمدافع الرشاشـة الحاصدة لـلأرواح، والإنجليز إنما يصلون

إلى البلاد بواسطة السكك الحديدية التي هي ملك للأمة، فرأوا لسلامة أنفسهم أن يعطلوا وصول القوات إليهم حرصًا على بقاء رءوسهم على أكتافهم.

إن القوم إنما يموتون في سبيل حريتهم، وما دام شأنهم أن يموتوا فخير لهم أن يموتوا غير تاركين لقاتليهم ما ينتفعون به من تراثهم.

● وتتوالى الأخبار عن تفاصيل ما حصل للعزيزية، فما يقال اليوم: إن الإنجليز قد نزلوا بها -وهي قرية قرب البدرشين- وأمروا أهل البلد بأن يأخذوا معهم ما يخافون عليه من نقود ومصوغات، ويخرجوا من بلدهم، ففعلوا. ولما صاروا خارج بلدهم حصرهم الإنجليز وانتهبوا ما حوته أيديهم من مصوغات ونقود، وقتلوا بعض أهل هذا البلد وضربوا بعضهم الآخر، وافترشوا النساء وافترعوا[٥٥] العذارى، وإنهم فعلوا ذلك أيضًا ببلد آخر قريب منها.

● ويقول الناس -أيضًا- : إنا كنا نعجب مما كانت تشيعه وزارة نشر الدعوة الإنجليزية التي كان وزيرها اللورد (نورثكليف) عن الألمان وفظائعهم، ولكن هذه الأعمال في مصر من الجند الإنجليزي الراقي هونت وحقرت كل التحقير ما كان يشاع عن فظائع الألمان التي كانت تذاع عنهم أيام الحرب.

---

(٥٥) افترع الأمر: ابتدأه، والمقصود هنا أنهم افتضوا بكارتهن. (المجلة).

يوم الخميس ٢٧ مارس (٢):

في هذا اليوم نشأت حركة استياء تبدو على الناس من جراء العريضة والمنشور اللذين وقعهما جماعة الوزراء وأعضاء الوفد وأعضاء الجمعية التشريعية وأعيان البلاد، ويجهر الكافة بأن جماعة الإنجليز في مصر قد خدعوا أولئك الموقعين وأوهموهم أن إبداء النصيحة منهم لأهل البلاد ضربة لازب[٥٦] خشية أن يفتك الجند الإنجليزي بالأهالي، فلما كتبوا ما كتبوه وأذاعوه لم يزل فتك الجند الإنجليزي مستمرًّا، وقد اتخذت توقيع المصريين على العريضة والنداء حجة على أن الحركة لا أثر فيها للسياسة.

● وفي هذا اليوم تلاقيت مع الأستاذ الشيخ محمد شاكر، فبادرته بالسؤال عما إذا كان وقع العريضة مع الموقعين أو لا؟ ولم لم يوقع على النداء وهو من هيئة الجمعية التشريعية؟ فحدثني أنه طُلب إلى منزل عدلي باشا يكن لتوقيع العريضة والمنشور، فذهب إليه، وقرأها كامل جلال باشا ومحمد السباعي بك المصري وجماعة من مشايخ الأعراب، ثم امتنع عن وضع اسمه عليها. ثم خلا به عدلي باشا وعبد الخالق ثروت باشا فسأله عدلي باشا عما إذا كانت لديه ملحوظات منعته التوقيع؟ فقال: بلى. فقال له: وما هي؟ فقال له: يا باشا، إنكم ذكرتم ما صنعته الأمة من التخريب والتدمير، ونهيتموها

---

(٥٦) اللازب: الثابت اللازم، صار الأمر ضربة لازب: اللاصق المتماسك الأجزاء (المجلة).

عنــه، نعم نحــن قطعنــا أســلاك التلغــراف والتليفــون وأتلفنا السـكك الحديدية، وهي فظائع كبـرى، ذكرتم فظائع الأهالي المتوحشــين، ولكنكم لم تذكروا فظائع المتمدينين يا باشــا، إنكم تطلبـون تهدئة حال الأمة وتبـدون تبرمكم بعملها وعدم ارتياحكم له، ولكنكم لم تحتجوا على ما صنعه الإنجليز بالأمة والبلاد.

اكتبوا عريضة احتجاج ثالثة تقدم مع هاتين وأنا أضع إمضائي علـى جميعها. ألم يبلغكـم أن الأبرياء العزل مـن المتظاهرين كانـوا يضربون بالرصـاص من أفواه البنـادق والمدافع؟ فلم لم تحتجـوا؟ ألم تعلموا أن المشـهد الحسـيني ضُـرب بالمدافع الرشاشة، وأن أمام الباب الأخضر كانت توجد بركة الدم وأكوام من جثث الأبرياء من المصلين وغيرهم؟ ولم لا يكون الاحتجاج مع هذا الذي تمضونه؟ أنا لا أذهب مع أحد بعيدًا، ولكني أذكر لكم ما حصل في إمبابة، وهي قريبة منا بمرأى ومسـمع، وكان في ذلك البلد فرح والنســاء يزغردن ويغنين، والرجال في فرح وسـرور، فلم يشـعر هؤلاء الناس إلا بالرصاص يتساقط عليهم فيخترق أجســامهم ويزهق أرواحهم، فانقلب الفرح مأتمًا، فلم لـم تحتجوا علـى هذا؟ إنكم بهـذا العمل تسـجلون على الأمة العار.

فقال له عدلي باشــا: «إلى هنا». فقال الشـيخ: إني أسـحب هذه الكلمة، وأتنازل عنها، وأحب ألا تناقشني فيها.

ثم استمر الشيخ يذكر لهم ما أصاب الأمة، وأن الإنجليز في هذه الأيام أدخلوا على كل بيت مأتمًا، ولم يتحرك هؤلاء الناس لعمل من الأعمال.

ثم عاد (الشيخ) إلى عدلي باشا وقال: أخشى أن أكون قد أثقلت عليكم في الكلام. فقال ثروت باشا وعدلي باشا: إنا نحب الكلام معك، لأنا نعتبرك أستاذًا، وتلذ لنا مناقشتك لما فيها من الحجج القوية الجميلة، فقال: يا باشا، أعفني من ذلك، لا تواضعا مني ولكن لا أستحق ذلك. ثم قال عدلي باشا: إن الإنجليز عازمون على معاملة الأهالى بالقسوة والشدة وقتل الأبرياء والآثمين، ونحن نريد أن ندفع عنهم ذلك. فقال له: أرجوك يا باشا أن تترك الإنجليز يخربون ويقتلون ويعملون ما شاءوا. ليذهبوا إلى المؤتمر وأيديهم ملطخة بدمائنا ليطلبوا الوكالة علينا أو الحماية فإن ذلك أحسن لمصلحتنا. ثم قال: يا باشا ليس معنى امتناعي عن التوقيع وبيان المضار التي تنشأ عن هذا العمل أني أرمي أحدًا بالخيانة أو عدم رعاية مصلحة الأمة، كلا. فإني لا أبيح ذلك لنفسي ولا لغيري، والذين يريدون مصلحة البلد كثيرون، وكل يعمل بما يرى فيه مصلحة، غير أن هذه المصلحة لم تظهر لي في هذا العمل الذي يريدونه، ولذلك امتنعت.

● وقام الطلبة والمدرسون اليوم بمظاهرة قبل الظهر أمام قنصلية أمريكا وهتفوا للاستقلال والحرية لأمريكا.

● وفـي هـذا اليـوم علمت أن الطلبـة يطوفون علـى الأعيان والعلمـاء الذيـن وقعـوا العريضة والمنشـور ويناقشـونهم في مضمـون ذلـك أدق مناقشـة، ويسـألونهم عن الجـواب الذي يجيبون به إذا دعوا لأخذ إقرارهم بالحماية أو وكالة إنجلترا عن جمعية الأمم في إدارة شئون البلاد؟ وعما إذا دعوا لحلف اليمين على أنهم لا يجيبون دعوة داع إلى اجتماع يراد منه أخذ إقرارهم بذلك؟ والطلبة اليوم في حركة شـديدة مسـتمرة يقصدون بها بث روح الحذر في أنفس الكبراء من خديعة يُرادون عليها حتى لا يتكرر مثل العريضة والمنشور.

● وقـد علمـت الليلة أن الوفـد المصري أعد تقريـرًا جامعًا وافيًـا ضمنه تاريخ المسـألة المصرية، وقيـام المظاهرات على أثـر القبض على سـعد زغلـول باشـا وزملائه، وكيـف قوبلت المظاهرات السـلمية بشدة بالغة وقسـوة فظيعة مؤلمة هاجت الناس لفعل ما فعلوا.

يوم السبت ٢٩ مارس:

● وردت الأخبار الرسمية بأن الإنجليز أحرقوا بلدة الشبانات بالشـرقية، ووردت أخبـار أيضا بأن بعض العسـاكر الإنجليزية أحرقـت محطـة الزقازيق، ولا سـبب لذلك إلا أنهـم طلبوا من مقصـف المحطـة خمرًا بعد السـاعة التاسـعة فأبـى العامل أن يعطيهـم الخمـر في هـذا الوقـت؛ لأن ذلك مخالـف للأوامر، فأوقدوا النار بالمحطة.

● ويتنبئون أن يوم الأربعاء القادم سيكون يوم اعتصاب عام تغلق فيه المحال التجارية ويعتصب فيه الموظفون.

● وقد قرر المحامون بالمحاكم الأهلية استمرارهم على الإضراب، رغم ما يبدو من فريق منهم من الميل إلى الرجوع إلى العمل.

● ويعجب العقلاء من إهمال الزعماء والهيئات الاحتجاج على ما وقع بالعزيزية والبدرشين والشبانات وغيرها، ومن صبرهم على إنكار هذه الأعمال الوحشية القاسية. وما فائدة ما بذلوه من النصح إذا لم يرفع عن الأهالي هذا النوع من الإرهاق؟

● وقد علمت أيضا أن أخبار الحوادث في الأيام الماضية، من تفريق المظاهرات السلمية بضرب الرصاص وتحريق بلاد الأرياف وما يرتكب فيها من الأعمال قد كتبت وأرسلت إلى إيطاليا لتنشر في جرائدها.

● وقد رأيت وقت الظهر حركة شديدة بين الجند الإنجليزي المرابط قرب الأزهر، ولم تزل الجنود آخذة بأفواه الطرق المؤدية إلى المسجد.

والخطب في الأزهر مستمرة، والجواسيس يندسون وسط تلك الجموع الهائلة التي تؤمه ليلًا ونهارًا، والقساوسة يتداولون المنابر بينهم وبين المشايخ والخطباء وكل عباراتهم في الخطابة تدور عن الحث على الوئام والنظام ويحذرون الناس أشد الحذر من الخديعة.

يوم الاثنين ٣١ مارس:

● قد جاءت أخبار من ناحية الشوبك تنبئ بأن الإنجليز وجدوا السكة الحديدية قبالة الشوبك بمركز العياط مقطوعة، فعمدوا إلى جماعة من أهلها فضربوهم بالرصاص، وكان أهل الشوبك قد رأوا العبرة في أهل العزيزية والبدرشين فاستعدوا وحصلت مناوشة بينهم وبين الإنجليز، فقتل بعض الإنجليز وجُرح آخرون وقد جيء بالجرحى إلى القاهرة.

● وعند الساعة الثالثة بعد الظهر شخص أعضاء الوفد إلى دار الوكالة البريطانية.. وجاء المندوب السامي -والجنرال اللنبي- وسلَّم عليهم.. ثم أخذ يحدثهم فيما دعاهم إليه.. فقال:

- إنكم تطلبون الاستقلال التام، وهذا غير ممكن وأنا إنما جئت لتثبيت الحماية على مصر لا لأناقَش فيها والحماية شيء طيب لا ضرر فيها؛ لأنها ليست على قاعدة أن يكون هناك سيد ومسود، ولكنها عقد بين قوي وضعيف على أن يقوم القوي بحماية الضعيف.. والمصريون إذا لم تحمهم بريطانيا فلا بد من حماية دولة أخرى لهم، وخير لهم أن يكون الحامي لهم بريطانيا.. وإن تصريح حكومة بريطانيا بالسفر للوفد المصري معناه أن حمايتها لمصر يصحّ وضعها موضع المناقشة، وهذا ما لا نسلم به.. وباعتباري قائدًا حربيًّا في بلدٍ لم تزل فيه الأحكام العرفية رغمًا عن انعقاد الهدنة، أرى أن الجهر بالآراء السياسية

وعمل المظاهرات كذلك من الأشـياء التي يتحتم عليّ منعها ما دامت تجر إلى القلاقل.

- فردَّ عليه أحمد لطفي بك السـيد وقـال: جنابكم تقولون إنكـم إنما جئتم لتثبيت الحماية على مصر، وكل مفاوضة إنما تكـون في دائرتها، ونحـن إنما وُكِّلْنا من الأمة في شـيء خاص لا يمكننا أن نتعداه ولا نناقش في شـيء سـواه وهذا الشيء هو طلب الاستقلال التام وطريقه أن يسمح لنا بالسفر لعرض طلب الأمة علـى مؤتمر الصلح وما دام الأمر كذلك كانت المناقشـة غير مفيدة ولا تنتهي بنا إلى شيء.

●ولقد ذهبت في المسـاء مع الأستاذ حفني محمود سليمان وأحمد الشـيخ «مع حفـظ الألقاب» إلى فضيلة المفتي الشـيخ بخيـت، ثم إلـى منزل كامل جلال باشـا، وهنـاك وجدنا فيمن وجدناه شحاتة كامل باشا، ودار الكلام في الأحوال الحاضرة وما ينتظر أن يكون، فقال شـحاتة باشـا: إنها حركة نهب وسلب، فرددتُ عليه بأنها حركة سياسـية محضة، وأن الأمة قد غضبت إذ اسـتُغضبت بقتل أبنائها ظلمًا، والغاضب يعمل كثيرًا مما لا يكون في مصلحته ولا يرضى به إذا كان راضيًا. ثم انصرفنا.

يوم الثلاثاء أول أبريل:

● وممـا يجـدر إثباته هنـا ما سـمعتُه مـن أن أول المخرِّبين والمحرِّضيـن علـى النهـب البوليس السـري الـذي اندس بين الغوغـاء، وإنما فعـل ذلك لتشـويه الحركـة وإظهارها بمظهر النهب والسلب.

● وقـد علمـتُ الليلة أن الطلبةَ وقفوا على دسيسـة ومكيدة لتكييـف الحركـة المصريـة بأنهـا يقصد بهـا الاعتـداء على الأجانـب ، وذلـك بـأن أشـاع المدبـرون أن الطلبة سـيقومون بمظاهرة خطيرة يُخشَى شرها على الأجانب . . وقد أدرك الطلبة مغـزى هذه المكيدة فاعتزموا إبطال المظاهرات في هذا اليوم ، ونشروا منشـورًا بالعربية والفرنسـية فحواه أن الإنجليز أرادوا كيد هذا البلد بأن يجمعوا الغوغاء غدًا للقيام بمظاهرة ويدسوا في وسـطهم من البوليس السـري بقصد كيد مصر والمصريين ونُشر هذا المنشور ووُزع في هذه الليلة .

يوم الأربعاء ٢ أبريل:

● في هذا اليوم أُغلقتْ الحوانيت ومحالُّ التجارة وأكثر القهوات ، ولم يفتح حانوته سوى أصحاب المحالِّ المعدة لبيع المأكولات .

● وفـي السـاعة الثالثـة بعـد منتصـف الليـل قـام تلاميـذ مدرسـتي البوليس والحربيـة وخرجوا من مدرسـتهم مضربين عـن العمل احتجاجًا على أقـوال اللوردين كيـرزن وددلي ورد ، وإعلانًا لاشـتراكهم مع إخوانهم الطلبة في الشعور نحو الحرية والاسـتقلال ، وقد ترك طلبة البوليس إعلانًا للمدرسـة بأقوالهم ومـا دعاهم إلى عملهم هذا وأنهم تركوا أسـلحتهم بالمدرسـة حتى لا يقال إنهم يريدون عملًا عدائيًا .

وفي الساعة السادسـة خرجوا إلى موعدهم ، ثم ذهبوا إلى قصر البستان وهتفوا للاستقلال ولمصر ، ثم ذهبوا إلى قنصليات الدول

وهتفوا للحرية والاستقلال وللدول، وقدموا الاحتجاجات على عمل الإِنجليز ومنع الوفد من السفر للمرافعة في قضية مصر.

● ومما يلفت النظر ما علمتُه اليوم من أن الإِنجليز خففوا المراقبة على الأزهر اليوم ولم يضيقوا على الناس في الدخول إليه أو الخروج منه وأن الأزهريين حصلوا على أسماء جميع الجواسيس ومحالّ سكناهم ونمرها، وكتبوا بذلك أوراقًا وألصقوها على أعمدة الأزهر فهرب الجواسيس إلا واحدًا ناله من النعال ما قَدُم وما حَدَث، وأدركه من الصفع ما طاب وما خبث، حتى أشرف على الهلاك، فأخذوا بيديه ورجليه وألقوه خارج المسجد.

● ولقد نشر في الجرائد البلاغ الآتي:

بلاغ رسمي

دار الحماية في ١ أبريل

نشرت صحف لندن عبارات قد تُئَوّل بأن «عظمة السلطان -«فؤاد»- كان له بعض اليد في مسألة القبض على الأشخاص الذين أُبعِدوا أخيرًا إلى مالطة فليعلم الجمهور أن هذا العمل عُمل بأمر السلطة العسكرية من تلقاء نفسها تطبيقًا للأحكام العرفية، وأنه لم يكن لعظمة السلطان دخلٌ فيه على الإِطلاق».

● وآخر ما عرفتُه الليلة أن أعضاء الوفد يُعِدّون احتجاجًا قويًا على ما يأتيه الإِنجليز في هذه البلاد يقدمونه إلى القناصل وأن وقوف القناصل حيال هذه الفظائع ساكتين مما لا يحسن، ويطلبون عنهم التدخل، وأن الأستاذ الشيخ أبا الفضل شيخ

الأزهـر ذهب إلـى دار الوكالة البريطانية، وأن الأسـتاذ الشـيخ شاكر قدم إليها احتجاجًا لم أقف على مضمونه.

يوم الخميس ٣ أبريل:

● لقـد اتصل بي اليوم أن ذهاب شـيخ الأزهـر أمس «إلى دار الوكالة البريطانية» - سببه صدور أمر القيادة العسكرية بإغلاق الأزهر، فذهب الشـيخ إلـى الوكالة واحتج على ذلك شـفهيًّا، وقـال: إن ذلـك مخالف للدين فاسـترد الأمر بذلـك وخفف ما كان علـى الأزهر من ضيق قليلًا، وبلغني أن المندوب السـامي رجا الأستاذ في تسكين الأحوال فقال الأستاذ إن ذلك في يدكم فقال لـه: وكيف؟ فقـال: تبيحون للناس السـفر ليتكلموا في قضيتهم. فسكت المندوب السامي ولم يرد عليه.

● وممـا علمتُـه أن طلبة البوليـس والحربية وبعـض الطلبة الآخرين ذهبوا في السـاعة الـ ١١ قبل الظهر واجتمعوا أمام دار الوكالة البريطانيـة فجأةً، وهتفوا للحرية والوطن والاسـتقلال وللدكتور ولسون بسقوط الظلم، وبينما هم على ذلك حضرتْ السـيارات المسـلحة والجنود وفرقوا ذلـك الجمع وفرَّ جماعة من الطلبـة إلى ديوان الحربيـة والجنود الإنجليـز تتبعهم فلما علم القراقول[٥٧] المصري بذلك اسـتعد لردِّهم، وحشا الجندُ بنادقهم لذلك فرجع الإنجليز عنهم.

---

(٥٧) القراقول: كلمة تركية تعني مركز الشرطة. (المجلة).

● وحدث قرب الظهر أن الطلبة كانوا على موعد أن يجتمعوا بميـدان عابديـن ليقومـوا بمظاهـرة قصيرة المـدة، وفيما هم سـائرون من جهة شارع السـاحة إلى ناحية عابدين لقيهم شاب وقد شرع يكتب أسماء بعضهم ونُذروا به وتنادوا بأنه جاسوس فبطشـوا به حتى كاد يهلك، ثم ألقوه في أحد الشـوارع وساروا فـي طريقهم إلى ميـدان عابدين وجاءت دوريـة إنجليزية راكبة نـزل رجالهـا عن دوابهم وأطلقـوا العيارات الناريـة في الهواء، وأفلـت منها عيـار فقتل صبيًّا.. وبعد ذلك أطـلَّ أرمنيٌّ من بيته وأطلـق عـدة رصاصات من مسدسـه فقتل ثلاثة أشـخاص فهاج الطلبةُ وماجوا، وصعد إليه بعضهم واقتحموا عليه بيته وضربوه فجرحـوه، وذعـرت زوجته فأغمـى عليها وألقـى المتظاهرون بعض متاعه في الشارع وأوقدوا النار في البعض الآخر، وأشاعوا أن الأرمني قُتل، ولكنَّ عبد السـتار بك الباسل أخبر أن الدكتور علي بك لبيب قال له: إن الأرمني مجروح في كتفه وإن جراحته غير بالغة.

حدث بعد ذلك أن جاءتْ سـيارة مسـلَّحة بمدفعين رشاشين فأطلقـت الرصاصَ علـى الجموع المحتشـدة فقتلتْ ٢٥ طفلاً وشـابًّا في الحال وجرح ٨٣ منهم وقد أخبرني عبد السـتار بك الباسـل مسـتندًا إلى الدكتور علي بك لبيـب أن الجرحى نقلوا إلى المستشـفى العباسي -مستشفى الملك الآن- آنذاك وأكثر

جراحاتهم في أرجلهم وأفخاذهم فمات منهم ستة وبترت أرجل اثني عشر شخصًا وستجرى الجراحة لبتر أرجل عشرة آخرين.

● وأخبرني الشيخ أحمد الشيخ أن الشيخ شاكر أمضى اليوم عريضة الاحتجاج على أقوال كيرزن، ثم أمضاها شيخ الأزهر وعلق عليها بأن الحال لا تهدأ إلا بنيل الأمة مطلبها، وهو الاستقلال التام، وقيل أمضاها الشيخ المفتي بعد تَأَبٍّ.

● وبلغني أن الأطفال والمتفرجين من الفتيات والنساء فروا من ميدان عابدين إلى ناحية مدرسة عابدين ودخل فريق منهم في بيتِ أرمنيٍّ خوفًا من الإنجليز الذين كانوا يقبضون عليهم فكان شاب أرمني يقبض على الأولاد من البيت ويسلمهم للإنجليز يضعونهم في سيارة إلى أن امتلأتْ وذهب الإنجليز، وكان الناس قد حنقوا على ذلك الشاب فبطشوا به حتى مات، ثم بطشوا بآخر فألحقوه به.

يوم الجمعة ٤ أبريل:

● لقد علمتُ أن ضباط الجيش «المصري» احتجوا كتابة وأعلنوا أنهم مشاركون للأمة في شعورها، وإنما منعهم من الإضراب أنهم قوة مسلحة يعتبر إضرابها عصيانًا، فيحتاج الأمر إلى قوة تخضعها، وذلك يستتبع سفك دماء غزيرة.

● وقد علمتُ أن الأرمني الذي كان سبب مشكلة أمس حضر وهو جريح إلى منزله لتقدير الخسائر التي لحقت به، فهاج الناس عند رؤيته وقتلوه. ومما يَلفت النظر أن الرجل حين

ذهب أمس إلى المستشفى العباسي وعُملتْ له الإسعافات البسيطة جاءت إليه سيارة من سيارات السلطة فركبها وأُخذ إلى مستشفًى آخر دون من سواه من الجرحى فإن هذه العناية تَلفت النظر وتعتبر ذات معنى.

● وقد انتشرت الطلبة في المساجد والكنائس يخطبون ويعظون ويحرضون على الثبات والاتحاد، وكان فريق من طلبة الأزهر اليوم صباحًا بكنيسة حارة الروم، وذهب الخبر إلى السلطة بأنهم في كنيسة الروم بالحمزاوي، فلما بحثتْ لم تجدْ لقولها صحةً وفي زمن الحيرة أمكن الأزهريين والطلبة والقساوسة أن يُلقُوا بعض الخطب.

في مسجد ابن طولون:

وقرب العصر ابتدأ الاجتماع بمسجد ابن طولون، بجبل يشكر، حضره جم غفير، وكان من الخطباء فيه القمص سرجيوس القبطي وشاب قبطي آخر وقسيس كنيسة حارة الروم البرانية.

وللقمص سرجيوس(٥٨) مواقف معدودة، وحدثني سامعوه أنه في خطابته خفيف الروح، جذاب يميل إلى اقتضاب العبر

(٥٨) القمس سرجيوس «ملطي» ١٣٠٠ – ١٣٨٤هـ/ ١٨٨٣ – ١٩٦٤م، تخرج في الكلية الأكليريكية، ودرس بها ورُسِّم قسيسًا بكنائس ملوي سنة ١٩٠٤م ...برز في الخطابة بالجامع الأزهر وجامع ابن طولون والكنيسة القبطية بالفجالة إبان ثورة سنة ١٩١٩م...

والحكايات واتخاذها أمثالًا، والولع بإيراد النكات الأدبية وكل ما من شأنه أن يلفت الأبصار ويسترعي الأسماع.

● وقد علمتُ اليوم أن نحو عشرين طالبًا قابلوا السيد عبد الحميد البكري بمنزله وهددوه لِما ظهر منه أمس من الامتناع عن إمضاء العريضة، وتصريحه بأنه يريد الاستقلال في دائرة الحماية، فأهمَّه ذلك وذهب إلى منزل محمود باشا سليمان يطلب التوقيع على العريضة، فذهب إليه الشيخ أحمد الشيخ وأمضاها.

● وكانت كل خطب الجمعة في كل مساجد القاهرة تدور على الحالة الراهنة وظلم الإنجليز، وقتلهم الأبرياء، وتخريبهم البلاد، وتحذير الناس من الإمضاء على أوراق بالحماية أو غيرها.

وبعد صلاة الجمعة قام الخطباء من الطلبة يخطبون بذلك على المنابر.

● ولقد جاءت إلى مسجد ابن طولون عربة مسلحة وأطلقت مدفعًا رشاشًا فأصاب بعضَ الناس.. قُتل ولدٌ لرجل سمكري فقير، وأصيب ستة من الأطفال.

ولقد دخلتُ المسجد بعد ذلك فوجدتُ فيه جموعًا نحو ثلاثة آلاف أكثرُهم من الموظفين وبعض من الأهالي وبعض من الطلبة، والمسجدُ يعجُّ بمن فيه، الموظفون يتناوبون المنبرَ والخطب الحماسية يُلقى بها من فوقه والناس في أمر مَريج، وقد خطب أحمد أفندي صقر، أمين مكتبة القصر العيني وغيره، والخطب

تــدور على مــا يفعلــه الإنجليز من الغلظة والقســوة الشــديدة في فض المظاهرات وهي سِــلميَّة، واعتدائهــم على حرية رجال الوفد واعتقالهــم في مالطة، وما عملوا ويعملون في البلاد من التخريب والتدمير، واعتمادهم على القوة الغاشمة.. إلخ.

وقد طاف الطائفون بورقة يفرقون نسخًا منها على الناس، وهي تتضمن وجوب إضراب الموظفين عن العمل حتى تُجاب الشروط التي بها كلها، وهي:

(١) الاستقلال التام لمصر حالًا.

(٢) الإفراج عن سعد باشا وأصحابه، وأن يُسمَح للوفد بالسفر إلى أوروبا ليبسط حال مصر أمام المؤتمر.

(٣) العفو عن جميع المعتقلين في هذه الحوادث.

(٤) إلغـاء الأمر الصادر مـن قائد الجنـود البريطانية باعتماد الميزانيــة؛ لأنــه عمل غير قانونــي، بل لا بد أن تكــون الميزانية قانونية تمرّ على الجمعية التشريعية.

(٥) ألَّا يعود الموظفون إلى عملهم حتى تجاب هذه الطلبات.

● وأخبــر فــي هــذه الليلــة محمــود بك أبــو النصر أنــه رأى جنــازةً مارةً بالكونتننتال لولد صغيــر، والاحتفال بها بالغ حده مــن الفخامة، وعلمتُ أن المشــيعين مــروا بالقنصليات، ولما بلغوا أحد الأكمنة أطلق ضابط إنجليزي مسدســه على المارّين بالجنازة فأصاب رجلًا من المشــيِّعين فقتله، فاعتزم المشيِّعون أن يحتفلوا به غدا.

يوم الأحد ٦ أبريل:

● نشرت الجريدة الرسمية بالعدد نمرة ٣٠ غير اعتيادي الصادر في يوم الأحد ٥ رجب ١٣٣٧هـ - ٦ إبريل ١٩١٩م المنشور السلطاني - «الذي جاء فيه» : «إني أطالب أبنائي المصريين بما لي من حق الأبوة عليهم أن يتناصحوا لعدم الاستمرار على المظاهرات التي كانت عواقبها غير محمودة في بعض الجهات، وأن يخلدوا إلى الراحة والسكون وانصراف كل إلى عمله، وهذه هي المساعدة التي أطلبها منهم».

● وفي هذا اليوم شُيعت جنازة الشاب الذي قتله الإنجليز أمس عند سبيل والدة عباس الأول بالصليبية أثناء مرور جنازة الطفل ابن السمكري الذي قُتِلَ أمس قرب مسجد ابن طولون.

وقد خرجت الجنازة من القصر العيني، وصار الناس ينضّمون إليها بترتيب بديع لم يُرَ مثله.

وقد قرَّر الذين شاهدوها وشاهدوا أفخم الجنائز في هذا العصر أنهم لم يروا احتفال جنازة مثل هذا الاحتفال جلالًا وجمالًا وحُسنَ تنسيق وبديع إتقان.

فقد سار أمام الجنازة جماعةٌ يركبون الموتوسيكل والدراجات يوسعون الطريق للسائرين بها، يتلوهم طلبة مدرستي البوليس والحربية، ثم نحو خمسين ضابطًا من ضباط الجيش، فعدد من ضباط البوليس، فجند من الحرس السلطاني وبحارة الركائب السلطانية، وبعض جند الجيش من الأورط السودانية، فنعش القتيل، فموظفو الحكومة من الوزارات الثمان والمصالح المختلفة

وموظفو كل وزارة أو مصلحة بعضهم مع بعض ثم الأعيان والتجار، ثم طلبة المدارس فطلبة الأزهر الشريف، ثم طلبة دار العلوم، وطلبة مدرسة القضاء الشرعي، ثم العمال من صناع العنابر وغيرهم.

والـذي يقلل من عدد السـائرين في حفل الجنـازة يقول: إنهم نحـو ١٤ ألفًا، والمكثر يقول: إنهم ٢٥ ألفًا سـوى الواقفين على جوانب الطرق، فقد كان عددهم يزيد على مئة ألف.

وعلى الجملة إن المشيِّعين في جنازات العظماء لم يكونوا بهذا الترتيب والنظـام والهيبة والجلال، وإن كان المشـيِّعون في تلك المشاهد أكثر عددًا، فقد كان هذا المشهد فريدًا في بابه لم يُعمَل مثلُه، وقد اسـتوقفتْ إحدى السيدات السائرين بالجنازة، وأطلَّتْ عليهم مـن أحد البيوت وألقتْ خطبةً مؤثرةً، وهتفت للاسـتقلال ولشهداء الحرية والوطنية.

وقـد حمـل ضبـاط الجيش النعـش علـى أعناقهم عنـد العتبة الخضـراء، وممـا يدعو إلى الأسـف أن موكب الجنـازة حين كان سـائرًا في شـارع محمد علي قرب باب الخلق، جـاء أرمني وألقى قلـة ماء على الأرض، فأحدثتْ صوتًا أزعج الناس، وظن السـائرون فـي الموكب أن الإِنجليز جاءوا بمهلكاتهم، وهمَّ به بعض الناس، فدخل إلى منزله.

يوم الاثنين ٧ أبريل:

● الإفـراج عن الزعماء: وإني لأعجز عـن التعبير عما داخل الجمع المحتشـد «بمنزل سـعد زغلول باشا» من السرور الذي رنّـح[٥٩] أعطاف المجتمعين، وأوجـد في نفس كل واحد منهم هـزةَ طربٍ لم يسـبق لفـؤاد واحد منهـم أن أحس بهـا، ومهما وصفـتُ وأطنبـتُ فـإن لسـاني ليعجـز عـن تكييـف الوجدان المنفعل بأثر هذا الفرح.

ولمـا أتمَّ القارئ قراءة «منشـور الإفراج عـن الزعماء» هتفَ جميـع الحاضريـن للحريـة والاسـتقلال والوفد والأمة وسـعد زغلول باشا ورفاقه.

كانت لحظةً لم يَسـمع الدهرُ بمثلها، ولو أن السـرور الذي مـرَّ بي في جميع أيام دهري وُزن بما نالني من المسـرة في هذه الهنيهة[٦٠] لرجح سـروري الحادث في هذا اليوم على سـروري القديـم الذي أدركتُه طـول حياتي، لم نلبث بعـد ذلك أن رأينا النـاس ينثالون[٦١] من كل حدب وصوب إلى بيت سـعد زغلول باشا رجالًا وركبانًا على العربات والسيارات.

لقد تم إطـلاق الحرية للأربعة المنفيين بمالطة، وهم سـعد باشا زغلول ومحمد محمود باشا وحمد الباسل باشا وإسماعيل صدقي باشا.

---

(٥٩) رنح الشخص: تمايل من السكر والمقصود هنا تمايل من شدة الفرح. (المجلة).

(٦٠) الهنيهة: لحظة قصيرة يسيرة. (المجلة).

(٦١) انثال عليه القوم اجتمعوا حوله. (المجلة).

وأنا الآن أدوِّن هذه الأمور بمنزلي على جبل يشكر، وأنا أسمع أصوات الهاتفين من كل ناحية وأهلُ البلد قد نسوا أحزانهم، وكأنَّ الناظر إليهم ينظر إلى قوم قد فرغوا من حسابهم ولم يبقَ إلا أن يدخلوا الجنة التي وُعد المتقون.

● وعلى ذكر مفاجأة الإفراج لأهل البلد المحزونين، أقول: إن الضحايا التي بُذلت في سبيل هذا المطلب السامي شيء زهيد إذا ما قيس بهذا الظفر الموفق.

وأقول أيضًا: إن جميع ما حصلنا ونحصل عليه بإذن الله إنما هو نتيجة توفيق الله تعالى هذه الأمة إلى الاتحاد وتوثيقه أواصر الاتفاق على إدراك الغاية الشريفة السامية.

ويجدر بي أن أقول: إن المصريين في جهادهم هذا قد محوا كلمتين كانتا معتبرتين حكمتين فيما مضى، قالهما رجلان عظيمان وحكيمان جليلان، ذلك أن المرحوم السيد جمال الدين الأفغاني قال: اتفق المصريون على ألَّا يتفقوا.

وقد جاء بعده أستاذنا المرحوم الشيخ محمد عبده فقال الكلمة الأخرى وهي: إن المصريين لم يبلغوا أن يتفقوا على ألَّا يتفقوا.

وأنا الآن أرى أن هذه الحوادث قد أوجدت من أهل هذه البلاد روحًا ساميًا، وأضرمت في جميع قلوبهم نارًا حامية، وصفَّتْ جواهرَ أخلاقهم وهذبتْها حتى اتفقوا وثبتوا على اتفاقهم، وأنفقوا في سبيل استدامة هذا الاتفاق من دمائهم، والذي

يشاهدهم اليوم يقول: إنهم عاجزون عن أن يختلفوا وذلك بتوفيق الله تعالى وفضله، والله ذو الفضل العظيم.

يوم الاثنين ٧ أبريل (٢):

● ذهبتُ بعد عصر هذا اليوم إلى منزل سعد باشا زغلول، فرأيتُ هناك ما لم أرَ في حياتي، رأيت بهجة وسرورًا، وفرحًا وحبورًا، وقد صار هذا البيت «الذي أصبح من البيوت التاريخية والآثار الجليلة التي تُعنَى الأمة برعايتها وحراستها» مزدحم الأقدام وكعبة القصاد تمرّ به طوائف الناس وأفواج الجموع يهتفون للحرية والاستقلال والاتحاد ولصاحب البيت والنساء قد ملأنَ السطح والطُّنُف[٦٢] وعقيلة سعد باشا وسطهن وهن يُجبْنَ هتافَ الهاتفين بمثله ويلوّحن بالمناديل، والناس يكتبون أسماءهم في دفتر أعد خِصِّيصَى لذلك، وهم لا يدرون أهم في يقظةٍ أم في منام فقد أرتهم الأيامُ ما لم يروه في المنام وأفواج الناس من كل طائفة وأهل كل حرفة يسيرون مواكب تتلوها مواكب لم يُرَ لها مثيلٌ في الكثرة، وقد أعجلوا عن تنسيقها وتنظيمها وترتيبها، وبأيديهم الأعلام والنساء قد خرجن على أشكال متباينة فمن راكبات العربات الكارو إلى راكبات عربات الركوب بالأجرة إلى راكبات العربات المملوكة لأربابها إلى راكبات السيارات.

وبعض أصناف النساء أخذن في الحُداء بأغانٍ ليست ثمينة المعنى ولا ساميته، والناس يردون عليهن وبأيدي بعضهن

---

(٦٢) الطُّنُف: الشرفات.

الدُّهُلة «الدربكة» يضربــن عليها، وكانت المتعلمات منهن قد أخذن بأيديهن أعلامًا وينشــدن الأناشيد، وبعضهن يخطبن في الحريــة والاســتقلال وينبهن إلى عدم الثمــل بخمرة الفوز حتى يتم الأمر على أحسن ما ترجو الأمة.

ومهما ســرتَ في ناحية من نواحي القاهرة العامرة بالسكان وجــدتَ فرحًــا ظاهرًا وســرورًا وخطبًا فياضةً وخطبــاء مفوهين وهتافًا عاليًا.

وقــد شــارك الأوروبيون أهل البــلاد في فرحهــم، يهتف كل فريق للآخر هتاف الفوز أو الشكر، وقد ساد الإِخاء بين طوائف الناس «عدا الإِنجليز طبعًا».

أما العســاكر الإِنجليزية فقد ســمعنا أنهم أمــروا بأن يتركوا للمصريين الحرية في الاجتماع، وإظهار فرحهم وقد أُخذت من الجنود الذخائر، فسبحان من لا يتغير ولا يتبدل ولا يتحول.

وهذه ســاحة ميــدان عابدين، التــي كانت بركــة للدماء يوم الخميس المنصرم وبها أكداس جثث القتلى قد أصبحت في يوم الاثنين ســاحة للفرح تصدح فيها الموســيقى بالأنغام الشجية، وقــد تحلق عســاكر الجيــش حَلَقًــا أمــام القشــلاق[٦٣] يغنون ويرقصون ويبتهجون.

على أني أعتقــد الآن أنَّ جبال هملايا لو خالطها ما خالط أي واحد من الناس في هذا القطر من السرور اليوم لرقصتْ.

---

(٦٣) قشلة: قشلة العسكر: المعسكر. المجلة.

أجلْ ، إن هذا السرور قد فعل بألباب الناس ما لا تفعل الخمر ، فهم جديرون بأن يجيبوا اللائم بقول الشاعر :

سقَوْني وقالوا لا تغنِّ ولو سقوا
جبال حنين ما سقوني لغَنَّتِ

● ولقد نشر اليوم بلاغ السلطة الإنجليزية ، الذي صورته :

« الآن ، وقد عاد النظام بنجاح عظيم ، فبالاتفاق مع حضرة صاحب العظمة السلطان أعلن أنه لم يبق حجر على السفر ، وأن جميع المصريين الذين يريدون مبارحة البلاد تكون لهم الحرية ، وقد قررت علاوة على ذلك أنَّ كلًّا من سعد زغلول باشا وإسماعيل صدقي باشا ومحمد محمود باشا وحمد الباسل باشا يُطلَقون من الاعتقال ويكون لهم كذلك حق السفر » .

٧ إبريل سنة ١٩١٩م .

نائب جلالة الملك الخاص

أ .هـ .هـ . اللنبي

يوم الثلاثاء ٨ أبريل:

● أصبح الناس في هذا اليوم ولا شغل لهم إلا المظاهرات وإعلان الفرح والسرور ، والدواوين مغلقة والمواصلات معطلة والناس كأنما خرجوا من أجداثهم إلى الحشر يفدون من كل ناحية وينسلون من كل حدب ، وقد علا هتافهم للحرية والاستقلال فلو قيل : إن شوارع القاهرة اليومَ تموج بما يزيد عن نصف مليون من طبقات خلق الله على اختلاف ألوانهم وأجناسهم لا

شـأن لهم ولا عمل سِـوى الهتاف والخطـب والمظاهرات، لم يكن القائل مائلًا إلى المبالغة أو جانحًا إلى الإفراط.

● وقـد علمتُ في صباح هذا اليوم أن «مظاهرة كبرى» تؤلف اليوم عند الساعة الثامنة والنصف ويسير موكبًا في أول الساعة الثالثة من ميدان محطة القاهرة إلى ميدان عابدين:

١- العلماء - وهم الرؤساء الروحانيون.

٢- رجال القضاء والنيابة.

٣- المحامون.

٤- الأطباء والفنيون.

٥- الأعيان والتجار.

٦- الأزهريون.

٧- المدارس العالية

٨- المدارس الثانوية.

٩- طوائف العمال والصناع.

وإن هـذا الموكب الحافل الفخم سيسـير من ميدان المحطة ويمر بشارع نوبار فشارع كامل فميدان الأوبرا فشارع عابدين.. ولقد سـار في مقدمة المظاهرة جند الأورطة الثامنة.. وكان في مقدمة أصحاب الفضيلة العلماء: الشيخ محمد شاكر، والشيخ علـي سـرور الزنكلوني، والشـيخ محمـد الأبياري، والشـيخ مصطفى القاياتي والشـيخ محمود أبو العيون[٦٤] والشيخ عبد

---

(٦٤) الشيخ محمود أبو العيون (١٣٠٠ - ١٣٧١هـ/١٨٨٢ - ١٩٥١م) من علماء الأزهر، درس بالأزهر وترقى في سلم وظائفه حتى كان سكرتيرًا عامًّا للأزهر والمعاهد الدينية=

ربــه مفتــاح والثلاثة الأخيــرون كانــوا يحملون علمًا مبســوطًا والشيخ محمد عبد اللطيف دراز(٦٥) والشيخ محمود أبو دقيقة.

مر العلماء في الطريق المرســوم إلى ميدان عابدين ثم ذهبوا لزيــارة دور القناصــل إلــى أن اقتربوا مــن إدارة جريــدة المقطم ثم بدا لشــيوخ الشــيوخ أن يعود موكبهم ويدخل قصر عابدين لتحيــة صاحب العظمة الســلطان والشــكر له على ما أســدى، فتم لهــم ما أرادوا، ويممــوا قصر عابدين، وهنــاك أطل عليهم صاحب العظمة الســلطان فحيَّوه، وهتفوا بحياته وحياة مصر، وهتف أحدهم والشيخ محمد عبد اللطيف دراز بحياة السلطان العثماني وبحياة مصر والسودان، فكان بينه وبين شحاتة كامل باشا المراجعة الآتية:

● الباشــا -فــي رفــق ولطف-: يــا أســتاذ إن الوقت عصيب ويكفي أن تهتف باسم مصر وسلطانها.

= ومــن أشهر خطباء الأزهر في الحركة الوطنية، وله آثار فكرية في التاريخ وفي النهي عن المنكرات.

(٦٥) الشيــخ محمــد عبد اللطيف دراز (١٣٠٧ - ١٣٩٧هــ/ ١٨٩٠ - ١٩٧٧م) من كبار علماء الأزهر الذين جمعوا بين العلم الشرعي والوعي والعمل السياسي.
ترقى في وظائف الأزهر إلى وظيفة مفتش المعاهد الدينية وكان في طليعة قيادات ثورة ١٩١٩م وبسببهــا فُصل من وظيفته مرتين ثم عاد وألَّف وقاد «جماعة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية» سنة ١٩٥٤م -التي ضمت في عضويتها قادة التحرير الإسلامي- ومنهــم رشيد عالي الكيلاني وأحمد بن بلــة والشيخ أمين الحسيني والأمير عبد الكريم الخطابي والدكتور عليّ عبد الواحد وافي ومحمد أمين سلامي التركستاني والتي أسهمت في نصرة الثورة الجزائرية منذ انطلاقها سنة ١٩٥٤م.

● الشيخ : نعم إن الوقت عصيب والأوقات العصيبة هي التي تكشـف عن عظمـة الرجال ونحـن نثق بحب مولانا السـلطان لبـلاده ومَن لنـا غير عظمته فـي هذه الأوقـات العصيبة ؟ ! وقد خطب القمص بولس أمام صاحب العظمة السلطان .

رأيـت اليوم مبدأ المظاهرة الكبرى والناس المسـتعدين لها وأكثـر المتأهبيـن للقيام بها فلو قيل لـك : إن عبدًا من عباد الله وقف على أحد شواطئ المحيط فعد جميع أمواجه المصطخبة من الشاطئ الذي هو فيه إلى الشاطئ الآخر فضبط إحصاءها ووصف كل جريـة من جريات الماء التـي تنقلها وتقلبها وصدقتَ هذا ، فصدِّقْ أن بشـرًا من خلق الله يقدر على وصف ما هو حادث الآن في القاهرة . . في كل مكان خطيب شـيخ أو قسيس أو مطربشٍ أو ذات سـوار ، وفي كل ناحية هتاف من الرجال والنسـاء رجالًا وركبانًـا على شـتى المراكب من عربة وسـيارة ودراجة وموتور وكارو ، والمركبـات مزينة بالأعلام وأنـواع الأزهار والرياحين ، فمـن نظر إلى حركـة البلد اليوم لا يظن أن بيـن جدران البيوت ديارًا .

ولقد راقتني خطبة خطبها القمص سرجيوس بميدان الأوبرا إذ وقـف وقال مُسـمِعًا الجمع المزدحم وهـم جلوس على قهوة السـنترال : هل سـمعتم ؟ –وكرر هذه الجملة عدة مرات– حتى إذا اسـترعى الأسـماع ورمته الأبصار مـن كل الحاضرين اندفع يقـول : هل سـمعتم في أجيالكـم وفي محاكمكم الشـرعية أو أخبركـم علماؤكم أن قسيسًـا قبطيًّا مسـيحيًّا يعقـد عقد فتاة

مسلمة قبطية تعتقد الإِسلام وتدين به على فتى مسلم يدين بالإِسلام؟

فقلت له: ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين وقال الجميع: لا.

فقال: أنا فعلت ذلك أمس.

فقلنا: وكيف ذلك؟

فقال: مررتُ بفتاة قبطية الأصل مسلمة هيفاء القد، بارزة النهد، كحلاء، زجاء، نحيلة الخصر، وردية الخدين، فتانة المحاسن، وقد تعلق بها فتى غربي سكسوني وحشي الطباع خشن الجانب يقول: هذه زوجتي لا أفارقها وهي تقول: لا أتزوجك ولا أحبك ولا يميل إليك قلبي؛ هو الزواج بالزور يا مسلمين؟ فاقتربتُ منه وقلت له: يا فتى أنت أقمت بين القوم سبعًا وثلاثين سنة ولا تعرف عادتهم وطباعهم فإِذا كانت الفتاة لا تميل إليك ولا تحب الاقتران بك فلماذا لا تتركها؟ فقال: زوجتي ولا أتركها ولا تفلت من يدي. فلما لم أجد بيده عقد زواج صحيح بالرضا والاختيار حكمتُ بطلاقها منه (أما الفتاة فهي مصر وأما الفتى فالدولة الإِنجليزية).

وإذا بفتى معتدل القوام، جميل الصورة، بهيّ الطلعة فالتفت إليه فإِذا معه زغلول وأصحابه ورشدي وعدلي وثروت فسألتهم: أتعرفون الفتى؟ فقالوا: نعم هذا الدكتور استقلال فسألت الفتاة: هل تحبين هذا وترغبين في زواجه؟ فقالت: نعم ولا أميل إلى أحد سواه. فعقدت له عليها بسم الله الرحمن الرحيم عقدًا صحيحًا شرعيًّا لا اعتراض للمحكمة الشرعية عليه.

ولم أنسَ أني قسـيس مسـيحي، فعقدت لهما عقدًا مسيحيًّا عقدًا مباركًا وإملاكًا مباركًا أبديًّا دائمًا، وبذلك صارت العروس للعريس والجري للمتاعيس.

يوم الثلاثاء ٨ أبريل (٢):

● وفـي مظاهـرة اليوم حـدث أن اثنين من الأرمـن –في باب الخلق– أطلقا الرصاص على المارة، فأصابا منهم؛ فهجم الناس على الرجلين الضاربيـن وذبحوهما؛ فأطلق الإنجليز النار على الناس، فأصابوا قتلى وجرحى، وقتل الناس منهم.

● ولقد تكلم الأستاذ محمد شاكر –بالتليفون– لعز العرب بـك أن شـيخ الأزهر جمع جماعـة من العلماء؛ منهم: الشـيخ بخيـت، ومديـر المعاهد الشـيخ عبد الرحمن قراعـة، ومعهم السيد عبد الحميد البكري، والسيد عمر مكرم، وخاطبهم في أن يقوموا في موكب من الأزهر إلى عظمة السـلطان؛ ليشكروا عظمته، ثم انفضَّ الجمـع على الاجتماع بكرة النهار لتقرير ما يجب.

● وأشـد المناظر تأثيرًا في نفسـي ما شـاهدته اليوم إذ أطل الأطفـال الجرحـى الذين في مستشـفى عباس مـن رصاص يوم الخميـس الماضي بميدان عابدين وصاروا يهتفون للمتظاهرين ويصفقون لهم.

يوم الأربعاء ٩ أبريل:

● اسـتمر ضجيـج المظاهـرات مسـموعًا وأخبرني السـيد حسـين القصبي أن الإنجليز –في جهة العباسية– كانوا يطلقون

النار على المنازل وقد التقط كثير من الناس رصاصًا مما سقط في بيوتهم وأبلغوا تلك الحوادث لقسم الوايلي وأن بعض الجنود البريطانية أهانوا مبروك فهمي باشا ومزقوا ملابسه.

● وأخبرني عبد الله فكري وخليل أفندي أن القضاة في المحاكم الأهلية وأعضاء النيابات أرادوا أن يُظهِروا للأمة أنهم مشاركون لها في ميولهم وشعورهم وأنهم وإن كانوا يجلسون على منصات القضاء وفي مكاتب الأعمال فليس ذلك بلافتهم عن مصلحة أمتهم التي يعتزون بها وبمكانتها ولا عن استقلالها التام؛ ولذلك قرروا أن يسيروا في موكب من ميدان باب الخلق إلى عابدين فمنزل سعد باشا زغلول فلما حاذوا الكونتننتال تقريبًا وكانوا يهتفون للنادي الفرنسي إذا برصاصة أُطلِقت من مسدس ضابط إنجليزي قتلت رجلًا فنادى القاضي والذين معه: إلى الأمام، إلى الأمام، انظروا القتلة فكان قولهم هذا مشجعًا للجميع على السير في سبيلهم ولحق بهم القاضي وحثهم على رفع الاحتجاج على أعمال الإنجليز.

وفي الحال ذهب فريق من الجند البريطاني ودخلوا حديقة الأزبكية وطفقوا يفرقون الموت والقتل على الناس بلا تمييز بإطلاق الرصاص.. والذي أراه أن مشاهد الاعتداء كانت كثيرة وكل مُشاهِد يروي ناحيةً منها شاهدها وهذه الروايات يكمل بعضها بعضًا وكلها حق.

● وفي أثناء الجلسة الطويلة -بمنزل إسماعيل أباظة باشا- جاء أحد أقاربه -الفاضل مختار أباظة- وأنبأنا بحوادث شاهدها منها :

(١) حادثة في ميدان الأوبرا إذ أطلق رجل أرمني الرصاص على الجمهور في الميدان ولما هم الناس بالقبض عليه وهم يريدون أن يذيقوه وبال أمره بمن أصاب من الجماهير لجأ إلى الأجزخانة الإنجليزية -ملك الكونت دي زغيب- فحماه صاحبها وحال بين الجماهير وبين الوصول إليه وجاءت دورية إنجليزية فأرادت استلامه فأبى عليها ذلك فلما ذهبت الدورية في سبيلها هجمت الجماهيرُ الهائجة على الأجزخانة فحطموا كل شيء فيها ولم يبقوا فيها على قليل أو كثير ويشاع أنهم ظفروا بالأرمني فقتلوه.

(٢) حدث في ميدان عابدين من جهة قشلاق الموسيقى أنْ قتل أرمني رجلًا من المارة بإطلاق الرصاص عليه بلا سبب ولا داعٍ فأسرع الجمهور إلى قتله.

(٣) أطلقت فتاة أرمينية الرصاص وهي في شباك مسكنها على الجماهير بآخر شارع عابدين بين قسم عابدين والميدان فهجم الجمهور عليها وأنزلها وألقى ببعض أثاثها في الشارع وأشعل فيه النار.

● وقرب وقت العصر تكلم محمد عز العرب بك -في التليفون- مع الشيخ عبد الرازق القاضي المحامي الشرعي ليذهب لميدان عابدين لتشييع جنازة سيشارك فيها المحامون

بملابسهم الرسمية فردَّ عليه بأنه لا يستطيع الخروج من منزله لما في ناحيتهم من الهرج والمرج بسبب قيام الأرمن على المصريين والمصريين على الأرمن وأن الشيخ قد أغلق بابه والحال سيئة ولا يعلم الآن عدد القتلى والجرحى من الفريقين.

● ومن حوادث اليوم -جهة السيدة زينب- مجيء السيارات المسلحة الإنجليزية تطلق المتراليوزات بلا حساب ففتكوا بالكثير من الناس قتلًا وجرحًا «ولا يرجى لجريح سلامة».

وقد رأيتُ بعض الإنجليز على مقربة مني في شارع زين العابدين وشارع سلامة وقد أطلقوا الرصاص من البنادق على بعض المارة كأنما يريدون أن يتصيدوا وحوشًا.

● وفي هذا اليوم علمتُ أن حضرات العلماء لم يجتمعوا ولم يؤلفوا موكبًا؛ لأن الخطب الداهم ونوبة الصرع التي انتابت الجند الإنجليزي حالت دون ذلك.

● وفي مساء هذا اليوم كان الأستاذ الشيخ محمد شاكر يتكلم في أن الحالة سيئة جدًّا ولا بد من تقديم الاحتجاج إلى قناصل الدول على الأعمال التي يأتيها الإنجليز وأن يطلب منهم التدخل الفعلي في الحال الموجودة في البلد.

● وأخبرني أحدُ طلبة مدرسة الهندسة بأن الطلبة بكَّروا بالوفود على دولة حسين رشدي باشا وحذروه من قبول وزارة تحت الحماية ومن اختيار فلان وفلان للوزارة وسموهم له وهم جماعة من الوزارة المستقيلة لم يظهروا اهتمامًا بالحالة

الحاضـرة ولم يُظهِروا ميلًا إلى أماني الأمة فأظهر كلَّ استعدادٍ لذلك.

يوم الخميس ١٠ أبريل:

● في هذا اليوم شاع أن المصريين جادّون في تتبع الأرمن وإحراق منازل من لم يظفروا بهم وقتل من ظفروا به منهم وأن الحركة في هذا الشأن شديدة جدًّا وأن بعض اليونان واليهود والأقباط والمسلمين يُقتَلون غلطًا ويؤخذون على حساب الأرض وإن بطريرك الأرمن أرسل احتجاجه إلى الدكتور ويلسون مدعيًا أن الأرمن يُقتَلون بمصر على الطريقة التركية وطلب حماية طائفته من المصريين وهو لم يذكر للدكتور ويلسون ما يتبرع به أبناء طائفته من الفتك بالمصريين لينالوا من الإنجليز ما لا يُسمِن ولا يغني من الأجر.

ولما كان بقاء هذا الأمر من شأنه أن يعرقل قضية الأمة ارتعتُ لذلك وصرتُ أعظ الناس في الطرق وأحذرهم عواقب هذا الأمر وأبيّن للجماهير أن قصد الإضرار بالأرمن ولو على سبيل دفع الضرر بمثله ضارٌّ بأهل البلاد وقضيتهم.

● وفي مسجد الحنفي اجتمع عدد كبير من الموظفين وبعض كبار الموظفين من اللجنة العامة وتُلي علينا قرار بإضراب الموظفين عن العمل في وظائفهم إلى أن تجاب المطالب الآتية:

أولًا: أن تصرح الحكومة المصرية بصفة رسمية باعترافها بصحة توكيل الوفد المصري الذي يرأسه صاحب المعالي سعد

زغلول باشا لينوب عن الأمة المصرية في مطلبها أمام مؤتمر السلام.

ثانيًا: أن تصرح الحكومة المصرية أيضًا بأن تشكيل الوزارة الحالية لا يفهم منه الاعتراف بالحماية مطلقًا وأن حالة مصر بعد زوال السيادة التركية عنها أصبح البتّ فيها موقوفًا على قرار مؤتمر السلام.

ثالثًا: إلغاء الأحكام العرفية وسحب الجنود البريطانية المسلحة من شوارع المدن والبنادر والقرى وتفويض حفظ الأمن والنظام إلى رجال البوليس المصري.

وهذا الإضراب لا يشمل الطوائف الآتية:

١- موظفي مكتب مجلس الوزراء (لمدة أسبوع فقط ابتداء من يوم ٢١ إبريل سنة ١٩١٩م).

٢- البوليس وضباطه.

٣- السجانين.

٤- أطباء مستشفيات الحكومة ومن يختارونهم من عمال المستشفيات لمساعدتهم اللجنة العليا لموظفي الحكومة المصرية.

ولما تلي علينا هذا القرار قمتُ خطيبًا في الحاضرين بالمسجد وشرحتُ دقة الحال في هذا البلد وحرجها وما يقصد به الأرمن من الضر وإن مكافأتنا لهم بعملهم هو المقصد الأعظم لمن يريدون تشويه أعمالنا وإظهارنا بمظهر الوحوش الفتاكة حتى يشوه جمال حركتنا نحو حريتنا واستقلالنا.

● وفـي هـذا اليوم ذهب وفـد من اليهود والأقبـاط إلى الوفد وشكَوْا ما ينال الأرمن واليهود من عسف الأوباش والغوغاء.

● وفي مسـاء هذا اليـوم جاء بطريك الأرمـن وعقلاء طائفته وحاخـام اليهود وعقـلاء الطائفة إلى الجامع الأزهر وشـكَوْا ما ينـال أبنـاءَ الطائفتين مـن البطش بهم وأنهم لا يشـكون من أن يؤخذ الآثم بإِثمه ولكن لا ينبغي أن يؤخذ بريئُهم بذنب مجرمهم وبيَّنوا أنهم إنما وجدوا الراحة في بلاد الإِسـلام بعد أن طردتهم الأمم وشـردتهم كل مشـرد وإنهم في كل الأدهار الطويلة على وفاق مع المصريين وناشدهم اليهودُ اللهَ ألا يُلجِئوهم إلى الجلاء وعسـف الأمم الأخرى وخطـب كثير من أبناء هـذه الطوائف، وقـال بعـض خطباء الأرمن واليهـود: إننا نأتي بعيالنـا وأموالنا وننزل ضيوفًا عليكم في هذه الأيام.

فما كان جواب المسلمين؟ كان جوابهم أن رحَّبوا بهم وردوا عليهم ردًّا جميلًا بعد أن أبانوا لهم اعتداء أبناء طائفتهم وسكَّنوا روعهم وصافح المشايخ الحاخام والبطريك وعانقوهما وانتهى الأمر بسلام: أسأل الله أن يكون صلحًا لا يعقبه خصام.

● وفي مسـاء هـذا اليوم قابلـتُ ضابطًا من تلاميذي بقسـم السـيدة فأخبرنـي أن عـدد المصابين في هذا القسـم أمس بلغ ثلاثـة وأربعين مصابًـا، القتلى منهم خمسـة، وثمانية وثلاثون جريحًا، أما باقي الأقسام فلم أُحصِ للمصابين فيها عددًا.

● وقـد أمضيتُ اليوم عرائـض من الموظفين بتوكيل سـعد زغلول باشـا والوفد الذي معـه في المطالبة بحقـوق مصر أمام مؤتمر السلام.

يوم الجمعة ١١ أبريل:

● كان سـفرُ الوفـد المصـري في هـذا اليوم وقـد اجتمعتْ الجماهيـرُ الكبيـرة لوداعـه وتولى حفـظ النظام فـي المحطة البوليـس المصـري وبعض قـوات من الجيش المصـري وقليل من الإنجليز وكان وقت سـفره مشـهودًا بمحطة مصر وألقيت الخطب وكثر الهتاف وعلا، وسافر الوفد مرموقًا بعين عناية الله مصحوبًا بسلامته مكلوءًا بكلاءته والله الموفق للسداد.

● وجرى الحديث بين الأسـتاذ الشـيخ محمد شـاكر وبين صاحب الدولة حسين رشدي باشا رئيس الوزراء على هذا النحو.

الشيخ:

(١) إن البيـان الـذي أصدرتمـوه على إثـر تعيينكم قد جاء فيه: «إني قد قبلتُ تشـكيل الوزارة أمـلًا في حل يُرضِي الأمة»، فهذا البيان لا يدل على أن الوزارة تمثل الأمة، فإنَّ عمل الوسيط الأجنبي قد يكون كذلك، فيقول الوسيط الأجنبي: قد قبلت كذا أملًا فـي حلٍّ مُرضٍ، والأمةُ إنما تطلب وزارة تمثلها وتشـاركها في مطالبها؛ لذلكَ يكون من المحتم على الوزارة أن تقول: إني أمثل الأمة وأشاركها في مطالبها.

(٢) التصريح الذي حدث به الرئيسُ الأهرامَ إنما يَنفي تقرير الإشـراف على مصر، وهذا لا يمنع اعتراف الـوزارة بالحماية،

فواجــب على الوزارة أن تنكر الحماية إذا كانت لا تســتطيع أن تَحمِــل الإِنجليز على الاعتراف ببطلانها بعد أن صرح الإِنجليز بــأن الحمايــة ثابتــة، وأُكــد بقاؤها بتعييــن المندوب الســامي الخاص، فبــإِزاء هذا التصريح منهم يجب التصريح منا بلســان الوزارة أننا ننكر ذلك.

وكان جواب دولة رُشدي باشا على كل مطلبٍ: أن هذا الأمر لا تستطيعه الوزارة.

● وفي هذا اليوم خرج من المستشــفى العباســي أربع عشرة جنــازة مــن مصابي الحــوادث فيها المســلم والمســيحي، وقد خرجــت الجنائز الأربع عشــرة باحتفال عظيم ومــرتْ في عدة شــوارع، ولمــا أراد المشــيّعون المــرور بهــا أمام فندق شــبرد منعهم الجنــد الإِنجليزي وصوب إليهم مدفعًا رشاشًــا، فعرَّض الطلبــة القائمون علــى حفظ النظام من راكبي «الموتوســيكل» والدراجــات صدورَهم لتلقي الرصاص، والســيدات المصريات المشــيعات للجنازة عرَّضْن صدورهــن للرصاص كذلك، وقالوا جميعًــا: اقتلونا، فضجت الجماهير من الجاليات الأوروبية من فظاعــة الموقف وهولــه، وما زالوا بالجند حتى ســمحوا بمرور الجنائز بدون هتاف.

● ومــن أخبار هــذا اليــوم: أن الجنود البريطانيــة ذهبت إلى عزبة سعيد الواقعة بقرب قسم شبرا وارتكبوا الفظائع هناك.

يوم الجمعة ١١ أبريل (٢):

● سافر الوفد المصري من القاهرة إلى مؤتمر الصلح في باريس اليوم الساعة الثانية صباحًا بطريق بورسعيد ومالطة وينضم إليه في مالطة صاحب المعالي سعد زغلول باشا والثلاثة الأعضاء الآخرون فصار مؤلفًا من حضرات أصحاب المعالي والسعادة والعزة الآتية أسماؤهم وهم: سعد زغلول باشا، وعلي شعراوى باشا، وإسماعيل صدقي باشا، وحمد الباسل باشا، ومحمد محمود سليمان باشا، والأستاذ عبد العزيز فهمي بك، والأستاذ أحمد لطفي السيد بك، والأستاذ محمد علي بك، والأستاذ عبد اللطيف المكباتي بك، وسينوت حنَّا بك، وجورج خياط بك، ومصطفى النحاس بك، والدكتور حافظ عفيفي بك، وحسين واصف باشا، والأستاذ محمود أبو النصر بك، والأستاذ ويصا واصف.

● ولقد التمس جماعةٌ من الحزب الوطني الترخيص لهم في السفر إلى أوروبا.. والناسُ لهم كلام كثير في شأن سفر وفد هذا الحزب، فيقولون: إن الحزب قسمان أحدهما غيور على مصلحة البلاد ومتحمس في وطنيته مع سلامة صدر وحسن قصد، والقسم الثاني فيه دهاء ومكر وجميعهم محبون للشهرة لا يودّون أن يأتي خير للبلد إلا مطبوعًا بطابعهم.

على أن رئيس الحزب محمد بك فريد[٦٦] جاءت الأخبارُ من أوروبا بأنه احتج على اعتقال سعد باشا، وأنه موافق على مساعيه كلَّ الموافقة.

---

(٦٦) محمد بك فريد (١٢٨٤ – ١٣٣٨هـ/ ١٨٦٨ – ١٩١٩م) رئيس الحزب الوطني –بعد=

وبعض الناس يعتذرون لمريدي السفر من وفد الحزب الوطني بأنهم أرادوا أن يكون الوفدُ واحدًا، فقال لهم سعد باشا: ائتوني بعددٍ أختار منهم أربعة أو خمسة، فلما أتوه بأسماء اختار بعضًا ورفض بعضًا، ولم تُرضِهم حجته في الرفض، فهذا سبب الافتراق بينهم وبينه.

أما الوجهة التي يريد الحزب الوطني أن يولي وجهه شطرها فهي الذهاب إلى إيطاليا ليخطبوا في حزب العمال الطلياني ويستميلوه إلى مناصرة القضية المصرية، ثم يذهبوا إلى سويسرا لعرض قضية مصر على المؤتمر بعد لقاء محمد فريد بك رئيس الحزب.

وقد بث رجال الحزب الوطني دعاةً لهم في كثير من الأحياء وأرسلوا خطباء في المساجد التي يأوي إليها الناسُ لسماع الخطب، ولكن الناس يعرضون عن سماع أقوال أولئك الخطباء بمجرد اشتمام أنهم يخطبون في حبل الحزب الوطني، وقد رأيتُ اليوم بمسجد الحنفي أستاذًا اسمه الشيخ إبراهيم الموصلي من خريجي دار العلوم كما أخبرني، حاول أن يخطب فلم يدعْه الحاضرون يكمل خطابَه، بل تنادوا بقولهم: «جاسوس - خائن» وليس الرجل فيما أعتقد بالجاسوس ولا بالخائن، ولكنه من الذين يخطبون في حبل الحزب الوطني.

= مصطفى كامل- تعلم في مدرستي الألسن والحقوق واشتغل بالمحاماة، ثم تفرغ للعمل العام، سُجن وعاش بالمنفى، ومات ببرلين، ونُقل جثمانه للقاهرة وله مؤلفات في التاريخ.

ولو أن الحزب الوطني قام منه رجال لهم حنكة وحسن تصرف وأقدموا في فجر هذه النهضة وطلبوا ما طلبه سعد باشا وعبد العزيز فهمي بك وعلي شعراوي باشا، ودأبوا على المطالبة بذلك لكان الناس قد فكروا فيهم اليوم على غير ما نرى، ولكنَّ الفرصة قد فاتتهم.

● قد شاع أن الجنرال اللنبي قال: إن الذين سافروا إنما ذهبوا للفسحة، وإنه ليس من أعمال المؤتمر شيء اسمه المسألة المصرية؛ لأن الأمر تم بين الدول على اعتبار مصر مستظلة بالحماية البريطانية، وأن الوفد لن يطأ عتبة مؤتمر الصلح، وليس له صفة رسمية وأن الجنرال يقرر أن يردَّ المسافرين من عرض البحر.

يوم السبت ١٢ أبريل:

● لقد طلب الموظفون من رئيس الوزراء سحب القوة الإنجليزية من البلاد، فقال لهم: إني طلبتُ ذلك من المعتمد فضربني على وجهي، وذلك بأن قال لي: إنك لم تنجح في رد الموظفين «المُضرِبين» إلى أعمالهم فكيف أرجع العساكر الإنجليزية والحال في العاصمة غير مرضية؟! فعاونوا الوزارة بالنصح إلى الموظفين ليعودوا حتى نتمكن بعد ذلك من ردّ الجنود الإنجليزية.

● وذُكر لي أن أحمد لطفي بك السيد وعبد العزيز فهمي بك ذهبا ليلة السفر إلى رشدي باشا ليكتب توكيلًا لسعد باشا

بالمطالبـة بحقوق مصـر ويمضيه بصفته الشـخصية لا بعنوان وظيفته فأبى.

● وقبل أن يقوم الوفد ألَّف لجنة من الوطنيين تقوم مقامه في مصر لجمع التبرعـات وتدبير المال وتلقِّي الشـكاوى وليقوم بما يطلبه الوفد منها وعددها أربعون شـخصًا، ولهم أن يضموا إليهم غيرهم.

ويقـال: إنه قد تبرع محمد باشـا البدراوي عاشـور بعشـرة آلاف جنيه والشـيخ عبد الرحيم الدمـرداش -ونزعته معروفة- بألف جنيه عن ابنته، وجمع أهالي المنوفية نحو ١٣ ألف جنيه سُـلمت للوفد قبل قيامه وفي نيتهـم أن يكملوا المبلغ إلى ٣٠ ألف جنيه.

يوم الأحد ١٣ أبريل:

● أصبحـتُ أعتقد أن السـماح بالسـفر كان حيلة لتسـكين أعصاب هذا القطر الهائجة.

● وفي مسـاء هذا اليـوم أُخبرتُ بأن مجلـس مديرية الجيزة نظر في شكوى أهالي العزيزية والبدرشين ونزلة الشوبك وقدم احتجاجًـا إلى المديرية ليرفع إلـى وزارة الداخلية وقرر التوقف عن الأعمال بسبب هذه الفظائع.

يوم الاثنين ١٤ أبريل:

● في هذا اليوم شـاهدتُ جنازة لأحد شـهداء الحرية، سارت بترتيب بديع تتقدمها موسـيقى حسـب الله تصـدح بأنغام تثير الأشـجان، ثم يليهـا طلبة المـدارس على اختـلاف أنواعها في

صفيـن جانبيين، وعِدَّة كثيرة من السـيدات والفتيات يمشـين وسـط الصفين تتقدمهن الأعلام، وبعد ذلـك يأتي النعشُ يتبعه العدد العديد من الصناع ونحوهم، وسـار هذا المشـهد الجليل يحفـه الجـلال والوقار المثيـران للواعج الصدر والأشـجان في طريقٍ رُسم لذلك.

● وإذا كان رشـدي باشـا رئيس الوزراء قد وعد الإنجليز بألَّا يمـس الحماية التي يدَّعونهـا، ولا يتعرض لها بنفي ولا إثبات، فإنـه بهذا الوعد يحافظ على عهد قـوم لا عهد لهم ولا يريدون ببلاده خيرًا.

● وفـي هذا المسـاء بلغنـي أن جماعة الحـزب الوطني بثوا دعاتهم في الأزهر، ولكن الشيخ شاكر أنبأ الأزهريين بأن هؤلاء الناس يدعون إلى التفريق فنظروا منهم فاجتمعوا بمسـجد ابن طولـون في هـذه الليلة وأخـذوا يخطبون بالدعـوة إلى الحزب ويُشِـيدون بذكره فانبرى لهم طالب من المهندسـخانة، وأخذ يفنـد مزاعمهم ويثبت أن المسـألة مسـألة تنافس في الرياسـة والشهرة وليس القصدُ خدمةَ الوطن، ووافقه جماعة من الحضور وأسكتوا أنصار الحزب وبكَّتوهم ثم انفضوا بعد ذلك.

يوم الثلاثاء ١٥ أبريل:

● تقابلـتُ اليـوم مع الأسـتاذ الشـيخ محمد شـاكر مسـاءً بالحقانيـة فأخبرني أنه قابل الجنـرال اللنبي اليوم وحادثه نحو سـاعة، ويتلخص ما دار بينه وبين الجنـرال في أن الجنرال بعد أن لقيه قال له: لا بد أن يكون شـيء هام جاء بك فقال الشـيخ

نعم، الأحوال الحاضرة بمصر فإن مصر تشبه طفلًا صغيرًا عليه وصي، وقد كبر هذا الطفلُ وآنس من نفسه الرشدَ، فهو يريد أن يرفع إلى القضاء أمره ليثبت رشده ولكنك أنت الوصي تسد فمه عن الكلام وتمنعه من أن يرسل وكيله إلى المحكمة ليترافع في قضيته التي بينك وبينه، فهل هذا العمل منك أيها الوصي معقول وعادل؟ دع الصغير الذي كبر يرسل وكيله إلى القضاء، ويُدلي بحجته، وإذا كان لك أيها الوصي حجة فبيِّنها وترافعْ ضده في الموضوع بكل قوتك وأدلِ بكل حججك ثم دع القاضي يفصل.

فقال الجنرال: وما تريده مصر؟

فقال الشيخ: الاستقلال التام.

فقال: هذا لا يمكن.

فقال الشيخ: إنك لا تقدر أن تعطيها هذا الاستقلالَ لأنك خصم فيه فدعها تتكلم أمام الجهة المختصة حتى إذا حكمت بأنها لم تبلغ الرشد وقضتْ باستمرار الوصاية لم يكن في قلبها حقد عليك.

فقال الجنرال: إننا قد وضعنا الحماية وانتهينا.

فقال الشيخ: أنا أقول لك إنك وضعت هذه الحماية بعد أن لم تكن ولم أطلبها منك ولم أدعُك إليها، وما فائدتي منها؟

فقال الجنرال: إن الحرب لما قامت في سنة ١٩١٤م ونحن لنا مصالح بمصر وضعنا الحماية عليها، وفائدة مصر أننا دافعنا عنها الأعداء.

فقال الشيخ : إن الدفاع عن مصر ومصالحكم فيها كان يحصل بغير وضع الحماية، وقد زالتْ الحربُ ولم يبق لها وجودٌ يُوجِب أن تكون الحمايةُ كذلك، وحيث إنكم لم تفعلوا، أفليس لمن يتظلم أن يشكو إلى القضاء ما أصابه من الظلم؟

فقال : من العدل أن يُترَك يشكو .

فقال له : فدعْ رئيس الوزراء يقرر أن الوفد وكيل عن الأمة، وما عليكم إذا صرح بذلك حتى تهدأ الحالة؟!

فقال : إنَّ هذا التصريح ضد قضيتنا .

فقال : إذا كنتَ ترى أن قضيتكم يضرها تصريح كهذا، فثق أنكم لن تكسبوها، فإذا استحسنتم فأرسلوا إلى رشدي باشا ليصنع صيغة لتصريح يهدئ الناس فإن الحالة رديئة .

فقال : الجنرال : حتى أخابر دولتي .

وكان فيما قاله الشيخ : لِمَ تعاملون الناس معاملة مختلفة؟

فقال الجنرال : وما ذلك؟

فقال الشيخ : إن لمصر إخوة قاصرين يريدون الخروج من الوصاية ساعدتموهم وحرمتموها المساعدة .

فقال : ليس عندنا بلاد أخرى تطلب ما تطلبه مصر .

فقال : لستُ أريد بذلك بلادًا عندكم، ولكن لمصر جارات وأخوات، فالحجاز وفلسطين ولبنان وسوريا والعراق كُنَّ تحت وصاية تركيا فساعدتموهن على إثبات الرشد وصرحتم لمندوبيهن بالوجود أمام المؤتمر، وعاونتموهن على الخروج

مـن الوصاية وحرمتم مصر التـي تحت وصايتكم ومن العدل أن تساوَى بهن.

وكان فيما قاله الشيخ للسكرتير: كان من حقكم أن تعاونوا مصر على أن يكون لها وفد نائب عنها أمام المؤتمر؛ لأن الحماية التي وضعتموها ليست شيئًا قد أقرته الدول وكفلته المعاهدات كما هو حال السـيادة التركية على مصر، فالمصري إذا ذُكرتْ مصر في المؤتمر كان خصمه تركيا التي تقول بحق: أنا صاحبة السيادة، والمصري يدفعها ويريد التخلص منها، وأما أنتم فقد وضعتـم حماية لم يصادق عليها من الـدول، فلا صفة لكم أمام المصري بالمؤتمر، فخير لكم أن تخرج مصر من يد تركيا.

وقـال لـه أيضًا: إنكم وضعتـم مصرَ في موقف حرج شـاق، فمثلهـا كمثل الشـخص الواقف في حر الشـمس عـاري الرأس والحجـرُ تحت قدميه فهو إذا اسـتمر على ذلـك أقدم على أمر هائل.

فقال الجنرال: وما هو؟

قال الشـيخ: إنـه ينتحر؛ لأنـه لا صبر له، وهو شـاب ليس مثلك وقد حنكته التجارب، فأسرعوا إلى ما يهدئ الحالة.

يوم الأربعاء ١٦ أبريل:

● أصبحنـا فـي هـذا اليوم كسـابقه والنـاس يتسـاءلون عن الإضراب -إضراب الموظفين- وما عسـى أن يكون كشأنه وقد بكر الناس إلى الأزهر الشريف، وذهبتُ إليه في الساعة الحادية عشـرة، فلما دخلنـا الأزهر وجدناه حاشـدًا بالنـاس، ورأينا ما

لا عين رأت ولا أذن سمعت من مشهد حافل بالأماثل وغاصٍّ بطبقات الناس وأصناف أهل البلاد من العلماءً الأعلام والأعيان الكرام والمحامين الأفاضل ورءوس التجار وطلاب العلم على اختلاف أصنافهم وتباين درجاتهم والآباء الروحيين مما يكلّ عنه وصف الواصف، ويقصر دون الإتيان على بعضه قلمُ الكاتب، فإذا حدَّثْتَ فحدث عن المحيط الزاخر والبحر ذي الأزباد والتيار، وما ظنك بمحفل يضم عشرات الألوف من شتى أصناف الناس على اختلاف أديانهم وتباين نحلهم، وبينهم العددُ الجمّ من الموظفين.

ولما تكامل الجمع وانتظم، وأخذ الزحامُ بالكظَم[٦٧] قام الأستاذ الشيخ مصطفى القاياتي على كرسي ونادَى بمنتهى صوته أنه يفتح الجلسة بسم الله الرحمن الرحيم تحت رياسة العلامة المفضال مفتي الديار المصرية ثم دُعي الأستاذ الشيخ أحمد الغمراوي من علماء الأزهر الشريف، ليقول كلمته في هذا الاجتماع فقام -وناهيك بعذوبة ألفاظه وقوة إيجاده وحسن تدفقه بالعبارات العذبة المهذبة وحسن بيانه- فقال ما ملخصه: إن الأمة المصرية جميع عناصرها وأجزائها من أدنى البلاد إلى أقصاها تطلب الاستقلال وتَنشُدُه وتبذل في سبيله كلَّ مرتخص وغالٍ، وقد قامت في هذا السبيل قيامًا محمودًا، وتضافر على ذلك جميع من تُظلهم سماء مصر وتُقلُّهم أرضُها، وقد سالتْ الدماءُ في هذا السبيل أنهارًا، وحُصدت الأرواحُ حصدًا، وهم لا

(٦٧) الكظم: الحلق أو الفم أو مخرج النفس. (تاج العروس). المجلة.

ينثنون عن مطلبهم العزيز، وقد قامت الطبقات كلها بما عليها وخاصة موظفي الحكومة الذين خاطروا بمناصبهم وقاموا بنصيبهم.

ثم قام الأب مرقس سرجيوس، وأخذ يتلاعب بأفكار الحضور وعواطفهم بعباراته الطلية الرشيقة فتكلم عن تلاقي الأجسام، وكيف يولّد الحرارة، وأن الاجتماع قوة كالحبل المثلث يأبى القطعَ، ثم تكلم عن رشدي باشا بعبارة كلها دهاء، فذكر إخلاصه ووطنيته، وكيف أنه سنَّ الإضراب عن العمل، وكان أستاذ الأمة في هذا السبيل ثم بيَّن أنه على اتفاق مع الموظفين في الباطن وإن كان مبايِنًا لهم في الظاهر، وأن تهديده إنما هو ألعوبة من الألاعيب التي تعلمها من الإنجليز الماكرين الخادعين مدة وزارته، فلا ينبغي أن نلومه على ما يَصدُر منه من القسوة في القول، فإن ذلك مكرٌ ودهاءٌ منه، وهذه العبارات لا تصدر إلا من داهية، ولو أصغى إليها الإنجليزُ وتلقوها بقبول لأسقطوا رشدي باشا من حالق(٦٨).

ثم تلاه قِسٌّ آخر عن طائفة الأقباط الكاثوليك.. حثَّ على الاتحاد والوفاق نيابة عن بطريرك الطائفة، وهذا نص القرار الذي قُرئ بالأزهر، وقَّعه طبقاتُ الناس عدا الموظفين والأزهريين الطلبة:

«الأمة المصرية الممثلة في جمع من العلماء ورؤساء الأديان والنواب والمفكرين والمحامين والأطباء والتجار بالجامع

(٦٨) المكان المرتفع. (المجلة)

الأزهر الشريف تقدِّر جهادَ الموظفين في سبيل استقلال بلادهم حــق قــدره وتشــاركهم في جميــع مطالبهــم بحذافيرهــا جملةً وتفصيلًا . . وتعلن أنَّ الوفد الذي ســافر يرأسه سعد زغلول باشا لطلــب اســتقلال مصر التام يمثــل الأمة تمثيــلًا حقيقيًّا وتعتبر الوزراء مســئولين أمــام الأمة إذا قصروا في إعــلان هذه الحقيقة بصفة صريحة رســمية وترجو حضراتِ قناصل الدول أن يُبلّغوا هذا لحكوماتهم خدمةً للحقيقة والإِنسانية» .

● ولقــد أطلق الجنودُ الإِنجليزيةُ في ليلة ١٠ ، ١١ الرصاصَ على الناس بالمزارع وبشــارع شــكلاني وعزبة بلال والشرابية وعزبــة عبــد الحميد وعزبة حســني وكان أشــدّ أعمالهم بعزبة بــلال وقتلوا بعــض الســكان وأصابــوا بعضًا آخــر بجراحات ، وأحرقوا بعض البيوت .

● وعلمتُ الليلةَ أن الإِنجليز في الصعيد يَعرضون على البلاد عددًا يقدّمونه للجَلْد وهي فظاعة لا ينساها لهم التاريخ .

● وقد نَشر الحزب الوطني نشرة بيَّن فيها أنه عدل عن إرسال وفد إلى أوربا ، وأنه سيقف موقف المترقب للحوادث والمرشد بما يرى فيه خير الأمة والبلاد .

يوم الخميس ١٧ أبريل:

● أخذتْ الأخبارُ ترد بكثرة عن فظائع الإِنجليز وعسفهم في معاملة أهل البلاد .

● وقــد كانتْ شــرطة وطنية أُلِّفت من طلبــة المدارس العالية يضع الواحدُ منهم خرقةً حمراءَ تحيط بذراعه الأيسر وقد كتب

عليها بالقماش الأبيض «بوليس وطني»، ومهمة هؤلاء الشرطة تثبيت الأمن وفضّ المشاكل والمنازعات بطريقة سلمية، وإدارة هذه الشرطة بمسجد السلطان مؤيد شيخ المحمودي، ورئيسها الذي يصدر الأوامر هو الأستاذ الشيخ مصطفى القاياتي، من مدرّسي الأزهر الشريف.

● وقد علمتُ بأن الغربية والشرقية والقليوبية والجيزة قد أضرب الموظفون ومديرياتها ومحاكمها ونياباتها عن العمل أسوة بموظفي الوزارات والمصالح بمصر.

● وقد ذكرتِ الجرائدُ أن القائد العام «الإنجليزي» قد جعل عقوبة الإعدام جزاء من يلقي المواد الكاوية على أحدٍ بقصد إتلاف نفسه أو عضوٍ منه، وذكرت ١٩ حادثة حصلت بإلقاء حمض الكبريتيك.. ونشرت «الأهرام» حدوث أربعة إصابات بحمض الكبريتيك، فتم بذلك عدد الحوادث ٢٣ إصابة.

الجمعة ١٨ أبريل:

● في هذا اليوم صدر منشور من القائد العام بمنع البوليس الوطني، ونصُّه:

«أمر تحت الأحكام العرفية»

جناب القائد العام بالقُطر المصري، بمقتضى السلطة المخولة له لتنفيذ الأحكام العرفية يأمر بما هو آتٍ.

قد اتصل بعلم السلطة بأنه قد تألفتْ جمعيةٌ داعيةٌ نفسَها «البوليسَ الوطنيّ» بحجة حفظ القانون والنظام ولو أنه من

الواجب على كل من الأهالي أن يساعد البوليس في حفظ النظام فلا يمكن السماحُ لجمعية مثل المارّ ذكرها.

إن تأليف هذه الجمعية وما يشابهها من الجمعيات ممنوع، وكل شخص يرى لابسًا علامةَ هذه الجمعية أو أي جمعية أخرى تشابهها بعد الساعة السادسة صباحًا من يوم باكر الموافق ١٨ إبريل يُقبَض عليه ويحاكَم تحت الأحكام العرفية.

لفتننت كولونيل

ك. و. هـ. ش

مساعد أدجوتانت وكوارترمستر

جنرال بالقطر المصري

القاهرة في ١٧ أبريل سنة ١٩١٩م.

● وقد علمتُ أنه من يومين قبضت السلطة على نجيب فهمي بك إسكندر، رئيس قلم حركة البضائع بالسكة الحديدية بحجة أنه من المحرضين على الأحزاب، فكان ذلك سببًا لغضب بقية الأقباط الذين لم يُضرِبوا عن العمل في السكة الحديدية فتركوا أعمالهم ووقفت أحوال المكاتب، وبلغني اليوم أن السلطة أطلقته غير أن ذلك لم يظهر له أثر في السكة الحديدية فإن أحوالها لم تزلْ معطلة.

● وفي هذا اليوم علمتُ من بعض أعضاء لجنة الوفد أن جماعة من الضباط الأمريكان وجهتهم فلسطينُ لتحقيق مسائل الأرمن هناك نزلوا بورسعيد ثم حضروا إلى مصر، فرويت لهم حوادث الأرمن على غير وجهها، فأخذوا يستطلعون الأحوالَ فتبين لهم

بالإجمــال أن الأرمن هم الذين اعتدوا فنزلوا في بيتٍ جهة قصر النيل وهم يريدون أن يقفوا على الحقائق قبل سفرهم.

وقــد عُنيتُ بهذا الأمر، فتوجهتُ إلى قســم عابدين، وهناك علمتُ أنه يوجد بالمحضر نمرة ٩١٤ أن رجلًا يقال له: يعقوب إيريكيان تغيَّب في هذه المدة، وهو ممن اتهم بإطلاق النار على الجمهور أثناء المظاهرات، والناسُ يريدون أخذ أثاثه لإحراقه، وقد تغيب من يوم ٣ أبريل، فحضر مالك المنزل وأخبر البوليس أنــه يريد أن يُوجِد أثاثَــه «بالمنظرة» خوفًا من الناس، وأن يكون نقلُه على يد البوليس، فوُجد في أثاثه بندقية «بروحين» وفشنك وجنجانة وســكين وجفير سونكي. وزادني مراد أفندي الخولي أنــه وجد عنده جنجان منطلق، وهــو ماركة الجيش الإنجليزي، وأن محمــود عزمي المقاول صاحب البيت روى كيف أنَّ الرجل الأرمنــي أطلــق الرصاص على الناس وقد شــاهده هــو والدكتور كامل الذي قرر أن بعض الرصاص دمدم، وكان تحرير المحضر يوم ١١ أبريل سنة ١٩١٩م.

وفي قسم الموسكي أن موريس بنيامين جولد شـبن الأرمني اتُّهــم برمــي الجمهــور بالرصاص، وقــد فُتش بيتــه، فوُجد فيه بندقية ومســدس و١٣٣ طلقة للبندقية و٢٨ للمســدس وسيف ضابــط وســنكي بالجفيــر وكفة جنجــان و٤ عصــي، كل ذلك من متعلقــات الجيش الإنجليزي ونظارة مكبــرة وصفارة وكان يســكن نمرة ٢ بشــارع درب المناصرة قســم الموســكي، وقد جــاء ضابط إنجليزي وادَّعى أن المضبوطات له، مع أن الضابط

بسـيفه ومسدسه وأُطلق الأرمني بأمر هملين، وفي يوم ٣ أبريل أَطلقتْ الفتاةُ ماري أميريان الأرمنية الرصاصَ على المارة فقتلتْ شـخصًا وأصابـت الرصاصـةُ الأخـرى بابًا مـن الحديـد، فلما حُبست في قسـم عابدين جاء ضابط إنجليزي باثنين من الجند الأسـترالي ادَّعى أحدهما أنه الضـارب للرصاص «لأن الرصاصة التي اسـتُخرجت من القتيل كانت إنجليزية» وقد شهد الشهودُ أنهم رأوا الأرمنية تَضرب بالرصاص، وصار الأستراليان يترددان طالبَيْـن إطلاقَ سـبيلِ الفتاة، فلم تشـأ النيابة ذلك بعد شـهود الرؤية.

وقـد علمتُ اليـوم أن السـلطة كانت قد أخذت مـن الأرمن ٤٥٠٠ شـخص ووضعتهم بناحية مصر الجديدة، وقالت: إنها وضعتهم في مكان أمين وهم رجال ونساء.

● وفي ليلة أمس خرجتْ امرأة من بيتٍ في جهة شبرا لقضاء حاجتها ليلًا فأحسَّتْ بالجنود الإنجليزيةِ فخافتْ وأسرعتْ إلى منزلهـا وأغلقته خلفها، فأطلق إنجليـزي الرصاصة على الباب فاخترقته وقتلت المرأة.

● ومن نحو أربعة أيام أو خمسـة أرسـل رشـدي باشا شخصًا يريـد الطلبةَ على أن يهتفـوا له بالداخلية ليَعلَـمَ الموظفون أنه مؤيَّد من فريق من الأمة فأبى الطلبةُ ذلك.

● وفي هذا اليوم حدثني محمود بك الباجوري أنه منذ أسبوع وَجد إنجليزيين مقتولين على شريط السكة الحديدية عند كفر مسـاعد بالقرب من صفط الملوك فضـرب الإنجليز نطاقًا على

الكفـر وأرادوا هدمـه على أهله، وإحراقـه فجاءهم ضابطٌ منهم مـن إيتاي البـارود وأمر أن يحاصـر الكُفُور التـي بجانبه أيضًا، وقبضـوا مـن جميعها على نحـو ١٥٠ رجلًا، وعقدوا مجلسًـا حربيًّا إنجليزيًّا بصفط الملوك، فكانوا يأتون بالرجل ويسألونه عـن معلوماته في قتـل الجنديين فيقـول: لا أدري من هذا الأمر شيئًا، فيُكتَب اسمه في ورقة ويكتب له فيها عدد الجلدات التي حكم عليه بها.

ولما أرادوا جلدهم لم يجلدوهم بالطريق المعتاد من الضرب على الظهر، بل كانوا يلفون الشـخص بخشـبة خلف ظهره ثم يجلدونـه علـى بطنه عاريًـا وعلى وجهـه بالسـوط «الكرباج» السـوداني فأصـاب الجلدَ بالتمـزق، فقُتل اثنان بسـبب ذلك، وبعضُهم قُطعت أذنُه وبعضهم شُوِّه وجهُه.

فقام على إثر ذلك حسني بك عمار المحامي وشابٌّ يقال له: عبد القادر، قيل: إنه مأمور بالأوقاف الخصوصية، وقام غيرهما وجـاءوا جميعًـا بأربعين من المجلودين إلـى مصر، وعرضوهم على رشدي باشا من ثلاثة أيام فقصد إلى الجنرال اللنبي وقابله.

وقـد علمـتُ الليلةَ أن نجيـب فهمي بك إسـكندر لم يطلق سـراحه، ولكنـه أُخـذ في سـيارة إلى محطـة قليوب ثم أُرسـل بالقطـار إلـى حيث يركـب البحر إلـى مالطة معتقـلًا، وهكذا يرتكب الإنجليزُ الخطأ يتلوه الخطأ.

وقد شـاع الليلـةَ أنَّ في النية وضـعَ الموظفين تحت القانون العسكري فيصبحون مجندين تُجرَى عليهم الأحكام العسكرية.

يوم السبت ١٩ أبريل:

● حضرتُ اليوم اجتماعًا لموظفي المعارف بمسجد الشيخ صالح خَطب فيه كثيرون منهم قبطي يقال له: أمين باسيلي أعجبني أسلوبه الخطابي على ضعفه في العربية.

وفي هذا اليوم جاء تلغراف يفيد وصول الوفد إلى مرسيليا أمس الساعة ٦ صباحًا وأنه يصل إلى باريس اليوم أو غدًا.

● وقد سمعتُ أن رئيس الوزارة أعلن للجنة الموظفين أن القبض على نجيب فهمي بك لا يمس قرارهم؛ لأنه لم يقبض عليه بسبب قضية الإضراب، وإنما قبض عليه بسبب قضية السكر، وهي قضية اتُّهم فيها نجيب بك وبعض الإنجليز وبُرِّئ نجيب بك منها فهم يقولون بظهور أدلة جديدة ضده، وإني لأعجب إذا كان مجرمًا على هذا الوجه فأمامهم المحاكم العسكرية والمدنية، وأما النفي إلى مالطة فهو سبيل المجرمين السياسيين، فهذه التهمة التي حرَّكوها لم تكن إلا للتضليل.

● وشهدتُ اجتماعًا حافلًا بالأزهر احتشد إليه الطلبةُ والموظفون والعلماء والقسوس وأصناف الناس، وتبودلت الخطب في موضوع الإنجليز وفتكهم بالعباد وتخريبهم البلاد ومعارضتهم للمصريين في أمانيّهم القومية، وقام بعض القسوس وخطب خطبةً تضمنت عطف السوريين على أماني المصريين القومية ومشاركتها لهم في العواطف، وأثنى على المصريين بإحسانهم ضيافةَ إخوانهم وهتف لمصر والشام، وردّ عليه

الشـيخ أبـو العيون بمثـل ذلك وحاز الشـيخ علـي الزنكلوني استحسان الناس بخطبة ألقاها.

ومما قرأه الشيخ أبو العيون على الناس منشورٌ طبعه الإنجليز وألقوه على الفلاحين في القرى بواسـطة الطيارات يناشدونهم فيـه ألَّا ينخدعـوا بالقول الـذي يروّجه عليهم فِتيـان مصر من الحرية والاسـتقلال؛ لأنـه نتيجة ذلك كانت كسـاد التجارات وقلـة الحاصلات وحلول المصائب بهم من الجيوش الإنجليزية من قتل الأبرياء وإتلاف المزروعات أو تخريب بعض البلاد وأن البلاء كل البلاء ينتظرهم إن سـمعوا له بعد الآن ولم يعودوا إلى السـكينة فإنهم لا تأتيهـم المياهُ لريّ القطن ولا لسـقي الذرة، ويكون في ذلك هلاكهم..إلخ.

● وفـي هـذا اليوم كان عيـد الأقباط، وقد اتفقـوا على أن لا يُظهِروا فيه فرحًا ولا سرورًا، وألَّا يكون العيدُ إلا في كنائسهم، وقد وفدتْ عليهم وفودُ المسـلمين في الكنائس، ولا تَسَلْ عما تبادلـوه من الخطب الطنانة، وكلها تـدور على الأماني القومية والمطالب الوطنية وعسف الإنجليز وظلمهم والاتحاد والاتفاق مما يطول لو استوعبناه.

● وقـد تقابلتُ مع الأسـتاذ الشـيخ محمد شـاكر فأخبرني أنـه قابـل الوزراء وقد قال له رشـدي باشـا: إنـي أصبحتُ أميل إلـى التقهقر في نيـل المطالب؛ لأن الإنجليـز لا يرضون بإنالة المصريين شـيئًا مما يطلبونه من التصريحات، وأما عدلي باشا يكن فأخبره بأنه لا يقدر أن يقول شيئًا، فقال له: إني أكتفي منك

بهذا دليلًا على شـدة رجائـك، وأملك بنيـل الإذن بالتصريح، ثم قـال له: يا معالي الوزير إنكم تحسـون بأن الأمة محقة فيما تطلـب، وإنكـم في سـركم تودون إجابـة مطالبها، فـلا ينبغي أن يسـوءكم تشـديد الأمة عليكم؛ لأن ذلك يوجـد لكم العذر أمـام الإنجليـز ويوجب تخفيف ضغطهم عليكـم؛ لأنهم يرون الأمـة من ورائكم يَقِظةً لكل ما تأتون من الحركات والسـكنات تحاسبكم على كل صغيرة وكبيرة منه.

● وقد سـمعتُ اليوم أن الأسـتاذ داود بـركات رئيس تحرير الأهرام علم من القنصلية الفرنسـية أن حكومة فرنسـا أصدرت الأمـر لحاكم مرسـيليا وحاكم ولايـات الرين باسـتقبال الوفد المصـري بما يليق به مـن الإكرام.. وهذه الروايـة وافق عليها الأسـتاذ داود إذ سـئل عنها من إبراهيم سعيد باشا، وهي تبشر بأن الوفد معتبر معروف الشخصية.

● لقد صار السفر من طنطا إلى مصر بالعربة يكلف المسافر ستة جنيهات فمن طنطا إلى شبين جنيه ونصف، ومن شبين إلى بنها جنيه ونصف، ومن بنها لمصر ثلاثة جنيهات.

● ولقد بدأتْ هـذه الأيام حركةٌ عظيمةٌ لجمع الأموال للوفد ولإعانة العمال العاطلين بسبب الأحزاب وهي أشد في الأرياف، فقد جمع في مركز السنطة ستة آلاف جنيه لهذا الغرض، وجمع في مركز المحلة خمسـة آلاف من البـدو وينتظر أن يكمل ١٥ ألفًـا مـن باقي بلاد المركز وفي الإسـكندرية جمـع ثلاثون ألفًا

والدقهلية جمعت خمسة وعشرون ألفًا وسيكون في القاهرة بعد قليل حركة عظيمة لذلك.

● وتأتي الجرائد الإنجليزية في هذه الأيام حافلةً بالكلام عن مصر وآراء الكتاب في أسباب تحرج الحال فيها بين الإنجليز والمصريين، وأكثر الكُتّاب في ذلك على صواب ثم يفيضون في دواءِ هذه الحال وحينئذ يفترقون على أنحاء شتى ومن أشرّهم قولاً في هذا السبيل المستر ويلكوكس المهندس الشهير فيما كتبه بجريدة الديلي نيوز ٢٢ مارس.

● وفي هذا المساء ذهبتُ إلى مسجد السيدة زينب وكان الجمع حافلًا وقد خطبت خطبة كان لها وقعٌ حسنٌ عند الجميع رحبت فيها بالمصائب التي حلتْ بالأمة والدماء الغزيرة التي سُفكت والقرى التي دمرت وقلتُ كلامًا مغزاه أن أعمال الإنجليز حجج يقدمونها للعالم على أنهم ليسوا أهلًا للبقاء في مصر.. إلخ.

● وفي بلدة أبي ثور، القريبة من طنطا.. ضرب الإنجليز البلدة بالرصاص فقتل من الأهالي عشر وجرح نحوه ورحل أهل البلد إلى البلاد المجاورة وأخلوه.

يوم الثلاثاء ٢٢ أبريل:

● في هذا اليوم قابلني أحمد القاضي أفندي وأخبرني أن وفدًا من السيدات المصريات قابل رشدي باشا بوزارة الداخلية أول أمس، فلما قابلهن تقدمتْ إحداهن وقالت له: أنا فلانة بنت فلانة أقول لك بالنيابة عن أخواتي السيدات: إننا جئنا لنحتج

على الـوزارة ؛ لأنها أهملـت مصلحة الأمة ، فإن الدماء تُسـفك والأموال تنهب والأعراض تُسـتباح والوزراء لا يحركون سـاكنًا ولا يدفعون عن أهل البلاد ضيمًا ، فأين قولك : إن الوزارة مصرية تعمـل على تحقيق رغائـب الأمة ؟ وما الذي حققتـه ؟ إننا نؤيد الموظفين في طلباتهم ، ونحتج على الوزارة في عملها ضد رغبة الأمة ، وإذا كانت الوزارة لا تعمل برغبة الأمة فعليها أن تستقيل بعد أن أصبحت الأمة كارهة لها .

فبُهت الباشـا وانتُقع لونه ونادى بصوت عال قائلًا : يا عدلي باشا ، قلت لك : إن الاستقالة أحسن من هذا العار ، فإن السيدات فـي بيوتهن صرن يكرهننا ويعتقدْن فينـا الخيانة ، وغدًا يربين أبناءهن على كراهة أبنائنا .

● وفـي هـذا اليوم اجتمـع كثير مـن السـيدات المصريات بمسجد السيدة زينب عقب صلاة الظهر ، وقامت منهن خطيبة نديـة الصوت ذلقـة اللسـان ، غيـر أن خطبتها علـى طولها لم تتضمن معنى يحسـن السـكوت عليه ، وكان أكثر كلامها عامًّا في الدين وذكر الشـهادتين والصلاة والسـلام على رسول الله . . إلخ .

ثم قامت فتاة يظهـر عليها هيئة الصغر وإن كانت كبيرة في العمر ، وخطبت خطبة من ورقة ، ثم أخرى تلت نشيدًا ، ثم شابة عَـوان[٦٩] تلت خطبة طليّة جيدة بعبارة حسـنة . ثم خطب أمين عز العرب أفندي ، وتلاه شاب يقال له : « شكري » بقصيدة جيدة

(٦٩) العوان: المتوسطة في العُمر بين الكبر والصغر من النساء والبهائم. (المجلة).

تضمنت الكلام على عمل الإنجليز، وهي بديعة جدًّا. ثم انفض الجمع.

● وقد جاء من سعد زغلول باشا تلغراف ينبئ بوصول الوفد إلى باريس ونزولهم جراند أوتيل، وتاريخ التلغراف ١٩ الحاضر.

● وعلمت في هذا المساء أن الإنجليز يجمعون عُمَد المراكز ويريدونهم أن يكتبوا أن الجنود الإنجليز أعادوا الأمن إلى نصابه، ولم تعد حاجة إليهم في حفظ الأمن، والناس والعمد والأعيان يأبَون أن يقروا لهم بالفضل؛ لأنهم كانوا عِلَّة اضطراب الأمن ولا يزالون إلى الآن.

يوم الأربعاء ٢٣ أبريل:

● لقد علمتُ أن موظفي وزارة المعارف اجتمعوا بمسجد الشيخ صالح، وأكثر موظفي الداخلية اجتمعوا بمسجد الحنفي، وقرروا الإضراب...

أما عمال التلغراف فاجتمع منهم مئتان وسبعون شخصًا وقرروا الإضراب حتى تتألف وزارة مصرية وتجيب المطالب التي أضرب الموظفون من أجلها بأغلبية ٢٦٨ ضد ٢.

● وقد وقفتُ في جريدة «الأفكار» على قصيدة أنشأها محمد أفندي الهراوي، وألقاها يوم عيد الفصح -«الأحد الماضي»- على جمهور عظيم جدًّا من المسلمين والأقباط في الكنيسة الكبرى بحضور كثير من العلماء والقسيسين، فنالت استحسان جميعهم. وهذه أبياتها الرائعة البديعة:

حيِّ الكنائس عن مساجد أحمد
وانشر أحاديث الإِخاء وردد
وعن العمائم أَدِّ خير تحية
لذوي القلانس والرداء الأسود
لا فرق بين كنائس ومساجد
فكلاهما لله بيتُ تَعَبُّد
صلى أبو حفص بباب كنيسة
وكأنما صلى ببطن المسجد
بنى أبي، والنيل أكرم والد
وعسى أخ لك لم يكن من مولد
إنا أناس لا تخالف بيننا
رغم المذاهب في سبيل المقصد
النيل والأهرام تشهد أننا
أهل المكانة في العلا والسؤدد
والنيل طهَّر بالصفاء نفوسنا
والنفس تصفو من صفاء المورد
عشنا على حلو الزمان ومره
نسقي سلاف الود غيرَ تصرُّد[70]
قل للذي يسعى يفرق شملنا
في وجه سعيك كل باب موصد
يا أيها البطريق إنك قائم
في ظل بيت للإِله مشيَّد

(٧٠) غير شحيح.

خـذ فـي يـديـك كـتـاب عيسى طـاهـرًا
وابــسـط دعـــاءك فــي جـــلال المعبد
أحــبــابــنــا الأقـــبـــاط هـــذا عـيـدكـم
لاحـــــت بـــشـــائـــره بـــفـــأل مـسـعـد
نــزلــت بـمـؤتـمـر الــســلام رجـالـنـا
فـــيـــه عـــلـــى أمــــل هــنـــاك مـــوطّـــد
وأتـــت وفـــود الـمـسـلـمـيـن ببابكم
زمـــــرًا تـحـيّـي عــن هـــوى وتـــودد
ذاك الـــهـــوى مـــا بـيـنـنـا مـتـبـادل
بـــــاقٍ عـــلـــى الأيـــــام إن لـــم يـــزدد
إنـــــا ورثـــنـــــــاه ونــــورثـــــه مـعًـا
بــقــديــمــه وحــديــثـــه الـمـتـجـدد
يا عيد فاكتب في الصحيفة ما نرى
يــا عـيـد واشـهـد فـي الـزمـان وأشـهـد
بـتـعـاقـد الجمعين فـيـك عـلـى هـدى
مـــن ربـــهــم وعـــلـــى مـــــرام أوحـــد
إن يـسـألـوا مـا الـعـنـصـران فـقـل هما
روح بـجـسـم أو بــنــان فـــي يـد
يـا يـوم عـيـد الـفـصـح أو عـيـد المنى
لـقـبـيـل عـيـسـى أو قـبـيـل محمد
الـــعـــنـــصـــران يـــؤمـــلان كـــلاهـمـا
فـيـك الـرجـاء وأنـــت مـأمـول الـغـد

● ومن أعجب العجب أن تحصل المجازر البشرية في مصر وأنحاء بلادها، وتحرق القرى وتهدم المنازل، ويأتي الإنجليز هذه الأعمال فلا تحرك دولة من الدول ساكنًا ولا تنبس ببنت شفة، حتى إذا ما اعتدى الأرمن على المصريين وبادءوهم بالعدوان والقتل فردَّ المصريون عليهم بمثل ما صنعوا؛ سُمع دويّ صوت الأمريكان يستنكرون على المصريين عملهم ويجعلونهم طلاب حق بطريق الشدة والأعمال المنكرة. انقلب الوضع وانعكس الحق، وصار المظلوم المهضومُ الجانبِ جانيًا أثيمًا. وإلى الله المشتكى.

وأغرب من هذا كله أن يجاهر ويلسون، الذي طالما لقبه الناس بنصير المظلومين ومؤيد الحق، بتأييد حماية الإنجليز على مصر، ويعترف بها، وهي غير شرعية ولا قانونية، بل هي ظلم بحت وعسف صُراح لا يؤيدها قانون ولا يعترف بها عدل، ثم يريد بعد ذلك أن يظهر بأنه نصير الضعفاء ومؤيد الحرية وناشر لواء السلام.

أيصح لقاضٍ أن يبدي رأيه في قضية سيترافع فيها الخصوم أمامه، ويدلي كلٌّ بحجته قبل أن يعرف شيئًا من براهين الخصمين؟

● وقد نشر اليوم ما يأتي:

تصريح الدكتور ويلسن بشأن الحماية

دار الحماية. القاهرة في ٢٢ أبريل سنة ١٩١٩م

تلقى فخامة نائب الملك الكتاب التالي من المعتمد السياسي والقنصل الجنرال لدولة الولايات المتحدة في القطر المصري وهو:

وكالة أمريكا السياسية وقنصليتها الجنرالية

القاهرة مصر في ٢٢ أبريل سنة ١٩١٩م

يا صاحب الفخامة

أتشرَّفُ بأن أقول: إن حكومتي أمرتني أن أبلغكم أن رئيس الجمهورية يعترف بالحماية البريطانية على القطر المصري، وهي الحماية التي بسطتها حكومة جلالة الملك في ١٨ ديسمبر ١٩١٤م، هذا وإن الرئيس -باعترافه هذا- يحفظ بالضرورة لنفسه حق البحث فيما بعد في تفاصيل هذا الاعتراف مع مسألة تعديل حقوق الولايات المتحدة التعديل الذي يقتضيه القرار.

وقد كُلفتُ بهذا الصدد أن أقول إن رئيس الجمهورية والشعب الأمريكي يعطفان كل العطف على أماني الشعب المصري المشروعة للحصول على قسط آخر من الحكم الذاتي، ولكنهما ينظران بعين الأسف إلى كل سعي لتحقيق هذه الأماني بالالتجاء إلى العنف.

وتفضلوا يا صاحب الفخامة بقبول تأكيدات فائق احترامي.

الإمضاء

همسون جاري

● وقد صدر بلاغ ذكر فيه أن الحكومة عولت على إعادة نجيب بك فهمي إلى عمله بالسكة الحديد.

يوم الخميس ٢٤ أبريل:

● أصبح الناس في هذا اليوم شتى الأفكار متوزعي الأهواء، والموظفون يسيرون إلى دواوينهم على رقبة[(٧١)] وخوف شديد، يتلقاهم الرَّعاع في كل مكان يسلقونهم بألسنة حداد ويهتفون بسقوطهم قائلين: ليسقط الموظف الخائن، ليحيا الكنَّاس وليحيا الكنَّاس الحر. ويقف بعض النسوة ومعهن رغيف الخبز وقد وضعتْ إحداهن عليه أحد سواريها وتقول للداخل إلى الديوان: يا أفندي، إن كنت محتاجًا إلى المال فخذ هذا واقعد في بيتك شهرًا. فلقي الموظف في ذلك بلاءً شديدًا.

● وقد أخبرني اليوم الشيخ أحمد الشيخ عن عبد العزيز صدقي أفندي مأمور قسم السيدة أنه قبض على سبعة من المعارف، منهم علي بك عمر والأستاذ محمود النقراشي[(٧٢)] والأستاذ حسين فتوح والأستاذ أحمد فريد والأستاذ فؤاد شيرين وغيرهم وقد اعتقلوا في قصر النيل.

● وقد جاءت الأخبار مبدئيًّا بأن قنصلية إيطاليا تعد بلاغًا كالذي أرسلته قنصلية أمريكا السياسية يتضمن الاعتراف بحماية إنجلترا على مصر هذه القنصلية الإيطالية التي كانت

---

(٧١) الرقبة: التحفظ. (المجلة).

(٧٢) محمود فهمي النقراشي باشا (١٣٠٥ – ١٣٦٨هـ/ ١٨٨٨ – ١٩٤٨م) تخرج في جامعة نوتنجهام الإنجليزية واشتغل بالتدريس وعمل مديرا للتعليم بأسيوط وانضم إلى الوفد المصري، وشارك في ثورة ١٩١٩م في تشكيلاتها السرية والعلنية وتولى رئاسة مجلس الوزراء ١٩٤٥م ممثلا للهيئة السعدية التي انشقت عن الوفد.

تشجع المصريين أثناء الحركة الأخيرة وتُظهِر العطف على آمالهم القومية ! !

● وفي الأزهر حركة شديدة ضد الموظفين الذين يعودون إلى أعمالهم.

● وقد نشرت الجرائد اليوم بلاغًا يتضمن أن ستّ قرى في الصعيد فُتشت، ومعنى ذلك أنه فُعلت بها الأفاعيل. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

يوم الجمعة ٢٥ أبريل:

● السفر إلى الوجه القبلي ممتنع إلا برخصة، وإلى الوجه البحري لا يكون في البواخر إلا برخصة كذلك.

● ومن أغرب ما وصل إليّ اليوم أن الجرائد الإنجليزية وصلت إلى مصر مفعمة بالأخبار المصرية والبلاغات الإنجليزية عن الحوادث على مثال ما نشر هنا. غير أن الأخبار عن حوادث الفظائع قُلبت رأسًا على عقب، فالإنجليز هنا ينشرون على ملأ بلادهم أنهم في مصر لم يقترفوا أية جناية ولم يدنسوا أيديهم بأية فظيعة، بل البوليس المصري هو الذي يرتكب الجنايات ويقترف العظائم ويفعل بأهالي القرى الأفاعيل، وليس للجنود الإنجليزية عمل إلا تخفيف حدة الجند المصري وكفه عن ارتكاب الآثام.

وإذا كان هذا مبلغ صدقهم عن حوادثنا، فكيف بأخبارهم أيام الحرب الطويلة؟ إنها بالقياس إلى ما رأينا ليست إلا قلبًا للحقائق.

● وقـد علمتُ في هذا اليوم أن التسـعة المقبوض عليهم من الموظفين سـافروا من القاهرة، وبعض الناس يظن أنهم توجهوا إلـى مالطة، والبعض الآخر يظن أنهم بالقنطرة، وكان سـفرهم أمس. وقد قبضت السـلطة على القمص سـرجيوس -من قسس الأقبـاط- وكذلك قبضت على أربعـة معممين لا أدري إن كانوا من العلماء أو من الطلبة، وقد سافر جميعهم من القاهرة، والظن الغالـب أنهم مع المعتقلين مـن الموظفين، ولكن لم يتحقق إلا القبض على القمص سيرجيوس.

● وفـي هـذه الليلـة علمـتُ أن هنـاك حركـة شـديدة يقوم بهـا العلمـاء والأقبـاط فقـط. فقد ذهب وفـد من العلمـاء إلى البطريركية. وسـيقوم وفد من الأعيان وطبقات الأمة إليها غدًا، ويؤلف وفـدان. والظاهر أن وفد العلماء الذي سـيؤلف والوفد الآخر إنما مقصدهما الإفراج عن القمص والمشايخ.

يوم الأحد ٢٧ أبريل:

● لقد علمتُ أن الإنجليز في بعض المصالح يبدون اضطهادًا للمصريين وقسوة في المعاملة وعندي أن ذلك من تهاون بعض المصريين بأمر كرامة أنفسهم.

● وقـد وردتْ الأخبار بـأن أهل الهند في حالة تشـبه ما كان عند المصريين من النزوع إلى الاستقلال، وقد فعلوا مثل ما فعل المصريون من قطـع المواصلات الحديدية ونحوها. والإنجليز في تهدئة الأحوال يسـيرون على البرنامج الذي ساروا عليه في مصر بالضبط.

● وقد أشـيعت إشاعة -لا أحسبها صادقة- وهي أن الإنجليز عندهم أسـماء ألف مجرم سياسـي مكتوبة في سـفواي أوتيل، وهـم على نية القبض على هؤلاء السياسـيين. فـإذا صح أن في القاهرة ألف مجرم سياسـي فإنها تعد مـن أرقى بلاد الله تعالى. إذ المجـرم السياسـي لا يكون إلا زعيمًا أو ملحقًـا بالزعيم من العاملين المؤثرين في السياسة. والبلد لا يحتمل مثل هذا العدد من الزعماء ومن على شاكلتهم.

● وقـد علمنـا أن المحاميـن الأهلييـن قـرروا العـودة إلـى أعمالهم. وكذلك المحامون الشرعيون.

● وفي هذا المسـاء قبضت السـلطة على طالب اسمه حامد العبد، من أسـرة العبد بشـبرا النملة. وقد علم الطالب بالقبض عليـه قبـل حصوله، فلـم يوجـد بمنزله أيـة ورقة مـن الأوراق المتعلقة بالإضراب والمظاهرات والمنشـورات. وهو عضو في اللجنة العليا المركزية للطلبة، وهي مقسمة أقسامًا كل قسم له عمل خاص.

وشـاع أيضًا أنهم سيقبضون على محمد كامل حسين أفندي المحامي، وهو الذي يشـتغل بجمع المـال للعمال المضربين. وهـو شـاب يتوقد حماسـه إلى حـد الجنون، وخطيـب مفوه، ومحام متضلع.

يوم الاثنين ٢٨ أبريل:

● توجد ثلاث مديريات مغلقة، وهي المديريات التي جنوب أسيوط، فلا يذهب إليها ذاهب ولا يجيء منها أحد.

● وفي هذا اليوم قُبض على محمد كامل حسين أفندي. ولا تزال الدوريات الإنجليزية تعمل عملها في البلاد طورًا بالشدة القاسية والأعمال الغاشمة، وطورًا بلا شدة.

ومن أمثلة تهدئتهم الحال بطريقتهم الباردة أن الدورية تقدم على البلدة فلا يقابلهم عمدة ولا شيخ ولا شيخ الخفراء، فيقوم أحد السوريين وهو متزيٍّ بزيّ ضابط إنجليزي ويسأل عن العمدة والمشايخ وشيخ الخفراء، فيقال له: إنهم بمصر، فيسأل من يكلمه أن يجمع له أعيان البلد، فيذهب إلى المزارع ويأتيه بجماعة من الأكرة[٧٣]، فيجلسهم السوري ويقوم فيهم خطيبًا متغنيًا بأنعُم الإنجليز وأياديهم على مصر والمصريين وما لهم من الفضل في توفير ماء الري وعمل الخزانات ونحو ذلك من الكلام، وأنه يأمل أن تكون هذه البلدة من البلاد كالنجم في السماء مضيئة زاهية، وألّا يأتي أهلها عملًا يخل بالسكك الحديدية أو غيرها، وأن يكونوا طائعين ممتثلين. فلا يرد عليه أحد بكلمة، فيقوم رجل قد اعتمَّ بشملة من الصوف على لبدة[٧٤] وعليه زعبوط من الصوف وفي يده عصا طويلة ضخمة قد استصحبته الدورية ليصادق على أقوال خطيبها، ويقول: إنكم أحسنتم أحوالنا وأقمتم فينا العدل وأكثرتم النقود في أيدينا فكثَّر الله خيركم، وإن شاء الله لا ترون إلا الطاعة للأوامر. ونحو ذلك من الكلام.

---

(٧٣) الأكرة: جمع الأكار: وهو الحراث والمقصود هنا: الفلاحون. (المجلة).

(٧٤) غطاء من أغطية الرأس يشبه الطاقية يتخذ من الصوف المتلبد. (المجلة).

● وقد نشــر بعض الموظفين نشرة يحث بها إخوانه على أن يتعففــوا عن أخذ رواتبهم كاملــة حتى يأخذها جميع الموظفين المضربين وافية.

● أما طلبةُ المدارس العليا والخصوصية فقد قرروا الاستمرار على الإضراب مع صدور المنشــور من وزارة المعارف بدعوتهم إلى الحضور إلى مدارســهم يوم السـبت المقبــل ٢ مايو.. وقد انقســموا فرقًا في أســباب الإضراب مع اتفاقهم عليه. فبعضهم يطلب إخــراج دانلوب من المعــارف، وجعل اللغــة الإنجليزية إضافيــة، وأن لا يُقبــل إنجليزي فــي تعليم أية مادة ســوى اللغة الإنجليزية.. وآخرون يطلبون الإضراب ليكونوا رمزًا حيًّا على الاســتياء من الحال الحاضر، وليكون فــي وجودهم في الخارج حياة للحركة الوطنية التي يســعى الإنجليز في إماتتها.. ولكن الســبب الحقيقي الذي لا يجهر بــه الطلبة هو أن لجنة التحقيق الإنجليزيــة «لجنة ملنر» على وشــك الوصول بعــد أيام قليلة.. فالطلبة يخشون أن تشغلهم الدراسة عن أعمال هذه اللجنة التي إنما جاءت لتفتن المصريين عن اســتقلالهم، وتدخل معهم في قبول الشــكايات وسماع المطالب في دائرة الحماية، والتحقق من سبب تذمرهم حتى فعلوا ما فعلوا، وتزيل ولو بالقول سبب اســتيائهم ليرضوا بالحكم الإنجليزي، وذلــك إبطال لمأمورية الوفد وقضاء على الأماني القومية ووأدٌ للاســتقلال المنشــود. فالطلبــةُ يريــدون أن يكونوا حُرَّاسًــا علــى الحركــة، ويكونوا

البوليس الذي لا ينام ولا يفتر عن مقابلة من تريد اللجنة مقابلتهم، وتحذيرهم الوقوع في الحبائل.

● ولقد قدمتْ الحركةُ الوطنية لحسين رشدي باشا -رئيس الوزراء المستقيل- بيانًا جاء فيه العديد من الأسئلة الاستنكارية.. من مثل:

- لماذا أوقفت الجمعية التشريعية من سنة ١٩١٤م للآن مع أن جميع برلمانات العالم مستمرة في أعمالها أثناء الحرب، حتى الدول المحاربة فإنها زادت اجتماعاتها تبعًا لمقتضيات الأحوال؟

- ولماذا سمحتم لرجال الإدارة التابعين لوزارتكم بإرسال المصريين إلى ميادين القتال بمقتضى أوامر منكم قضت على كل مصري بالتجنيد الجبري بفرقة العمال تحت اسم تطوع؟ ولماذا سمحتم بأخذ الدواب والحاصلات للسلطة العسكرية بأثمان بخسة حتى اشتدت الأزمة بسبب ذلك؟ وكيف قررت الحكومة برئاستكم دفع نحو أربعة ملايين جنيه للسلطة العسكرية الإنجليزية تبرعًا منها مع أنها أموال الأمة التي لا يجوز التصرف فيها إلا برأي جمعيتها التشريعية؟ ومع أن القائد العام الإنجليزي أعلن في بدء الحرب أن مصر لا تتكلف في الحرب أموالًا ولا رجالًا؟

- وهل كان قبولكم بسط الحماية الإنجليزية بمحض إرادتكم أو بإكراه استعمل معكم؟ وهل عارضتم في تغيير المركز السياسي للبلاد؟ وما نوع معارضتكم؟

● ولــم يــرد عن الوفد إلى اليوم «١٦ – ٥» شــيء ينبئ بعمل عمله. ومن العجب أن شركتي روتر وهافاس لم تذكرا شيئًا عن الوفد المصري.

● وقد علمتُ اليوم أن عمال عنابر الســكة الحديدية أضربوا مــن جديد لســببين: أحدهما: أن ســتين من العمــال لم تقبلهم المصلحــة. ثانيهما: أن الإنجليز أمروا طائفة منهم بعمل قنابل يدوية فأبوا فاضطهدوهم.

● وقــد وردت الأخبارُ بــأن اللجنة المزمع حضورها إلى مصر (لجنة ملنر) تصل في يوم ١٨ مايو سنة ١٩١٩م.

● وفي هذا اليوم كان اقتراع تلاميذ المدارس العالية والثانوية بشأن الاستمرار على الإضراب أو العود فكانت النتيجة الإضراب بأغلبية مطلقة في كل مدرسة وهي أغلبية ساحقة في الثانوية.

● وهذه صوة منشور نشر اليوم للتحذير من اللجنة الآتية من لوندرا:

احذروا لجنة التحقيق

«إذا رجعنا إلى تاريخ الاســتعمار الإنجليزي في جميع البلاد التي نكبت بحكم البريطانيين وجدنا أن الخطة المتبعة لإخماد الشــعور القومــي وقتــل الحركة الوطنيــة تقضــي بالالتجاء إلى وسائل الشدة والإرهاب وإذا لم تنجح هذه السياسة كانت خطة الليــن المصحوب بالعمل علــى تخدير الأعصاب هي الســلاح الذي يحسن الإنجليز استعماله للفتك بالشعوب والقضاء على أمانيهــا الوطنية.. لقد رأيناهم يبدءون حملتهم بســفك الدماء

وتعذيب الأبرياء فلما علموا أن كل هذه الفظائع لم تفتّ في عضدنا أرادوا تخدير أعصابنا بإرسال لجنة للتحقيق تسمع شكوانا.

ليس بيننا وبين الإنجليز إلا أمر واحد وهو أنهم غاصبون لاستقلالنا فما عليهم إلا أن يردوا هذا الحق المغصوب ومتى أصبحنا مستقلين استقلالًا تامًّا زالت كل أسباب شكاوينا، أما أننا نناقشهم في شئوننا الداخلية أو نرضى بما دون الاستقلال التام فذلك ما لا يجوز أن يدور بمخيلتهم لحظة واحدة، وهذه اللجنة آتية للنظر في شئون البلاد الداخلية واقتراح ما يعنّ لها من الإصلاحات الدستورية وعلى ذلك فمناقشتها تؤدي إلى النتائج الآتية:

أولًا: يكون في ذلك اعتراف بأن لإنجلترا حق التدخل في شئوننا وأنها تملك إعطاءنا ما تشاء ومنعنا مما تشاء.

ثانيًا: يكون في ذلك اعتراف بأننا لا نريد الاستقلال وإنما نبغي الحصول على بعض إصلاحات داخلية.

ثالثًا: يكون في ذلك اعتراف بأن الوفد المصري الذي سافر لمطالبة المؤتمر بالاستقلال التام لا يمثلنا ما دمنا قد ولينا وجهنا شطر هذه اللجنة وتناسينا المؤتمر ووظيفته.

وبهذه الطريقة تحصل إنجلترا على أمضى سلاح لمحاربة الوفد وعرقلة أعماله والقضاء على آمالنا الوطنية قضاء مبرمًا.

فليحذر المصريون هذا الشرك المنصوب لهم وليتجنبوا اللجنة الماكرة وليكن جواب كل واحد منا: «أن المسألة

المصرية ليست مسألة داخلية وإنما هي مسألة خارجية دولية لا تختص بنظرها لجنة تأتي من إنجلترا بل المؤتمر هو المكلف بالفصل فيها بعد سماع الوفد المصري الذي أنابته الأمة للمطالبة باستقلالها التام طبقًا لمبادئ الحق والعدل.. وعلى ذلك فالمناقشة مع اللجنة الإنجليزية مرفوضة ومضيعة على البلاد حقوقها».

يوم الجمعة ٢ مايو:

● قد وزع على الناس منشور اليوم هذه صورته:

المظاهرة السلمية الكبرى

يعلن علماء الأزهر وطلبة المدارس بأنها ستقوم مظاهرة سلمية كبرى مؤلفة من جميع طبقات الأمة احتجاجًا على اعتقال السلطة العسكرية رجال الدين من العلماء والقسس وتبتدئ غدًا -السبت ٣ مايو- الساعة ٨ صباحًا من الأزهر مارةً بالغورية والمغربلين والحلمية الجديدة وشارع الشيخ ريحان وقصر الدوبارة حيث السفارتان الأمريكية والإنجليزية فميدان قصر النيل فالسفارة الإيطالية فقصر النيل فشارع المدابغ حيث السفارة الفرنسية فشارع بولاق فشارع كامل فقنطرة الدكة فالنيوبار فالعتبة فالموسكي فالأزهر.

ملحوظة: يجب أن يكون مع كل طبقة علمها الخاص. اهـ.

يوم السبت ٣ مايو:

● وقد علمتُ أن المظاهرة التي نشر الأزهر وطلبة المدارس عنها قامت اليوم طبق برنامجها ولكن الإنجليز عارضوها

ومنعوها بعد أن أطلقوا الرصاص في الهواء للإرهاب فكان المتظاهرون يتفرقون ثم يجتمعون في مكان آخر وهكذا.

● وفي هذا المساء وفد على الأزهر عدد كبير من الجالية الإيطالية يقال: إن فيهم «فيس» قنصل جنرال إيطاليا وقد خطب بعضهم بالفرنسية مباركًا النهضة المصرية نحو الحرية والاستقلال وحيًّا المصريين وهتفوا لمصر فردَّ عليهم الشيخ زكي مبارك من طلبة الأزهر والجامعة المصرية بخطبة باللغة الفرنسية حيًّا فيها إيطاليا.

● وفي هذه الليلة قام الطلبة الأزهريون وغيرهم بمظاهرة ليلية وصاروا يهتفون في الشوارع احتجاجًا على اعتقال رجال الدين من المسلمين والأقباط وظلوا على ذلك الحال إلى ما بعد منتصف الليل.

يوم الاثنين ٥ مايو:

● لم تزل المواصلات إلى خارج القاهرة معطلة، وقد زادت السلطة الإنجليزية أنها لا تسمح لمسافر في السفن أن يسافر إلا إذا كان معه جواز مصدق عليه وقد زاد التضييق من هذا القبيل عن الحد.

● وفي هذا اليوم صدر إعلان من الجنرال اللنبي بشأن عودة طلبة المدارس إلى مدارسهم هذه صورته:

إعلان بموجب الأحكام العرفية

١ - إن لم يعد عدد كاف من التلاميذ إلى مدارسهم يوم الأربعاء ٧ مايو سنة ١٩١٩م يسوغ استمرار فتح المدارس

العالية والثانوية والخصوصية الأميرية فستقفل هذه المدارس لغاية التاريخ المعتاد لابتداء الدراسة في السنة الدراسية المقبلة.

٢- ولا يقبل أي تلميذ مقيد الآن في سجلات المدارس المذكورة في أي امتحان يعقد هذا العام إلا إذا قام بما يأتي:

(أ) أن يعود إلى مدرسته في يوم ٧ مايو سنة ١٩١٩م أو قبله.

(ب) أن يواظب بانتظام لغاية انتهاء السنة الدراسية إذا استمرت هذه المدارس مفتوحة، ويستثنى من ذلك التلاميذ الذين يمكنهم أن يثبتوا عدم استطاعتهم تنفيذ هذا الإعلان.

٣- وستطبق أحكام الفقرة الثانية من هذا الإعلان على التلاميذ المقيدين الآن في سجلات المدارس الحرة الخاضعة لتفتيش الحكومة.

تحريرًا في ٤ مايو سنة ١٩١٩م

ليحيا جلالة الملك

الإمضاء

ا.هـ.هـ. اللنبي

● وفي هذه الأيام يعمد الإنجليز إلى تفتيش المنازل في القاهرة.

● وفي هذه الأيام نسمع همسًا أن الإنجليز يريدون تشكيل وزارة وأنهم عرضوا ذلك على كثير من الناس وكلهم يرفض؛ ولهذا قام فريق من الناس يحذر من تشكيل وزارة.

يوم الثلاثاء ٦ مايو:

● اجتمع الأزهريون اليوم وخطبوا الخطب الكثيرة واستقر رأي الجمع الهائل المحتشد في ذلك المكان على إرسال تلغراف إلى كليمنسوا احتجاجًا على تلك الفظائع باعتبار البلد الذي هو فيه مقرًا لمؤتمر السلام.

يوم الأربعاء ٧ مايو:

● هذا اليوم موعد ذهاب الطلبة إلى مدارسهم طبق منشور الجنرال اللنبي، وقد انبثَّ فريق من الطلبة بعضهم في زي شيخ والآخر في زي إفرنجي بقبعة وآخر في زي سيدة مصرية وهكذا يؤمّون أبواب المدارس ليثبطوا الطلبة الذين يريدون الدخول إليها، وقد علمتُ أن عدد من ذهبوا إلى المدارس قليل بحيث لا يسمح باستمرار الدراسة.

● وقد أُخبرتُ في هذا المساء أن محمد محمود خليل بك المحامي جاء إلى لجنة الوفد وأخبرهم بأنه قدم عليه صديق له فرنسي كان في باريس وأخبره بأن الوفد لما ذهب إلى باريس مكث يومين لا تذكر الجرائد عنه شيئًا ولا تنوّه باسمه، ولكن الجرائد قامت بعد ذلك معلنة بصوت واحد أن الوفد المصري يجب أن تُسمَع أقواله عن مصر في المؤتمر وحدثت لذلك رجة عظيمة في فرنسا وأنه بعد ذلك أرسل المؤتمر إلى سعد باشا نفسه لمقابلة المؤتمر وحدد له يوم لذلك فقسم الوفد إلى ثلاثة أقسام قسم للأمور الاقتصادية يرأسه إسماعيل صدقي باشا

وقسم للأمور الإدارية يرأسه محمد محمود باشا وقسم للأمور السياسية يرأسه سعد باشا.

● وفي هذا اليوم علمتُ خبرًا عن الطلبة الذين كانوا بالمنيا وذلك أنه لما صدر منشور الوزارة بعودة الطلبة رغب فريق الطلبة في المنيا في العودة إلى مصر فطلبوا من الجنرال التصريح لهم بالسفر فأعطاهم جواز السفر ولما وجدوا بمحطة المنيا طلبوا إلى معاون المحطة أن يأتيهم بعربة تلحق بالقطار ليكونوا فيها وحدهم حتى لا يختلطوا بالجنود الإنجليزية خشية أن يحصل بين الفريقين ما يسوء ففعل ولما أرادوا النزول في تلك العربة منعهم الضابط الإنجليزي وأخذهم إلى عربة من عربات الحجر ونحوه وهي مكشوفة فأبوا أن ينزلوا فيها فتهددهم بالإساءة إليهم وأمر الجنود أن يُلقُوا بمتاعهم في تلك العربة وبإلقائهم فيها أيضًا بالقوة إن توقفوا وأفاض عليهم سجالًا من إيذائه وكان فيما قاله لهم: أنتم ذباب دنيء وحشرات محتقرة وسأعلمكم كيف تحبون الإنجليز وكيف تحترمونهم ولا يغركم أنكم متعلمون فإني سأوذيكم وإذا بدت من أحد منكم حركة فإني سآمر بإلقائه تحت عجلات القطار إلى غير ذلك مما سمحت له به آدابه فانقادوا خشية أن ينفذ فيهم وعيده.

● وفي مساء هذا اليوم أخبرني الشيخ أحمد الشيخ بأن بعضهم شرع في تدبير أموال ليعطي منها لأسر الموظفين المعتقلين الذين يحتاجون إلى المعونة وأنهم شرعوا في إعطائهم بالفعل وهذه همة مشكورة.

● ولا يزال الشبان يوالون المظاهرات الليلية وفي هذا المساء قاموا بمظاهرة استمرت إلى منتصف الليل وقد طاردهم الجنود الإنجليز بالعصي فقتل واحد وجرح نحو تسعة من المتظاهرين وقبض على ٥١ .

يوم الخميس ٨ مايو:

● في هذا اليوم كان سفر صاحب السعادة عبد الخالق مدكور باشا -من كبار تجار مصر ورئيس الغرفة التجارية بها وأحد أعضاء الوفد المصري- وقد لخصتْ جريدة (مصر) حفلة توديعه على المحطة بقولها :

قصد محطة العاصمة في الساعة الثامنة من صباح هذا اليوم جمٌّ غفير من أكابر العاصمة وكبار التجار وطلاب المدارس العليا على اختلافها والأطباء والمحامين والقضاة ووكلاء النيابات وحضرات السادة العلماء والآباء الكهنة موفدين من قبل غبطة البطريرك وبأيديهم باقات من الزهور وهم : حضرات القمص بولس غبريال والقمص شنودة عبد الملك والقمص منقريوس والشماس حبيب جرجس الواعظ والشماس فرج جرجس الواعظ ولما قدموا المحطة هتف لهم الجميع بصوت واحد : «ليحيا الاتحاد» ودوَّى المكان بالتصفيق ومن ثم قدموا الباقات إلى سعادة عبد الخالق باشا ثم ألقيت الخطب الشائعة من حضرات الأفاضل محمد بك الخضري والقسّ بولس غبريال وأمين أفندي عز العرب المحامي ومحمود أفندي عبد السلام صاحب ومحرر جريدة «الإصلاح» وحبيب أفندي جرجس ناظر

المدرسة الإكليركية وحسين مدكور أفندي وفي الختام شكر سعادة عبد الخالق باشا المودعين بخطبة وجيزة نفيسة ثم قام القطار فارتفعت أصوات الجميع بالهتاف ودوّى المكان بالتصفيق وأخرج الحاضرون المناديل البيضاء يشيرون بها إلى الباشا وظلوا كذلك إلى أن توارى القطارُ عن الأعين ثم انصرفوا وكلهم يدعون له بالسلامة وأن يسدد الله خطوات الوفد المصري بالتوفيق والنجاح. ا.هـ.

كان هذا الوداع وهذه الخطب الطنانة التي كان يتخللها الهتاف للحرية والاستقلال ولمصر وللاتحاد ولعبد الخالق باشا وللوفد عمومًا ولسعد باشا ونجيب غالي ونجيب فهمي خصوصًا مع التصفيق الحادّ يجري على مرأى ومسمع من الإنجليز والجاليات الأوروبية من طليان وفرنسيين وغيرهم وهم مسافرون إلى بلادهم وبمرأى من أهل الأرياف المسافرين فكان ذلك كله مظاهرة من أبدع المظاهرات وأسماها قيمةً لا تتاح الفرصة بمثلها في هذه الظروف ولا بد أن تنتقل أخبارها إلى الأقطار.

يوم الجمعة ٩ مايو:

● لم تزل المظاهرات الليلية مستمرةً والعساكر الإنجليزية تطارد المتظاهرين بكل قوتها ومع القبض على من قبض عليه وجرح من جرح فالمتظاهرون لا ينفكون عن المظاهرات.

● وقد انتشر طلبة المدارس العليا والقضاء الشرعي ودار العلوم يدعون الناس في المساجد ويخطبونهم بعد صلاة

الجمعة ويحثونهم على اطّراح اليأس والاستمساك بالرجاء وأن لا تهولهم شروط الصلح المنشورة الداعية إلى اليأس.

● وقد سمعت أن السلطة الإنجليزية أرادت بعضهم على أن يعدوا الوفود من الضباط المتقاعدين ليفاوضوا لجنة التحقيق في الشئون الحاضرة ويخاطبوها في دائرة الحماية ليكون ذلك مبطلًا لمَهمَّة الوفد.

● وفي هذه الليلة أحدث الشبان مظاهرة كبيرة فتعقبهم الإنجليز وقتلوا نحو ستة في ميدان لاظوغلي واستيقظ النوّام عند شارع نصرت على صوت واحد يستغيث ويسترحم العساكر الإنجليزية في أن يتركوه وهم يضربونه بالعصي الغليظة حتى انقطع صوته وقد أطلقوا قبل ذلك عيارات في الهواء فانزعج السكان وأطلَّ رجل من طنف[٧٥] بيته ومعه زوجه لينظروا ما هذا الحادث فصوب الإنجليز إليهما البنادق فأصابوهما في سوقهما وانصرفوا، وفي ناحية أخرى عند شارع أبو إصبع قتلوا واحدًا، وهكذا كانت ليلة مشئومة، وقد علمت أن الجرحى ليلة أمس كان عددهم يزيد على الستين ولكن الذين دخلوا المستشفى تسعة فقط.

يوم السبت ١٠ مايو:

● وقد كثر كلام الجرائد على الوفد وأحاديث سعد باشا ووصفه لمهمته وللحركة وتمخضها للسياسة.. إلخ.

(٧٥) الطُّنُفُ: السقيفة تبنى فوق باب الدار. (المجلة).

يوم الأحد ١١ مايو:

● وأتيح اليوم السفر إلى الوجه البحري بلا رخصة والسكك الحديدية، ولا تزال تظهر فظائع الإنجليز في الوجه القبلي كأسيوط ودير مواس والفيوم.

● وفيه أيضًا أُخبرتُ بأن الوفد لما نزل في باريس لفت من بها إلى المسألة المصرية فلا يدخل إنسان مطعمًا إلا قدم له بيان الأطعمة «اللست» ومعه برنامج المسألة المصرية ولا يشتري حلوى أو أي شيء من المشتريات من محل إلا أخذ المشتري معه برنامج المسألة المصرية ولا يبتدي سينما وجراف عرض الصور إلا ويظهر على اللوحة المسألة المصرية وهكذا لفتوا نظر الناس لفتًا عظيمًا.

وأخبرني أحد أصدقائي عن حاضرٍ من باريس بأنه لا يوجد وفدٌ من وفود الأمم الأخرى أوجد لنفسه كرامة وجلال مكانة كالوفد المصري.

يوم الاثنين ١٢ مايو:

● وقد أُخبرتُ الليلة أن محمود أبو الفتح أفندي مُكاتب جريدة (وادي النيل) المرافق للوفد أرسل إلى جريدته ثمانية مقالات لم يصل منها سوى خمسة، ولم يسمح للجريدة المذكورة أن تنشر منها سوى بعض فقرات لا تُحلِي ولا تُمِرُّ[٧٦]، وإلى الآن لم يُنشر حديثه- الدكتور ولسون.

---

(٧٦) أي: لم تأتِ بحُلوٍ ولا مرٍّ.

يوم الثلاثاء ١٣ مايو:

● الجرائـد الإنجليزيـة تتخبط في الكلام عـن مصر، وكلها يتضرم غيظًا من اتفاق المسلمين والأقباط واتحادهم، وبعضها يحمّل سعد باشا تبعة ما هو حاصل في الهند؛ لأن أهلها اتبعوا الطريقة المصرية تمامًا.

● وقد صدر منشـور مـن القائد العام به يحظـر الاجتماعات في الشوارع والمقاهي والدكاكين والمحال العمومية إذا كانت اجتماعـات غيـر منظمة أو كانت تؤدي إلـى مظاهرات أو تلقى فيهـا خطـب، وعبـارة المنشـور مبهمة قابلـة للتأويل واسـعة الحدود.

● وقد قبضتْ السـلطة على الشيخ محمود أبو العيون.. من علماء الأزهر الشـريف فهاج الطلبة في المساء وقاموا بمظاهرة ليلية بعد أن كفوا عن ذلك عدة ليال، وكانوا يقاومون بالعصي.

الأربعاء ١٤ مايو:

● فـي هذا اليوم قـام الأزهريـون بمظاهرة عظيمـة، وذهبوا إلى دور السـفارات عدا سـفارة إيطاليا؛ لأن السـلطة كانت قد حشـدت الجند والسـيارات المسـلحة ففرَّقتهـم.. وكان ذلك منهم احتجاجًا على القبض على الشيخ أبو العيون.

يوم الجمعة ١٦ مايو:

● نصـب مأمور كفر الزيات سـرادقًا عظيمًا ودعا العُمَد إلى جمعية عمومية، وأخبر العُمد بأنه يريد أن يجعلهم يُمضُون على طلب الحماية فراغوا منه.. ولما علم القائد أن العُمَد لم يحضر

منهم إلا خمسة فقط غضب من المأمور.. وبعد ذلك سافر إلى السَّنْطة، وجُمع له العُمد والأعيان وأرادهم على أن يكتبوا أن الجنود الإنجليزية أعادت الأمن إلى نصابه وأنهم يطلبون سحبهم وهم كفلاء بالأمن، فأبى العُمَد إجابته.. وحدث أن هذا القائد أوعز إلى مأمور مركز المحلة أن يجمع العُمَد ليخطب فيهم، فأقام سرادقًا فخمًا وزينه بثريات البلور العظيمة وعمل زينة حافلة جدًّا، وحشر العُمد والأعيان، ولما حلَّ ميعاد حضور الجنرال قام لمقابلته على المحطة، فلما حضر القطارُ المسلح المقلّ له ولجنده وأركان حربه علم المأمور أن العُمد والأعيان «انفضوا ولم يبق منهم أحد في السرادق، فسُقط في يده.. ولقد انبرى نعمان بك الأعسر عمدة المحلة الكبرى فقال للقائد الجنرال: إن عندي شهادات من الجاليات الفرنسية والطليانية واليونانية والإنجليزية بأن مظاهراتنا كانت سلمية ومنظمة ولم يحصل فيها اعتداء.. وأما الحماية، فإننا قوم لسنا من أرباب السياسة، ولا نتكلم في السياسة، فالسياسة لها ناس منَّا يعرفونها، وقد وَكَّلنا عنا في المطالبة بحقوق بلادنا وفدًا على رأسه صاحب المعالي سعد زغلول باشا، وهو الآن في باريس فماذا تريد اللجنة منا؟ نحن لا نكلمها ولا نعرفها، فأولى لها أن توفر على نفسها مشقة السفر وتذهب إلى سعد باشا، أو أن تنتظر إلى أن يحضر وتكلمه فإنه ومن معه وكلاؤنا.. وأما جمع الأموال، فإننا جمعنا وسنجمع لأجل الوفد الذي أرسلناه ليدافع عن مصالحنا، فلا يصحّ أن ندعهم يصرفون ثروتهم الخاصة

وهــم يدافعــون عنا ، فلا بــد أن نجمع لهم ، ولا يمكــن أن أحدًا يمنعنــا . ولا تؤاخذني يا جنــاب الجنرال إذا كنــتُ قد كلمتك بالحرية .

فقــال الجنــرال : أنا لا أغضب من الحريــة لأنها حق طبيعي ، وأنا نيوزيلاندي أحب الحرية وأقدسها .

فقــال عمدة المحلة : يا حضــرات العمد ، إن جناب الجنرال يحــب الحرية ، فقولــوا معي : فلتحيــا الحريــة ، فردَّدها من في القاعــة ، ثــم من في فنــاء المديرية . ثم قال : فليحيا الاســتقلال التام ، فلتحيا مصر المستقلة . وهكذا هو يقول والعُمد يرددون عليه أولًا ثم من في القاعة ثانيًا ثم من في فناء المديرية ثالثًا .

فلمــا رأى الجنــرال ذلك انســلَّ مــن القاعة وخــرج ، فخرج العُمَــد والناس من حولهم في موكب هائــل ، وخرج قراقول[٧٧] حرس باب المديرية لاستقبالهم بالسلام تحت السلاح «قراقول ســلاح» ، وذهب موكــب هذه المظاهرة إلــى الجامع الأحمدي ، وانضــم إليهم ناس كثيرون ، فبعــد أن خرجوا من المديرية نحو ثلاثــة آلاف كانوا في الجامع نحــو ثمانية آلاف ، وابتدأ الخطباء يخطبون والناس يهتفون إلى نحو العصر .

أمــا الجنــرال فذهب في القطار المســلح في ذلــك اليوم إلى طلخــا ، فقابله المأمور على المحطة ، فســأله : أعندك ســرادق ؟ فقــال : بلى ، فقــال : أعندك عُمــد ؟ فقال : لا يوجــد ولا واحد ، فذهــب بقطاره إلى شــربين ، ولقيــه المأمور بالمحطة ، فســأله

(٧٧) كلمة تركية تعني: مركز الشرطة. (المجلة).

أعنــدك ســرادق ؟ قال : بلى فقــال : أعندك عُمــد ؟ فقال : يوجد عمــدة واحد فقــط ، فأبى الجنرال أن ينــزل . وهكذا عملهم في كل ناحية لا يلاقي إلا الإعراض والنفور من الحماية .

يوم الأحد ١٨ مايو:

● أكثــرُ الجرائــد الإنجليزيــة يتكلم ضد الحركــة المصرية والقائمين بها ، وقليل منها يتكلم في مصلحة المصريين ويميل إلى تحقيق أمانيهم .

وأما رجال سياستهم فإنهم عنوان العسف والتضليل وإظهار الأشياء مصبوغة باللون الذي يحبونه .

يوم الاثنين ١٩ مايو:

● لم تــزل المواصلات إلــى الصعيد صعبــة ، والأحوال فيها على الإجمال على غير ما يرام ، وعســف الإنجليز هناك شديد ، ويقول القادمون من نواحي سوهاج : إن أعمال الإنجليز فظيعة ، وقد حصل بينهم وبين الجند المصري شــيء من النفور ، وذلك أن ضابطــًا إنجليزيــًّا أمر أقــدم ضابط في القــوة المصرية «وهو ضابــط زنجي ســوداني» بضــرب الأهالي في حالة لا تســتدعي ذلك ، فبعد أن تهيأ الجنود للعمل أبى الضابط الســوداني ذلك ، فقبــض الضابــط الإنجليــزي عليــه ووضعه تحــت المحاكمة ، فغضب له الضبــاط المصريون وطلبوا إطــلاق ضابطهم فخاف الضابط الإنجليزي العاقبة وأطلقه .

يوم الثلاثاء ٢٠ مايو:

● لا تزال الخُطَب في المساجد بشأن الحالة الحاضرة .

● وفي مساء هذا اليوم راجت إشاعة وهي أن الإِنجليز يريدون تأليف وزارة على رأسها محمد سعيد باشا أو عدلي باشا، ويكون الطلب الذي تطلبه ويجيبه الإِنجليز إلغاء الأحكام العرفية.

يوم الأربعاء ٢١ مايو:

● في الساعة الأولى بعد نصف الليل رأينا أنا وعبد المؤمن أفندي كامل الحكيم سيارة فيها ضابط إنجليزي وبعض ناس يلبسون أزياء أهل الأرياف وشاويشًا من الشرطة المصرية. فقال: لا بد أن يكون هؤلاء ذاهبين لاعتقال بعض الناس، فأنا علمتُ أنهم قبضوا على طالب وفي جيبه مذكرات يومية عن أيام المظاهرات، وهي تتضمن اجتماعه بالطلبة واتفاقهم على شكل المظاهرات ومعاكسة العساكر الإِنجليزية إلخ، وهذا أوجب أن يشرعوا في اعتقال كثير ممن لهم مشاركة بمقتضى تلك المذكرة التي تضمنت شيئًا كثيرًا.

● وقد علمتُ أن الطلبة حاولوا مقابلة سعيد باشا فلم يقدروا، وذلك قبل أن يعلموا بتمام أمر وزارته.

يوم الخميس ٢٢ مايو:

● ظهرت الجرائد في هذا اليوم متضمنة تعيين الوزارة الذي تم بالأمس.

● ولقد ذهبتُ إلى صاحب الدولة رئيس الوزراء -محمد سعيد باشا- ودخلتُ عليه مع جندي بك صاحب جريدة (الوطن) وعبد السلام الجيار بك -من أعيان البحيرة- فقال عبد السلام بك الجيار: يا دولة الرئيس، نحن نحتاج إلى كف الجنود عن

البـلاد لأنهم يفرضون الضرائب الباهظة على أحد البلاد فتكون ثلاثة آلاف جنيه، في حين أن مال البلد لا يزيد عن ألف، فيَعجِز أهلها عن الدفع في الميعاد، فيحضر الجنود ويخرجون الأهالي من بيوتهم ويفتشـون الدور ويأخذون الأمـوال ويقتلون الطيور والحيوانات، فلا بد من دفع هذا بسرعة.

● وفـي هذه الليلة قام الطلبة ومـن يلتحق بهم بمظاهرة أمام بيـت الرئيس وهتفوا ضـده، فقبض الجند علـى بعضهم، وقد بلغني أن العسكر جلدوهم في السجن جلدًا قانونيًّا بدون حكم عليهم بذلك.

● وبلغني من عمال التلغراف أن الإسكندريين قاموا بمظاهرة عظيمة ضد وزارة سعيد باشا.

● وقـد بقيتْ الخطبُ فـي الأزهر من بعد صلاة العشـاء إلى السـاعة الرابعة صباحًـا من اليـوم التالي، وكلها ضـد الوزارة، وأصدرتْ اللجنة المسـتعجلة منشورًا كله ضد الرئيس وأعضاء الوزارة.

● وفي السـيدة زينب شـرع الخطباء يشـرحون بيان الوزارة المذكـورة بجريـدة (مصر) ويبينون أنه خديعـة يراد بها إيقاع الأمة في شرك الحماية.

● وعلمـتُ الليلـة أن موظفـي الحقانيـة اجتمعـوا في هذا اليـوم، وبعد مـداولات طويلة كتبوا طلبًا إلـى الوزارة يطلبون منها أن تبين خطتها بيانًا صريحًا واضحًا لتعرف الأمة مركزها بإزائها.

يوم الجمعة ٢٣ مايو:

● الخطباء في المساجد لا يزالون ينتقدون الوزارة، والمظاهرات القصيرة المدة تقوم بالليل جهة منزل سعيد باشا بقصر الدبارة، والأزهر كالنار المشتعلة. وقد حاول الشيخ شاكر أن يخفف حدة الأزهريين فأوعز إلى بعض الخطباء أن يطلب من الناس التريث في أمر الوزارة وانتظار ما تأتي به من الأعمال فزيفوا الخطيب.

● وقد علمتُ أنهم أرادوا أن يحتالوا في إغلاق الأزهر، الذي تنادي (ألتميس) بالويل والثبور منه، فاعتزموا عمل إصلاح بالأزهر ذريعةً إلى إغلاقه بسبب العمارة، فلم يكن من الأزهريين إلا أن طردوا العمال وأبوا أن يدَعوهم يعملون.

● وقد منعت الحكومة الاحتفال برؤية هلال رمضان خشية المظاهرة، وحتمت أن لا يدخل دار المحكمة الشرعية سوى من لهم دخل في إثبات الرؤية.

يوم السبت ٢٤ مايو:

● يسافر طلبة الأزهر والعلماء إلى جهات الصعيد بالإجازة، وتعدّ لهم السكة الحديدية القطارات بناءً على طلب المشيخة.

يوم الأحد ٢٥ مايو:

● علمتُ اليوم أن جمعًا من طلبة المدارس العالية ذهب إلى وزارة الداخلية طالبين مقابلة رئيس مجلس الوزراء، فطلب كشفًا بأسمائهم، فلما جاء إليه علَّم على ثلاثة أسماء اختار أن يقابله أصحابها، فقال الطلبة: ليس له أن يختار علينا، ولكنا

نختــار من ينوبون عنا في مقابلته، وحصلتْ مراجعةٌ بين الطلبة والرســول، انتهى الأمــر بإبائهــم مقابلته إلا على مــا يريدون، وانصرفوا على ذلك بلا مقابلة.

● وقــد انبثَّــتْ الجنــود الإنجليزيــة علــى أبــواب الدواوين والمصالح والمدارس حراسًا عليها.

● ونشــرت الجرائــد أخبــارًا مقتضبــة يفهم منهــا أن الطلبة المصرييــن في بــلاد الإنجليز لما وصلت إليهــم أخبار الفظائع الإنجليزيــة في مصر كتبوا بذلك منشــورًا لإيقــاف الرأي العام الإنجليزي على الحقيقة، فهــاج الإنجليزُ وامتعضوا، ووجهت الأســئلة إلــى ممثلي الــوزارات، فاهتمت الحكومــة الإنجليزية وهاجموا بيوت الطلبة وصادروا الأوراق.

● وخلا الشــيخ شــاكر بعز العرب بك وأخبره أنه أفضى إلى سعيد باشــا بمناقشــة دارت بين بعض العقلاء في شأن الوزارة، وسأله هل مستعد للتصريح بأن الوفد يمثل الأمة؟ فقال: أَعفِني مــن هذا فإن المركز حرج وفي هذه الليلة اســتأجر الطلبة بعض الشــبان والصبيــان مــن باعة الجرائد ينــادون كذبًا بــأن الوزارة ســقطتْ، ويســرعون في الطــرق التي بهــا بيوت الــوزراء كأن بأيديهــم الجرائد التي بها نبأ ســقوطها، فراج ذلك الخبر حتى شــك الوزراء في أنفسهم هل سقطوا أو لا: وأخذوا هم وغيرهم يسألون الرئيس بالتليفون عن صحة هذا الخبر.

● وقد نشــرت جريدة (الأفكار) نبذة عــن الجمعية الوطنية المصريــة في إنجلترا، وأنهــا ابتدأت في ســنة ١٩٠٦م، وأنها

أذاعت بواسطة المنشورات فظائع الإنجليز في مصر، فعمدت الحكومة الإنجليزية إلى مهاجمة مركز الجمعية وأخذت المنشورات، وشرع ولاة الأمور يفحصونها.

يوم الاثنين ٢٦ مايو:

● لا تزال الجنودُ الإنجليزية تتولى حراسة أبواب الدواوين والمصالح.

● وتحصل مظاهرات خفيفة ومتقطعة قصيرة الأجل ليلًا.

● ولا حديث للناس إلا وجوب استقالة الوزارة، وقد اجتمع محامو المحاكم الأهلية وقرروا وجوب الإضراب عن العمل أسبوعًا إعْلانًا لاستيائهم، وعللوا ذلك بأن بعض أعضاء الوزارة قد أغضبوا الأمة في سالف أيامهم، وبعضهم لم يشارك الأمة في عواطفها.

● وفي مساء اليوم اجتمعتْ جموع الناس على عادتها في كل ليلة بالأزهر، وخطب الخطباء، وقد أحسَّ الأزهريون وجود أحد الجواسيس فتهيئوا للبطش به، فأسرع أحد الجواسيس وأعطى السلطة خبرًا بذلك، فجاءت قوة العساكر الإنجليزية وأغلقوا أبواب الأزهر وأطلقوا الرصاص في الهواء حيث كانت الساعة الحادية عشرة، ثم فتحوا بابًا واحدًا خرج منه الناسُ إلى الساعة الأولى بعد نصف الليل، وكانوا يرقبون الخارجين، فمن لم يكن أزهريًا قبضوا عليه وزجوه في السجن، فقبضوا على نحو ثلاثة وعشرين فيهم بعض موظفي الحكومة، وقد أبى اثنان

الذهاب مـع الإنجليز إلى المحافظة فأطلقـوا عليهما الرصاص فقتل أحدهما وجرح الآخر.

يوم الثلاثاء ٢٧ مايو:

● علمـتُ فـي هـذا اليـوم أن الاتفاق تـمَّ بين رئيـس الوزارة وبيـن الجنـرال اللنبي على أن تسـحب الجنـود الإنجليزية من بلاد الأرياف ومن أقسـام القاهرة وأن يناط الأمن العام بالشرطة المصريـة ووزارة الداخلية ولكن جاء إلـى الرئيس أول أمس من الجنرال من يقول له: إن طلبة المدرسة التوفيقية وهم نحو مئتين قد خرجوا سـاخطين على وزارتك منادين بسـقوطها وبذلك لا يمكـن أن تأخذ على عاتقك مَهمَّة الأمن العام والواجب أن يظل ذلك منوطًا بالجنود الإنجليزية.

● وعلمتُ أيضًا أنَّ علي شـعراوي باشا أرسل خطابين وصلا فـي بريد واحد أحدهما يتضمن أن الأمل عظيم في لقاء الدكتور ولسن وعرض مسألة مصر عليه والثاني يتضمن أن الأمل في لقاء ولسن قد انقطع لرفضه مقابلة الوفد المصري، وهذه الخطابات قـد اطلع عليها الرقيب واطلع عليها رئيس الوزراء قبل أن تصل إلى أصحابها.

وجاءت الجرائد الفرنسـية وهي مشحونة بأخبار الوفد وجِدّ أعضائـه وتقريظ مطالبهم والنداء بأحقيتها وكذا بعض الجرائد الإنجليزية الحرة.. ولكن مهما نادت الجرائد واحتجت أحزاب العمـال فإن هذا لا يفيد قضيتنا لأنا مـا رأينا أحدًا من العمال أو جرائدهم نادى بمصلحة شـعب مظلوم أو أمة مهضومة الحقوق

وأصغى إليها أحد من الحكام ذوي الكلمة النافذة والقوة الفعالة بأذنه أو أجاب نداءهم فهي كلمات تقال لدفع اللوم عن الأمة لئلا يقال: إنها مجمعة على الظلم والحيف.

ومهما تكنْ عند امرئ من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تُعلَم

وقد علمتُ أن اجتماعًا كبيرًا جدًّا عُقد اليوم بالأزهر حوى كثيرًا من مختلف الطبقات وقد أُلقيت الخطبُ في شأن الوزارة وخطتها وتقرر أن يكتب إلى الوزارة طلبات تماثل التي كتبت للوزارة الرشدية لتصرح بها، وفي نهاية الاجتماع أعلن الأزهريون أنهم سيقومون غدًا بمظاهرة أمام وزارة الداخلية الساعة ١١ قبل الظهر.

وفي مساء اليوم علمتُ أن التلغرافات تأتي بإعداد عربات لأسرى من الأتراك لا يُدرَى من أين يأتون ولا تعرف الأسباب الداعية إلى أسرهم والحرب واقفة.

يوم الأربعاء ٢٨ مايو:

● في هذا اليوم قام الأزهريون والطلبة بمظاهرتهم ففرقهم الجنود الإنجليز بالسيارات عند شارع محمد علي فتفرقوا واجتمعوا بالحلمية ففُرّقوا فاجتمعوا عند شارع المالية ففرقهم مأمور قسم السيدة زينب بلطف ولم يقبض إلا على طالب من المدرسة التوفيقية ثم اجتمعوا في ناحية أخرى وهكذا لم يهدأ لهم بال.

● وأخبرني إبراهيم سعيد باشا أن رئيس الوزراء كان عنده مدير الصحة والأستاذ الشيخ محمد بخيت أمس وغرضه أن يظهر مدير الصحة أن مصر موبوءة بمرض التيفوس وبناء على ذلك يأمر بإغلاق الأزهر وسفر الطلبة ويمنع الاجتماع بهذا المكان ولكن لم تعلم نتيجة هذا الاجتماع.

● وفي الليلة الماضية ذهب وفد من السيدات إلى منزل سعيد باشا رئيس الوزارة لمقابلته فأبى عليهن.

● وفي هذا اليوم ذهبتْ إحدى عشرة سيدة إلى وزارة الداخلية لمقابلة الرئيس فأبى أن يقابلهن وطلب أن يُنِبْنَ عنهن واحدةً تكتب إليه بما يردن فأبين ذلك.

● وأخبرني نعمان بك الأعسر أنه عقب توليه الوزارة السعيدية جمع مأمورو المراكز العمد وخطبوا فيهم بالتزام الهدوء وبأن الوزارة السعيدية الجديدة ستعمل لهم كل ما يشتهون وأن الواجب عليهم أن يراقبوا طلبة الأزهر وتلاميذ المدارس الذين يعودون إلى بلادهم وأن يبلغوا المركز عند قدومهم ويبلغوه كذلك عن تنقلاتهم وسائر حركاتهم وأطوارهم.

يوم الخميس ٢٩ مايو:

● في هذا اليوم توفي رجل من تجار بورسعيد وهو النشوقاتي متأثرًا من جراحة أصابته من الجنود الإنجليزية أثناء تفتيشها الناس بالنيوبار والرجل أميّ لا يقرأ ولا يكتب ولكنه حين رأى هجوم العساكر الإنجليزية للتفتيش وظن أنهم يريدون القبض على الطلبة الذين بالقهوة فأراد الخروج فأمره الجنود بالرجوع

فلم يَفهَم فضربه جندي بالسونكي في فخذه فسال دمه غزيرًا فنقل إلى المستشفى وتوفي اليوم من جراحته.

● وفي الجرائد كلام عن الهند وثورتها وأن سببها تأثر المسلمين بما أصاب تركيا من الجور والحيف وأن العالم الإسلامي قلق على ما سيصيبه وأن الواجب على إنجلترا أن تثبت للمسلمين حسن نيتها نحوهم.

● ولم تزل المظاهرات الليلية جارية مجراها وكذلك النهارية.

يوم الجمعة ٣٠ مايو:

● في هذا اليوم ظهرت الجرائد وفيها أن رئيس الوزارة سعى عند الإنجليز حتى أفرجوا عن عدد من المعتقلين في رفح وأن دولة الرئيس أحضرهم عنده أمس ونصحهم وخرجوا من بين يديه أحرارًا يذهبون حيث يشاءون.

● ولم تزلْ المظاهراتُ آخذة في الشدة فإنه في مساء هذا اليوم أقيمت عدة مظاهرات وقد اجتمع فريق عند منزل سعيد باشا وهتفوا ضده فلم يشعروا إلا بالسيارات المسلحة قادمة وقد أطلقت الرصاص في الهواء ثم قبض على بعضهم وكذا في المظاهرات التي قامت في مواضع أخرى فقد بلغ مجموع من قبض عليهم ٦٣ ولم يقتل أحد.

● والاتجاه الغالب في البرلمان الإنجليزي تبرئة الجنود الإنجليز من ارتكاب الفظائع بمصر وعدم إجراء تحقيق بشأن الجنود؛ لأنه لا ينبغي للمصريين أن يسمعوا بأننا تناقشنا في

هذا الشـأن وأن الجيش الإنجليزي تجرح كرامته إذا أُلِّفت لجنة للتحقيـق في أعماله، وخلاصة هذه الأقـوال أن المصريين ليس من حقهم أن يتألموا إذا جلدوا؛ لأن الجلد كان معروفًا في مصر قبل دخول الإنجليز.

● وقد أذيع منشـور فيه صـورة زنكغرافيـة لخطاب يتضمن الدسـائس بيـن المسـلمين والأقباط حتى لا تجتمـع كلمتهم، وقد نسـب هذا الخطـاب إلى أحد كبار الموظفيـنِ فإذا صح أن هـذا الخطاب لـه فقد دل على أنه أنذل وأخـس وألأم رجلٍ وجد بين المسـلمين والمسـيحيين وأنه جدير بأن ينبذ من الفريقين ويلعن في محاريب المعابد عند كل من الطائفتين.

يوم السبت ٣١ مايو:

● لقـد صدر أمـر وزيـر الداخلية بإلغـاء القيـود التي كانت موضوعة على السـفر بالسـكك الحديدية إلى الجهات القبلية وأن يقبل في قطارات السـكك الحديدية نقل البضائع كما كان ذلـك مـن قبل وأن لا يحتاج الركاب إلى أخذ جواز بالسـفر وأن إباحة ذلك لا تشـمل المحطات المحرومة من وقوف القطارات عندها.

● ولـم تزل المظاهرات تقوم والجنود لا تفرقها وقد نما إليَّ أنه قامت مظاهرة اليوم في تفريقها سبعة من الطلبة.

يوم الأحد أول يونيه:

● قد علمـتُ أنه قبض على وكيل مديرية المنيا وعلى مأمور مركز سـمالوط وعلى وكيل نيابة المنيا -ويقال له: العشري-

وسبب ذلك كله أنهم لم يؤدوا شهادات تؤيد التهم على المتهمين أمام المجلس العسكري بالمنيا وهم الدكتور محمد عبد الرازق والشيخ أحمد حتاتة المحامي الشرعي وغيرهما وأن وكيل المديرية شهد لمصلحة المتهمين فكان جزاؤه أن يقبض عليه.

● ولم تزل المظاهراتُ تقوم وتفرَّق وقد حصل اجتماع هائل بالأزهر.

● وفي هذا اليوم ذكرتْ «الأهرام» أنه أطلق سراح جماعة من المعتقلين بسعي وزير الداخلية.

● وقد علمتُ اليوم أن المسيو فيسبيه -صاحب «الجورنال دوكير»- حضر من باريس وكان قد سافر إليها قبل الوفد بشهور والرجل ممن يعملون لخدمة قضية مصر ولكنه لما جاء إلى مصر في هذين اليومين أُخذت عليه المواثيق الغليظة والأيمان المؤكدة أن لا يتفوه بشيء عن الوفد وأن لا يخبر عن شيء بالحقيقة وأنه يرجو الناس أن لا يفاتحوه في شيء.

يوم الثلاثاء ٣ يونيه:

● تجدد القول بأن محمد شريعي باشا جادٌّ في إيجاد نادٍ يسمى نادي الأعيان يجمع فيه من يطيعه من أعيان القطر ليكونوا أعضاء فيه، والغرض من ذلك أن يكون أعضاء النادي لهم صفة خاصة لدى اللجنة التي ستحضر إلى مصر لفحص أسباب تذمر المصريين وسماع أقوال أعيان البلاد فهؤلاء الأعيان يخاطبونها ويطلبون الاستقلال في دائرة الحماية.

● وقد ذكـرتْ الجرائد أن كثيرًا من موظفي الحقانية «الذين كانـت لهم يـد عليا في لجنـة موظفـي الحكومة أيـام إضراب الموظفين» سـيُنقَلون إلـى وظائف أخرى وليـس للإنجليز همٌّ سـوى تبديـد هؤلاء النـاس الذين كانوا سـببًا في خـزي اللورد كيرزن وحرج مركزه.

يوم الجمعة ٦ يونيه:

● يحث الخطباءُ الناسَ على مقاطعة التجار الإنجليز في مصر وقد سموا بعض المحال التجارية التي تجب مقاطعتها، وهؤلاء الخطباء هم الذين يخطبون عقب خطباء المساجد.

وقد نشـرت كراسـة في أيدي الناس عنوانها: «خير الأيمان بالوطنيـة محاربة التجـارة الإنجليزية» احتوت أسـماء المحال التجارية الإنجليزية للملابس والأقمشة والمأكولات والمكاتب ومُتَّجرات الورق والمقاولات والمهندسـين بأسمائهم والأطباء والمحامين والخبراء والجرائـد والصيدليات ومحال النظارات والفنوغرافـات والمـدارس وبيـع الحديـد والعمـارات ومحال الكاوتشـوك والآلات الزراعيـة والأسـمدة وكل مـا يوجـد من هذا كله في مصر والإسـكندرية وطنطا والمنصورة وبورسـعيد والسويس والإسماعيلية وغيرهن.

يوم الأحد ٨ يونيه:

نشر في إحدى الصحف خبر عن الوفد هذا نصه:

علمنـا أن أربعة من أعضـاء الوفد المصري المقيم في باريس الآن قـرروا العودة إلى مصر وهم إسـماعيل صدقي باشـا وعلي شعراوي باشا وجورج خياط بك وسينوت حنَّا بك.

والشـائع على الألسنة أن هناك حملة مدبرة لإِشاعة إشاعات السوء حول الوفد لزعزعة ثقة الأمة به وتحويل الأنظار عنه حتى تأتي لجنة التحقيق.

وللإِنجليز غطرسة لا ينفكون عنها فهم في المناطق المحتلة في ألمانيـا يكلفون الألمـان إبداء تعظيمهـم واحترامهم برفع القبعات كما يعملون في السـودان وفي بعض المدن والقرى في مصر في هذه الأيام.

وفـي جريـدة «الأفـكار» أن جريـدة «الإِجيبشـيان ميـل» الإِنجليزية ذكرت في عددها الصادر صباح «الأحد» ما يأتي:

«علمنا أن فخامة القوميسير العالي الخاص عيَّنَ لجنة صغيرة لجمـع المعلومـات التي تقدم إلـى لجنة اللـورد ملنر وفحصها وقـد اقترح أن يكون اللورد اللنبي رئيسًـا لها والمسـتر إيموس والماجور كورتني عضوين بها».

وهـذا ينبئ بأن اللجنة سـتفحص ما يريد هـؤلاء أن تفحصه ولا يمكن أن تسمع كلمة صحيحة من الوطنيين وبناء على هذه المعلومـات التي سـيقدمها إليها الإِنجليز يكـون حكمها على المصرييـن وتكون مؤيدة لذلك النائـب الذي وقف في مجلس البرلمـان الإِنجليزي وقـال بملء ماضغيه: «إن الزنوج أحسـن فعالاً من المصريين».

يوم الاثنين ٩ يونيه:

● مـن أغـرب الغرائب أن قومًا يريـدون أن يدعوا الله لصلاح أحوالهم وتحقيق آمالهم وإنجاح طلباتهم يحتاجون إلى تصديق الحكومـة على صيغة ذلك الدعاء ! وما شـأن الحكومة في دعاء يناجي به العبدُ ربَّه ؟

لينظـر القارئ إلى مـا جاء في جريدة «الأفـكار» التي وزعت هذا المساء ونصه:

«جـاء من الإِسـكندرية أن حضـرة محمد أفندي البشبيشـي المحامـي اقترح إقامة صلاة جامعة في المسـاجد والكنائس في منتصف السـاعة العاشـرة من مسـاء يـوم الأربعـاء ١٣ رمضان المبـارك فـإذا مـا انقضتْ الصـلاةُ يأخـذ المصلون فـي الدعاء لأمتهم بالخير والعز».

واقتـرح آخر دعـاءً خاصًّا يرتله المسـلمون في مسـاجدهم والأقبـاط في معابدهم وأخـذ بعض الفضلاء الذيـن اتفق رأيهم على ضرورة تنفيذ هذين الاقتراحين الجليلين في وضع الدعاء.

وتـدل الأخبـار الأخيـرة الـواردة إلينـا مـن الإِسـكندرية أن أصحـاب الفضيلة علمـاء المعهد السـكندري قابلـوا صاحب السـعادة حسـين عبد الرازق باشا محافظ الإِسـكندرية الجديد وقدموا إليه نص الدعاء الذي وضعوه فوعدهم بالتصريح وإقامة الصـلاة وتلاوة الدعـاء بعد أن يطلـع عليه ويعرضـه على أُولِي الشأن والحر ينجز ما وعد».

أقول: هذه بدعة جديدة ونوع من السيطرة جديد لم يسبق له نظير في الإِسلام وضرب من احتكار العبادة لم تألفه هذه البلاد وإن العبارة لتضيق المنطيق[٧٨] عن إيفاء هذه الحادثة حقها.

وليت شعري! لو أن هؤلاء المسلمين عصوا محافظهم وأطاعوا خالقهم ورازقهم الذي شق لهم السمع والأبصار، وجعل لهم الأفئدة، وأسبغ عليهم نِعَمَه ظاهرة وباطنة، ودَعَوه في غسق الليل دعوات تخترق كبد الظلماء فأجاب سؤالهم؛ هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، فرحم تلك القلوب الواجفة والعيون الذارفة، وأصغى إلى ضراعتهم وكشف ما بهم من ضر، وأزال ما نالهم من حيف وعسف، وأحلَّ نقمته بمضطهدين وأدالهم من ظالمين، فهل يمكن الحكومة في ذلك الحين أَن توقع بهم العقاب على دعاء رفعوه إلى الله بغير إذنها؟!

يوم الثلاثاء ١٠ يونيه:

● حصل في هذا المساء أن سيارة مرت بأقصى سرعتها على باب الرئيس محمد سعيد باشا وكان من فيها ينادون ضده، ولما حاذت بيته أطلق من فيها الرصاص في الهواء فقام خلفها بعض السيارات ولم يدركوها.

الأربعاء ١١ يونيه:

● من العجيب ما قرأتُه اليوم في «الأهرام» وهو أن الرئيس ولسن يقول: «إن معاهدتنا لا تناقض أي مبدأ من مبادئي ولو كانت فيها مناقضة لها لما ترددتُ في الاعتراف بذلك، ولكنت

(٧٨) المنطيق: البليغ. (المجلة).

أبذل الجهد لاستدراك خطئي، ولكن المعاهدة التي وضعناها تتفق مع مبادئي الأربعة عشر اتفاقًا تامًّا».

هذا الكلام لا يمكن أن يقوله أحد، اللهم إلا إذا كانت اللغة الإنجليزية التي ينطق بها جناب الرئيس ليس لألفاظها حدود ونهايات، وليس بين الكلمات فوارق ومميزات، وأن الحق والعدل ينطبق كل منهما على الظلم والجور انطباقًا كليًّا، والحرية تقال بالاشتراك على الحرية والاستبداد، وأن الاستقلال يقال عليه وعلى الاستعباد، وأن الغنيمة والغرامة كل منهما مرادف للآخر، وأن العمران والخراب لفظاهما لحقيقة واحدة.

الجمعة ١٣ يونيه:

● ذكرت إحدى الصحف أخبارًا عن «ما يجري في تركيا»، مغزاها أن يسمع المصريون وأهل الهند أن دولة الترك تريد دولة تدير أمورها وتسير دفتها، وأنها صارت عاجزة عن أن تكون ذات استقلال سياسي، فينبغي للمصريين أن يكفوا عن الطموح إلى الاستقلال الذي لم يعد في قدرة تركيا، وعلى أهل الهند أن لا يطلبوا لتلك الدولة من الاستقلال السياسي ما تهرب هي منه الآن؛ لعلمها بضعفها وعجزها، هذا هو المغزى الذي أرادت الرقابة أن يعرفه الناس فأوعزت بنشره.

● وهنا أبسط -لمن يطلع على مذكراتي هذه- شأنَ الخطابة في الأزهر فأقول:

إن الأشـخاص الذين يرجع إليهم أمر الخطابة الدائمة في كل ليلة بالأزهر أربعة:

١- الشيخ محمود أبو العيون.

٢- الشيخ مصطفى القاياتي.

٣- الشيخ محمد عبد اللطيف دراز.

٤- الشيخ عبد ربه مفتاح.

هـؤلاء يعاسـيب[٧٩] العمـل فـي الأزهـر، والذيـن يلازمون الخطابة باسـتمرار في أكثر الليالي وهم: محمد أفندي شكري كيرشاه، والشيخ علي سرور الزنكلوني، والشيخ زكي مبارك.

والذين يخطبون فيه حينًا بعد حين محمد بك أبو شادي، أمين أفندي عز العرب، راغب أفندي إسـكندر، القمص سـرجيوس، إبراهيم أفندي عبد الهادي[٨٠]، الشيخ محمد الجبلي.

ووراء هؤلاء جماعة يؤيدونهم ويمدونهم بالآراء.

فلما أدير الكلام فيمن يتولى رياسة الاجتماع الأزهري الهائل واسـتقر القرار على أن يكون الأستاذ الشـيخ محمد بخيت إذا رضـي - قـال الأسـتاذ حفني محمـود: أنا لكم بـه، وأنا أعرف

(٧٩) يعسـوب: ملكة النحل، وهي أنثـى وكان العرب يظنونها ذكـرا لضخامتها وهو يعسوب قومه: أي رئيسهم وكبيرهم. (المجلة).

(٨٠) إبراهيـم عبـد الهادي باشـا (١٣١٨ - ١٣٩٨هـ/ ١٩٠٠ - ١٩٧٨م) كان طالبا بالحقـوق أثناء ثورة ١٩١٩م - رأس لجنة الطلبـة الوطنية واشتهر بالخطابة - حكم عليـه بالسجن ١٢ عامًا سنة ١٩٢٠م في قضيـة التنظيم السري للثورة وأفرجت عنه وزارة سعـد زغلـول ١٩٢٤م - انشق مع النقراشي عن الوفـد ١٩٣٨م - رأس الديوان الملكي والوزارة عقب مقتل النقراشي ١٩٤٨م.

كيف يقبل الرياسة، وقام من فوره والشيخ محمد عبد اللطيف دراز ميمّمين حارة قاضي البهار حيث منزل المفتي، ولما قابلاه دار الحديث على الأمور الماثلة في البلاد وما آل إليه أمر الحوادث، فذكر للمفتي أن اجتماعًا عظيمًا سيكون في الأزهر يحضره أهل الحل والعقد في هذا البلد ويؤخذ رأيهم في الحال الحاضرة، ولم يتعين الرئيس لهذا الاجتماع إلى الآن، والظاهر أن الإنجليز يريدون أن يكمّموا فم الشيخ محمد شاكر عنهم، ويسكتوه عن مناوشتهم، فهم يريدون أن يولوه مشيخة الأزهر ليُسكِت الحركةَ فيه، وهو يريد أن يتولى هذ الاجتماع، ولكن كثيرًا من الناس يريدون أن يتولى رياسته مولانا الأستاذ الشيخ محمد بخيت، ونحن مَنْ رأيْنَا ذلك لِمَا لَكَ من المقام الجليل بين العلماء وأكثرهم أولادكم يسمعون لقولكم، وأطال في هذا الضرب من القول وألحَّ عليه في القبول فأجاب إلى ذلك.

يوم السبت ١٤ يونيه:

● كان المقرر أن يقيم الوفد المصري مأدبة لمندوبي الصحف الإيطالية في باريس يوم الاثنين الماضي، فأجلت إلى اليوم بسبب تسليم اتفاقية الصلح النمسوي، وأقيمت المأدبة اليوم برئاسة حضرة صاحب المعالي سعد زغلول باشا رئيس الوفد المصري، فحضرها مندوبو الصحف الإيطالية وألقى أحد أعضاء الوفد كلمة بالنيابة عنه «إسماعيل صدقي باشا» في أثناء المأدبة شكر فيها المدعوين، وأعقبه الأستاذ ويصا واصف،

فبسط المطالب المصرية ببيان، ثم تكلَّم السنيور فيتوريو فتوري بالنيابة عن المدعوين كلامًا قوبل بالتصفيق الحاد.

● وذكرت الأهرام خبرًا مفاده أن الحكومة السودانية - والإنجليزية رقت بعض الملكيين في السودان وكلاء مأموري مراكز، ومعنى ذلك أن الحكومة السودانية أخذت تستغني في بعض وظائفها عن المصريين أما الإنجليز فلا تمسّ مراكزهم، بل تخلق الوظائف كلما وجد إنجليزي، ولله في خلقه شئون.

وقد علمتُ اليوم أنه قد فتشت مطبعة في شارع البرموني قسم عابدين تطبع فيها جريدة «المصري الحر» «صحيفة سرية خاصة بالطلبة»، وشاع أنهم فتشوا مطبعتين أخريين كانت المنشورات التي توزعها الطلبة تطبع فيهما.

يوم الأحد ١٥ يونيه:

● نشر «الأهرام» اليوم البلاغ الآتي:

أرسل إلينا قلم المطبوعات ملخص القضايا المهمة التي نظرت أمام المحاكم العسكرية منذ منتصف شهر مايو سنة ١٩١٩م وهاك بيانها... «ومنها»:

- في بني سويف اتهم رجل سوري اسمه نصري حبيب بقتل أربعة أشخاص بإطلاق الرصاص من منزله يوم ٢٥ مارس، واتهم واسيلي ديمتري ويوناني آخر بأن كلًّا منهما قتل شخصًا وقد نقلت القضية إلى القاهرة بالنسبة إلى الحنق الشديد على المتهمين، وبعد التحقيق تبين أن التهمة غير ثابتة على الثالث،

أمـا حبيـب وديمتري فقـد أُرسـلا لمحاكمتهما أمـام محكمة القاهرة العسكرية، وقد أطلق سراحهما.

واتهمت فتاة أرمينية اسـمها ماري أرمنيان بأنها شرعت يوم ٩ إبريـل في ارتـكاب جريمة القتل بإطلاق مسـدس من بلكون منـزل بميـدان عابدين، ولمـا تولـى ولاة الأمور العسـكريون تحقيـق الأمـر ثبت أن الشـخص المصاب أصيـب برصاصة من رصـاص الجنود أُطلقتْ من مكان مرتفع في حين كانت الدلائل على أن الفتاة شوهدت وهي تطلق الرصاص مما يدعو إلى أعظم الشكوك والريب.

واتهم أرمني آخر اسـمه «أرتين أبكاريـان» بمثل هذه التهمة وقـد ظهر في هـذه القضية أيضًـا بعد تحقيق النيابـة والضابط العسكري القانوني أن التهمة غير صحيحة.

واتهـم الياهو -أحد رجال البوليس السـري- بأنـه قَتل ولدًا وشـرع في قتل رجل يـوم ١٤ مايو بأن أطلـق عليهما الرصاص من مسدسـه مـن حيّ اليهود مـن القاهرة وكان قـد حفر خندقًا فـي الشـارع وكان المتهـم يعمل كمرشـد لدورية مـن الجنود البريطانيين، وقد أطلق سراح المتهم بعد محاكمة طويلة؛ لأنه لم يثبت عليه أنه كان سبب وفاة المجني عليه ولأنه كان يدافع عن نفسه».

والـذي يُلاحَـظ هنا ثبوت التهمة علـى المصريين في كل ما يُتَّهمـون بـه، وأما الأرمن واليهود فإنهم برئوا من كل ما نسـب إليهم.

● النبأ الصحيح عن الوفد:

أرسل صاحب المعالي سعد زغلول رئيس الوفد المصري إلى صاحب السعادة سليمان باشا خطابًا ضمنه ما يلقاه الوفد من الصعوبات في مهمته، وما يلازم من العناء ومقاومة الشدائد تذليل الصعاب إلخ. وهذا نصه:

حضرة صاحب السعادة.

وصلنا مرسيليا، فعلمنا من بعض الثقات أن أبواب المسألة المصرية قد أحكم إقفالها، فعجلنا السفر إلى باريس وهناك زرتُ بعض رجال السياسة الذين ردَّ بعضهم زيارتي، ثم أخذتُ أباشر العمل العظيم الذي كانت شدة المراقبة تزيد صعوبته، والذي واجهته الشدائد من جهات شتى، ووصلني تلغرافكم المؤرخ يوم ٢٢ منه باعتراف رئيس الولايات المتحدة بالحماية فزاد هذا صعوبة المهمة. إن الأحوال تتقلب، ونحن نستعين قوة البشرية ونستصرخ الإنسانية من أجل قضيتنا، وإنه ليسرّك أن أقول إن الكثير يعطف علينا حتى في الممالك القصيّة، وإنه لولا شدة المراقبة لتغلبنا على كثير من الصعاب إلا أن شدة المراقبة الحالية تسوؤنا جدًّا؛ لأننا كنا نأمل أن ننتهز فرصة الحال الحاضرة لتحقيق أمنيتنا الكبرى، نَعَمْ هذه الحال ستزول عن قريب وينتهي زمن المراقبة، وبذلك تتناول الألسن قضيتنا وقد وضعنا مذكرات للمؤتمر.. وقد قمنا بمشروع هام الآن وهو كتابة تقارير عن القضية المصرية إلى برلمانات الدول، وأرسلناها فعلًا إلى نواب الممالك القاصية والدانية، وعطفُ

الكثير يهبّ علينا ويزداد من آنٍ لآخر، ولولا أن المراقبة تتحكم فيمـا يكتبه الغريب العاطف وما ننشـره نحـن لأخذت القضيةُ المصريـةُ دورًا مـن أهـم الأدوار التـي ننتظرها لها فـي القريب العاجل إن شاء الله وبعض رجالنا قد يضطر للقيام بمهام تتمشى مـع الروح التي نعمـل لأجلها، فنرجـو توفيقهم أيًّـا كان وأنَّى كان والتوفيـق بيد الله إلا أن قضيتنا لأشـبه الآن بالصحيفة التي يطالعها الإنسـان والكتاب، تسره صحيفة وتسوؤه أخرى وكل يـوم نطلع على صحيفة جديدة، ونرجـو أن تكون صحيفة الغد خيرًا من صحيفة الأمس، وإنا وإن كنا قد ذللنا بعض المصاعب فعسـى العناية التي ساعدتنا على تذليل هذ البعض أن لا تهملنا في تذليل الآخر، وإن كان أكثر مشـقة وخطورة وتقبَّلْ يا سعادة الباشا وإخواننا جميعًا عظيم الاحترام.

يوم الاثنين ١٦ يونيه:

● فـي هذا اليوم السـاعة الرابعـة والنصف بعـد الظهر ألقي القبض على صاحب العزة محمد أبو شادي بك المحامي الشهير والكاتـب النحرير والخطيب المصقـع[٨١] والبليغ المفوَّة لأنه كثير الخطابة بين الأزهريين وغيرهم، وقد كان يخطب في أثناء الحركة الوطنية، ثم هو الآن يخطب لاسـتنداء الأكف واستدرار أيـدي الأغنياء وذوي اليسـار للفقـراء وذوي الحاجة وكثيرا ما كتب في هذا الموضوع.

---

(٨١) المصقع: البليغ ذو الفصاحة والبيان. (المجلة).

● ويـدور على الألسـنة مـرارا وتكـرارا أن الإنجليز يدبرون لأهـل البلاد داهية شـنيعة ويريـدون أن يأتوا علـى كل ذي رأي أو قول نافذ أو كلمة مسـموعة وهم الآن يسـتعملون المديرين ورجال الإدارة في قضاء مآربهم . . وأنهم متى فرغوا من محاكمة العُمَـد والأهالي وأتوا على الرءوس الكبيـرة أعادوا الكرة على المديريـن ، وأنه لا يمنعهم من محاكمتهـم إلا احتياجهم إليهم الآن .

يوم الثلاثاء ١٧ يونيه:

● فـي هـذا اليوم وقـع في يدي منشـور مذيل بلفـظ : «طلبة المـدارس العليا» وعنوانه : «إلى رحمة الله أيتها الروح الطاهرة . شهيد الوفاء» .

وهـو يتضمن القـدح في ظلم الإنجليز وجورهم بسـبب قتل محمد كمال أفندي مأمور أسيوط ، وأن المصريين يحدُّون عليه ثلاثة أيام اعتبارا من يوم الثلاثاء ١٧ يونيه الحاضر .

● وفي هذا اليوم ظفرت بقطعة من تقرير أرسـله الوفد للجنة المركزية ، وهذا نصها :

«لقد صـادف الوفد صعوبات جمة ، ولكنـه يعمل بجد على تذليلهـا ويظهـر أن هذه الصعوبات ربما تكـون راجعة إلى عدم الاعتـراف رسـميا بصفة الوفد ، ولقد قدم الوفـد تقارير متعددة للمؤتمـر طالبا سـماع دفاعـه ، كما أرسـل احتجاجـا لأعضاء المؤتمـر والبرلمانـات على ما جاء في مشـروع معاهدة الصلح بخصـوص الحماية ، وصدر أمر للصحافة الفرنسـية بعدم نشـر

شــيء من أعمال الوفد ، ولكن الصحف الاشــتراكية تســاعدنا ، كمــا أننا نقوم بطبع نشــرات ومؤلفات عن المســألة المصرية ، وكانت نتيجة ذلك كســب الرأي العام في صفنا وانضمام كثير من الدوائر السياسية للدفاع عن قضيتنا ، والوفد لا يتكلم إلا عن الاستقلال التام ، وجميع مجهوداته موجهة نحو هذا الغرض ،وهو يعتمد في تحقيق ذلك على الله وعلى تضامن الشـعب المصري واتحاده ، وقــد آلم الوفد أنباء الفظائــع الإنجليزية بمصر ، وقد ضاعفــت بمجهوداته فيمــا يقوم به من الأعمال ، وهو ينشــرها علــى الملأ والأمــل عظيم فــي أن تكلل مجهــودات المصريين بالنجــاح ؛ لأننا نــرى صعوبات تذلل أمامنا شــيئا فشــيئا ؛ فقد بات الرأي العام الغربي مقتنعا بأن المصريين لا يســتطيعون أن يعيشوا بغير الاستقلال التام» .

يوم الثلاثاء ١٧ يونيه (٢):

● في هذا اليوم نشرت جريدة «مصر» كلاما عن الوفد تحت عنوان : «أخبار عــن الوفد المصري» قالت فيه ما يأتي : «ما برح حضرات أعضاء الوفد المصري كلهم مقيمين إلى الســاعة التي نسطر فيها هذه الكلمة في باريس عاصمة المدنية ، ولم يبرحها منهم أحد خلافا لما أذاعته بعض الصحف .

والحقيقــة الواضحة من خطابات حضرات الأعضاء أن الوفد وإن لم يتمكن بعد من الدخول في مؤتمر الصلح ولكنه رفع إليه تقريــرا ضافيا عن مطالــب المصريين وأمانيهــم لابد من النظر فيه ، وإن حضرات الأعضاء يوالون مقابلة عظماء الرجال وشرح

القضيــة المصرية لهــم، وكلهم يظهرون عطفهم الشــديد بعد علمهم بها.

وأدار الوفــد في باريس ندوة عامــة يختلف إليها كل يوم أهل العلــم والفضل وأقطــاب التاريــخ والأدب والسياســة، والعمل مقســم بيــن حضــرات الأعضــاء حيث يقابــل كل منهــم فريقا معينــا، وتنحصر المفاوضات السياســية مع الرئيس وحده قرن الله أعمالهم جميعا بالنجاح، وكتب لهم التوفيق والفلاح».

● وقد ذكرت صحيفة «مصر» كلاما أرسله مكاتب «التيمس The Times» بالقاهرة يفهم منه أن محاكم الســلطة العسكرية حكمــت بالإعــدام على أربعة يــوم ٢٨ مايو صــدق القائد العام عليهــا، ولكنــه اســتبدل بعقوبــة الإعــدام غيرها فــي حكمين آخرين، وبلغ مجموع الأحكام العســكرية الأخرى التي تتراوح بين ٣ ســنوات و ١٥ سنة بالأشغال الشــاقة ما يزيد على ١٠٠ حكم.

● وبالتفتيش في منزل حافظ عبد المجيد عثر على خطابات من جمعية يقال لها: «جمعية الانتقام» وفي هذه الخطابات بيان لتركيب المفرقعات وحشو الكرات بالديناميت وكيفية قذفها إلى غير ذلك.

يوم الخميس ١٩ يونيه:

● يقــول قــراء الجرائد الأوروبية: إن من أســباب الحنق على ولســن فى أمريــكا موافقته بريطانيــا على وضــع الحماية على مصر.

يوم الجمعة ٢٠ يونيه:

● لقد علمت أنه حكم فى مسألة منية ابن الخصيب على الجماعة التي كانت تتألف منهم «الجمعية الوطنية» بها، والتي نادت باستقلال المنيا «كما يقال» بأحكام مختلفة، فالدكتور محمود عبدالرازق حكم عليه بالأشغال الشاقة ثمان سنوات، وكل من الشيخ أحمد حتاتة ورياض أفندي الجمل ١٥ سنة أشغال شاقة، ورياض أفندى الجمل شاب قبطي متخرج من مدرسة الحقوق، وقد أبدى شهامة نادرة وصدق وطنية أمام المحكمة العسكرية؛ فإنه لما سئل عنه أنه كان ينادي باستقلال المنيا ـ قال: لم أفعل، ولكني كنت أهتف باستقلال مصر كلها استقلالا تاما، ولا أزال أنادي بذلك وأدعو إليه، ولما سئل عن كونه يكره الإنجليز، قال: نعم؛ لأنهم محتلون لبلادي ولو أنهم في بلادهم لكنت أحبهم، وأنت يا حضرة القاضي تكره كل من يحتل بلادك، فلا عيب عليَّ كما لا عيب عليك.

يوم الأحد ٢٢ يونيه:

● لا تزال الجرائد تنشر إحصاء المواليد والوفيات الأسبوعية، ويتبين من تتبع ذلك من عدة أسابيع أن الوفيات تربو على المواليد بقدر لا يحتمل بسبب الأمراض الوبائية المنتشرة في القاهرة، وأهمها التيفوس والجدري والحمى الراجعة، وإلى الآن لم تستيقظ مصلحة الصحة لواجبها الذي يحتم عليها مقاومة هذه الأوبئة بكل جهد.

● ولقد قبض على شــاب اســمه عبدالحميــد المنصوري من طلبة مدرسة الحقوق السلطانية، ومعه كرة قنبلة يدوية لم يعلم إلــى الآن هل كانت محشــوة أو لا؟ ومســدس برونـنج محشــو، وبتفتيش منزله وجد فيه مسدس برونـنج آخر، وهو يسكن بدرب الملاح بباب البحر، وقد ســلم التحقيق معــه لمحمد بدرالدين بك الذى خص في هذه الأيام بتحقيق أمثال هذه الحوادث.

يوم الاثنين ٢٣ يونيه:

● أحكام المحاكم العسكرية:

نشــرت «الأهــرام» تحــت عنــوان: «المحاكــم العســكرية والأحكام» ما يأتي:

بتاريخ يوم الاثنين ٢٣ يونيه ١٩١٩م

نشــر مــن قلــم المطبوعــات المصــري أمــس البيــان التالي المتضمن مجمل إجراءات المحاكم العســكرية، من ٣٠ مارس الماضي إلى ١٣ يونيه الحالي، وهو بالحرف الواحد.

شــمال الغربيــة: حكم على أحمد يوســف بالإعــدام؛ لأنه أطلــق النار علــى الجنــود البريطانية فــي كفر الشــيخ يوم أول إبريــل، وحكم على الرجل نفســه بالإعدام أيضــا أمام محكمة أخــرى لأنــه ارتكب جريمــة النهب وإطــلاق النار علــى خفراء شــركة البحيرة في كوم الوحال يوم ٢٣ مارس وقد أبدل الحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة.

القاهرة: حكم على أحمد مصطفى حنفي بالأشــغال الشاقة خمس ســنين لأنــه حصل على نقــود عن طريق الإرهــاب «اليد

السوداء» وذلك بين ١١ و ٢٠ إبريل، وقد أبدل قائد مصر العام الحكم بالأشغال الشاقة ثلاث سنوات.

وحكم بالأشغال الشاقة خمس سنين على محمد رفعت الميزاني؛ لأنه ألقى خطبا مهيجة يوم ١٢ إبريل ثم أبدل جناب قائد مصر العام الحكم بالأشغال سنة واحدة.

وحكم على حسين بخيت بالأشغال الشاقة ثلاث سنين لارتكابه جريمة السلب والنهب في القناطر في ١٦ مارس، وحكم على عثمان منصور بالأشغال الشاقة خمس سنين؛ لأنه نزع عجلات الترام في هليوبوليس يوم ١٦ مارس، وقد أبدل قائد القطر المصري العام بالحكم بالحبس سنتين.

الإسكندرية: لم يصل إلينا إلا خبر حادثة واحدة ذات شأن من هذه المدينة، وذلك أنه حكم بالأشغال الشاقة ١٥ سنة على مرسال ريحان؛ لأنه هاجم ضابطا بريطانيا وطعن جنديا في كرموز يوم ١٠ إبريل ١٩١٩م وحكم على شريكه فى الجريمة حسن مقراني، ولم يكن استعمل إلا عصا، بالأشغال الشاقة سبع سنين، أبدلها قائد الإسكندرية العام بالأشغال الشاقة أربع سنين.

الشرقية: حدثت حوادث كثيرة من النهب واستعمال الأسلحة وثبتت جريمة النهب في «دوامة» في يوم ١٧ مارس على عصابة مؤلفة من محمد رزق وآخرين، إلا أن الدلائل لم تكن كافية في هذه القضية؛ لأن الشهود على ما يظهر كانوا قد أرهبوا، فألغي الحكم فى ست قضايا وأبدل في أربع بالأشغال

الشاقة خمس سنين، وفي واحدة بالأشغال الشاقة ثلاث سنين، فأيدت هذه الأحكام وأبدلت ثلاثة أحكام بالأشغال الشاقة خمس سنين، وحكم بها ثلاث سنين، وفي قضايا شبيهة بهذه في الصالحية، وقعت حوادثها يوم ٢٣ مارس، ووقعت جريمة السلب في عزبة رزق الله شديد في يوم أول إبريل أصيب فيها المعتدى عليه بأضرار بدنية خطيرة فحكم على أخوين كنيتهما أبو سعودي بالأشغال الشاقة أحدهما ١٢ سنة والآخر ١٠ سنين، وحدث شغب شديد في سوق القنايات في يوم ١٧ مارس وأحرق في أثنائه كوخ احترقت بسببه فتاة، وقد عرف الخفراء عددا من المشاغبين، وحكم على ١٨ منهم بالأشغال الشاقة ١٠ سنين فأبدلها قائد الفيلق الخامس والسبعين العام بالأشغال الشاقة خمس سنين.

منطقة غرب الدلتا - صدرت أحكام أخرى متعلقة بقضية السلب التي وقعت في كوم الوحال المذكورة في الفقرة الأولى من هذا البيان، وقد أعاد النظر فيها قائد الفيلق الرابع والخمسين العام؛ فنقصها إلى الحكم بالأشغال الشاقة ١٢ سنة في قضية وإلى عشر سنين في ثلاث وإلى ٨ سنوات في واحدة وإلى ٦ سنين في خمس وإلى ٤ سنوات في قضيتين.

وقد ثبت على ثمانية أشخاص، أنهم دمروا محطة السكة الحديدية في سندنهور ونهبوا قطارا في يوم ١٧ مارس فحكم على خمسة منهم بالأشغال الشاقة خمس سنين وعلى الثلاثة الآخرين بالأشغال الشاقة ثلاث سنوات.

وألقــي القبض على رجلين وهما يتلفان التليفون العســكري في ناحية قويسنا في ١٠ إبريل فحكم عليهما بالأشغال الشاقة خمس ســنين، ونقصها قائد الفيلق الرابع والخمسين العام إلى ثلاث سنوات.

مديرية البحيرة: اشــترك عدد من الناس في مهاجمة نقطة مــن نقط الحكومــة على مقربة من إيتاي البــارود يوم ١٨ مارس فحكم بالأشــغال الشاقة ثلاث ســنين على أحدهم وسنتين على اثنين، وأيدت أحكام أخرى أخف من ذلك على الآخرين.

الوجــه القبلــي: دمرت خطــوط الســكة الحديدية وبعض الأملاك تدميرا بالغا في أشمنت يوم ١٨ مارس فحكم بالأشغال الشــاقة ١٠ سنين على زعيم مدمريها، وعلى آخر بست سنين، وعلى ثالث بخمس ســنين، وعلى أربعة بثلاث سنين، وبأحكام أخف من هذه على آخرين.

الميمــون فــي ٢ أبريل حــاول أحمــد أمير ارتــكاب جريمة الســلب ومهاجمة جندي فحكم عليه بالأشــغال الشــاقة خمس ســنين وبجلــده ٢٥ جلــدة فأبدل قائــد الفيلق العاشــر الحكم بالأشغال الشاقة سنتين.

ونظرت محكمة الفيوم في قضايا ٤٧ شخصا اتهموا بالشغب ومهاجمة البوليس، وبأخذ البنادق من الخفراء في أبو كســاه في يــوم ١٧ مارس فبرِّئ ١٢ وحكم علــى الآخرين بأحكام مختلفة أقصاها ثلاث سنين و ٢٠ جلدة.

منطقة بني سويف: حكم على محمد مرزوق وسيد علي عيسى بالأشغال الشاقة ١٠ سنين و ٢٠ جلدة لإطلاقهما النار على الجنود.

وحكم على بيومي وابنه توفيق؛ على الأول بالأشغال الشاقة ١٠ سنين، والثاني ٧ سنين لضربهما جنديا بالفئوس، فنقصها قائد القطر المصرى العام إلى خمس سنين على الأول وسنتين على الثاني.

طنطا: حكم على خمسة أشخاص بالأشغال الشاقة سبع سنين و ١٥ جلدة لتعطيلهم مواصلات السكة الحديدية يوم ١٥ مارس فألغى قائد الفيلق العاشر العام حكم الجلد ونقص الأشغال الشاقة إلى ثلاث سنوات.

المنيا: لم تصل إلا أنباء قضيتين، ذلك أنه حكم على جاد دياب بالأشغال الشاقة المؤبدة فنقصها قائد الفيلق العاشر العام إلى ١٥ سنة؛ وذلك لأن المتهم ألقى خطبا مهيجة، وأذاع النشرات «لليد السوداء» وحض على مهاجمة الجنود البريطانية في أبي قرقاص يوم ٢٦ أبريل، وحكم على حسين خليفة بالأشغال الشاقة خمس سنين؛ لاشتراكه في الشغب والنهب والسلب في المنيا يوم ١٦ مارس فأبدل قائد القطر المصري العام الحكم بالحبس سنتين.

أسيوط: وثبت على الباشجاويش محمد عبدالعظيم وعلى الصول سيد حجاج أن أولهما ارتكب الخيانة في الواجبات العسكرية وعلى الثاني بتحريض الجمهور على الشغب؛ فحكم

علـى الأول بالاعتقال ٨ سـنين، وعلـى الثانـى بالاعتقال أربع سـنين، ونقصها قائد الفيلق العاشـر إلى خمس سـنين بالنسبة لـلأول وسـنتين للثانـي بسـبب أنهما تصرفـا بناء علـى أوامر المأمور الذي نفذ فيه الحكم بالإعدام.

وكانـت جريمة السـلب والنهب ثبتت على ثلاثة أشـخاص في أسـيوط يوم ٢٣ مارس بشهادة المأمور والباشجاويش، ولما ثبت على هذين الأخيرين ما نسب إليهما من التهم ألغي الحكم على الثلاثة الأشخاص المتقدم ذكرها.

كوم أمبو: حكم على حامد أفندي حسين بالاعتقال ١٢ سنة نقصهـا قائد الفيلق العاشـر العام إلى خمس سـنين، وذلك أنه حرض الجمهور وهدد ضابطا بريطانيا وحاول إغراء «مراسلته» السوداني على ترك خدمته.

منفلوط: ثبت الاشتراك في الشغب على عدد من الأشخاص فـي يوم ١٨ مارس وحكم عليهـم بعقوبات مختلفة تتراوح بين الحبس سـتة أشهر والحبس ثلاث سـنين، ولقد خفف الضابط الذي صادق على هذه الأحكام كثيرا منها.

وحققـت قضيتـان أخريان مهمتـان في أسـيوط فثبت على نجيب سـري ارتكاب الخيانة في الواجبات العسـكرية؛ وذلك أنه تولى زعامة عصابة مسـلحة، وحرض على النهب والسـلب في أثناء شـهر مارس وقد كان سـلوكه خيانـة على وجه خاص؛ لأنـه كان حائزا لثقة المدير وكان أوفده إلى بعض القرى النائية فحكـم عليه بالأشـغال ١٥ سـنة، وحققت تهم مشـابهة لهذه

نسبت إلى محمود بسيوني أحد كبار المحامين بأسيوط فبرِّئت ساحته.

بورسعيد: حاول جمهور غفير مهاجمة حملة بريطانية كانت في الشارع الواقع بين حي العرب وحي الإفرنج يوم ٢١ مارس فأطلقت النار فقتل وجرح خلق، وبعد ثلاثة أيام اتهم ستة من السوريين بإصابة هؤلاء القتلى والجرحى بأن أطلقوا عليهم النار من النوافذ والبلكونات؛ ففي أربع من هذه التهم كانت الدلائل من البطلان الظاهر بحيث حفظتها النيابة، وحولت التهمتين الأخريين إلى قاض الإحالة بالزقازيق، وهنا تولت السلطة العسكرية النظر في هذه القضايا، وبعد التحقيق الدقيق قرر المستشار القضائي أن التهم باطلة بطلانا لا شك فيه؛ فأطلق سراح المتهمين، وقد برئت ساحة عدد كبير من المتهمين في خلال الوقت الذي أجملت حوادثه في هذا البلاغ.

المصادر والمراجع

سعد زغلول : [مذكرات سعد زغلول] تحقيق : د . عبدالعظيم رمضان . طبعة القاهرة ١٩٨٧م .

عبدالوهاب النجار : [الأيام الحمراء] إعداد وتحقيق : د . مصطفى الغريب محمد . تقديم : د . أحمد زكريا الشلق . طبعة دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة ٢٠١٠م .

محمد إبراهيم الجزيري : [سعد زغلول : ذكريات تاريخية طريفة] طبعة كتاب اليوم . القاهرة سبتمبر ١٩٥٤م .

محمد رشيد رضا : [تاريخ الأستاذ الإمام] طبعة القاهرة ١٩٣١م .

محمد عبدالمنعم خفاجي : [الأزهر في ألف عام] طبعة القاهرة ١٣٧٤هـ.

السيرة الذاتية
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

أولًا: السيرة الذاتية

مفكر إسلامي ومؤلف ومحقق وعضو «هيئة كبار العلماء» و«مجمع البحوث الإسلامية» بالأزهر الشريف.

ولد بريف مصر، ببلدة «صروة» مركز «قلين» محافظة «كفر الشيخ» في ٢٧ من رجب ١٣٥٠هـ، ٨ من ديسمبر ١٩٣١م في أسرة ميسورة الحال -ماديًّا-، تحترف الزراعة وملتزمة دينيًّا.

قبل مولده كان والده قد نذر لله: إذا جاء المولود ذكرًا أن يسميه محمدًا وأن يهبه للعلم الديني أي يطلب العلم في الأزهر الشريف.

حفظ القرآن وجوّده بـ«كُتّاب» القرية مع تلقي العلوم المدنية الأولية بمدرسة القرية، مرحلة التعليم الإلزامي.

في ١٣٦٤هـ، ١٩٤٥م التحق بمعهد دسوق الديني الابتدائي، التابع للجامع الأزهر الشريف، ومنه حصل على شهادة الابتدائية ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م.

وفي المرحلة الابتدائية - النصف الثاني في أربعينيات القرن العشرين - بدأت تتفتح وتنمو اهتماماته الوطنية والعربية والإسلامية والأدبية والثقافية.. فشارك في العمل الوطني - قضية استقلال مصر والقضية الفلسطينية، بالخطابة في المساجد والكتابة - نثرًا وشعرًا - وكان أول مقال نشرته له

صحيفة «مصر الفتاة» بعنوان «جهاد» عن فلسطين، في أبريل ١٩٤٨م، وتطوع للتدريب على حمل السلاح ضمن حركة مناصرة القضية الفلسطينية.. لكن لم يكن له شرف الذهاب إلى فلسطين.

في عام ١٩٤٩م التحق بمعهد طنطا الأحمدي الديني الثانوي، التابع للجامع الأزهر الشريف، ومنه حصل على الثانوية الأزهرية ١٣٧٣هـ، ١٩٥٤م.

وواصل – في مرحلة الدراسة الثانوية – اهتماماته السياسية والأدبية والثقافية ونشر شعرًا ونثرًا في صحف ومجلات «مصر الفتاة» و«منبر الشرق» و«المصري» و«الكاتب» وتطوع للتدريب على السلاح بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ في ١٩٥١م.

في ١٣٧٤هـ، ١٩٥٤م التحق بكلية دار العلوم جامعة القاهرة وفيها تخرج ونال درجة الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية ولقد تأخر تخرجه ـ بسبب نشاطه السياسي ـ إلى ١٩٦٥م بدلًا من ١٩٥٨م.

تواصل – فى مرحلة الدراسة الجامعية – نشاطه الوطني والأدبي والثقافي.. فشارك في المقاومة الشعبية بمنطقة قناة السويس، إبان مقاومة الغزو الثلاثي لمصر ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.

ونشر المقالات في صحيفة «المساء» المصرية ومجلة «الآداب» ـ البيروتية ـ وألف ونشر أول كتب عن «القومية العربية» ١٩٥٨م.

وبعد التخرج من الجامعة أعطى كل وقته – تقريبًا – وجميع جهده لمشروعه الفكري فجمع وحقق ودرس الأعمال الكاملة لأبرز أعلام اليقظة الإسلامية الحديثة رفاعة الطهطاوي، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وعبدالرحمن الكواكبي، وعلي مبارك، وقاسم أمين، وكَتب الكتب والدراسات عن أعلام التجديد الإسلامي مثل الدكتور عبدالرزاق السنهوري باشا، والشيخ محمد الغزالي، وعمر مكرم، ومصطفى كامل، وخير الدين التونسي، ورشيد رضا، وعبدالحميد بن باديس، ومحمد الخضر حسين، والشيخ محمود شلتوت.. إلخ.

ومن أعلام الصحابة الذين كتب عنهم: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأبو ذر الغفاري، وأسماء بنت أبي بكر.. كما كتب عن تيارات الفكر الإسلامي – القديمة والحديثة – وعن أعلام التراث الإسلامي مثل: غيلان الدمشقي، والحسن البصري، وعمرو بن عبيد، والنفس الزكية (محمد بن الحسن) وعلي بن محمد، والماوردي، وابن رشد (الحفيد) والعز بن عبدالسلام.. إلخ.

وتناولت كتبه – التي تجاوزت ثلاث مئة كتاب – السمات المميزة للحضارة الإسلامية، والمشروع الحضاري الإسلامي، والمواجهة مع الحضارات الغازية والمعادية، وتيارات العلمنة والتغريب وصفحات العدل الاجتماعي الإسلامي والعقلانية الإسلامية.

وحــاور وناظــر العديــد مــن أصحــاب المشــاريع الفكريــة الوافدة، وحقق عددًا من نصوص التراث الإسـلامي (القديم منه والحديث).

وكجزء من عمله العلمي ومشــروعه الفكري حصل من كلية دار العلوم، في العلوم الإسـلامية، تخصص الفلسـفة الإسلامية علــى الماجســتير ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م بأطروحــة عن «المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية» وعلى الدكتوراه ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م بأطروحة عن «الإسلام وفلسفة الحكم».

أســهم في تحرير العديد مــن الدوريات الفكرية المتخصصة وشــارك في العديــد من الندوات والمؤتمــرات العلمية في وطن العروبة وعالم الإسلام وخارجهما.. كما ساهم في تحرير العديد من الموســوعات السياســية والحضارية والعامة مثل «موسوعة السياســة» و«موســوعة الحضارة العربية» و«موسوعة الشروق» و«موسوعة المفاهيم الإسلامية» و«الموسوعة الإسلامية العامة» و«موسوعة الأعلام».. إلخ.

نال عضوية عدد من المؤسسات العلمية والفكرية والبحثية منها «المجلس الأعلى للشــئون الإسـلامية» بمصــر و«المعهد العالمــي للفكــر الإســلامي» بواشــنطن و«مركــز الدراســات الحضاريــة» بمصــر و«مجمــع البحــوث الإســلامية» بالأزهــر الشريف وهيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف.

رأس تحرير مجلة «الأزهر» أربع سنوات ١٤٣٣ - ١٤٣٦هـ.

حصل على عدد من الجوائز والأوسمة والشهادات التقديرية والدروع منها: «جائزة جمعية أصدقاء الكتاب» بلبنان ١٩٧٢م، وجائزة الدولة التشجيعية بمصر ١٩٧٦م، و«وسام العلوم والفنون» من الطبقة الأولى بمصر ١٩٧٦م، وجائزة «علي وعثمان حافظ» لمفكر العام ١٩٩٣م، و«جائزة المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية» ١٩٩٧م، و«وسام التيار القومي الإسلامي القائد المؤسس» ١٩٩٨م، وجائزة مؤسسة أحمد كانور للدراسات الإسلامية بالبحرين ٢٠٠٥م، وجائزة وسام جمال الدين الأفغاني من جمهورية أفغانستان الإسلامية في فبراير ٢٠١٧م.

جاوزت أعماله الفكرية - تأليفًا وتحقيقًا - ثلاث مئة كتاب وذلك غير ما نشر له في الصحف والمجلات.

ترجم العديد من كتبه إلى العديد من اللغات الشرقية والغربية مثل التركية والمالاوية والفارسية والأوردية والإنجليزية والفرنسية والروسية والإسبانية والألمانية والألبانية والبوسنية.

الاسم رباعيًا: محمد عمارة مصطفى عمارة.

العنوان: جمهورية مصر العربية ـ القاهرة

هاتف: ٢٢٠٥٥٦٦١ ، فاكس ٢٢٠٥٥٦٦٢

ثانيًا: ثبت بأعماله الفكرية

في دار الشروق:

١- الإسلام والمستقبل.

٢- معركة الإسلام وأصول الحكم دراسة وتحقيق.
٣- الإسلام والفنون الجميلة.
٤- الإسلام والثورة.
٥- الإسلام والعروبة.
٦- الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية.
٧- هل الإسلام هو الحل؟؟ لماذا.. وكيف؟؟
٨- سقوط الغلو العلماني.
٩- الغزو الفكري وهم أم حقيقة؟
١٠- تيارات الفكر الإسلامي.
١١- الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري.
١٢- المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية.
١٣- عندما أصبحت مصر عربية إسلامية.
١٤- العرب والتحدي.
١٥- مسلمون ثوار.
١٦- التفسير الماركسي للإسلام.
١٧- الإسلام بين التنوير والتزوير.
١٨- التيار القومي الإسلامي.
١٩- الإسلام والأمن الاجتماعي.
٢٠- الأصولية بين الغرب والإسلام.
٢١- الجامعة الإسلامية والفكرة القومية.

٢٢- جمال الدين الأفغاني: موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام.
٢٣- محمد عبده: تجديد الدنيا بتجديد الدين.
٢٤- عبدالرحمن الكواكبي: شهيد الحرية ومجدد الإسلام.
٢٥- رفاعة الطهطاوي: رائد التنوير في العصر الحديث.
٢٦- علي مبارك: مؤرخ ومهندس العمران.
٢٧- قاسم أمين: تحرير المرأة والتمدن الإسلامي.
٢٨- التحرير الإسلامي للمرأة: الرد على شبهات الغلاة.
٢٩- الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء.
٣٠- الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية.
٣١- في فقه الصراع على القدس وفلسطين.
٣٢- الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده دراسة وتحقيق.
٣٣- الأعمال الكاملة لعبدالرحمن الكواكبي دراسة وتحقيق.
٣٤- الأعمال الكاملة لقاسم أمين دراسة وتحقيق.
٣٥- الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي دراسة وتحقيق.
٣٦- رسالة التوحيد دراسة وتحقيق.
٣٧- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد دراسة وتحقيق.
٣٨- رسائل العدل والتوحيد دراسة وتحقيق.
٣٩- الإسلام وحقوق الإنسان.

٤٠- معالم المنهج الإسلامي.

في نهضة مصر:

٤١- معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام.

٤٢- الوسيط في المذاهب والمصطلحات.

٤٣- القدس الشريف: رمز الصراع وبوابة الانتصار.

٤٤- الإصلاح بالإسلام.

٤٥- الإسلام والتحديات المعاصرة.

٤٦- الإسلام في مواجهة التحديات.

٤٧- الاستقلال الحضاري.

٤٨- الغارة الجديدة على الإسلام.

٤٩- مقام العقل في الإسلام.

٥٠- الفريضة الغائبة: حوار مع ثقافة العنف.

٥١- الانتماء الحضاري: للغرب أم للإسلام؟

سلسلة (في التنوير الإسلامي):

٥٢- الصحوة الإسلامية في عيون غربية.

٥٣- الغرب والإسلام.

٥٤- أبو حيان التوحيدي.

٥٥- ابن رشد بين الغرب والإسلام.

٥٦- الانتماء الثقافي.

٥٧- التعددية: الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية.

٥٨- صراع القيم بين الغرب والإسلام.

٥٩- عندما دخلت مصر في دين الله.
٦٠- الحركات الإسلامية رؤية نقدية.
٦١- المنهاج العقلي في الدراسات العربية.
٦٢- النموذج الثقافي.
٦٣- تجديد الدنيا بتجديد الدين.
٦٤- الثوابت والمتغيرات في اليقظة الإسلامية الحديثة.
٦٥- نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم.
٦٦- التقدم والإصلاح بالتنوير الغربي أم بالتجديد الإسلامي؟
٦٧- إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين.
٦٨- الحضارات العالمية تدافع أم صراع؟
٦٩- الحملة الفرنسية في الميزان.
٧٠- الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة أم تفتيت واختراق؟
٧١- مخاطر العولمة على الهوية الثقافية.
٧٢- الغناء والموسيقى حلال أم حرام؟
٧٣- هل المسلمون أمة واحدة؟
٧٤- السنة والبدعة للشيخ الخضر حسين دراسة وتقديم.
٧٥- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان للشيخ الخضر حسين دراسة وتقديم.
٧٦- تحليل الواقع بمنهاج العاهات المزمنة.

٧٧- مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا (شهادة ألمانية).
٧٨- السنة النبوية والمعرفة الإنسانية.
٧٩- الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين.
٨٠- مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية.
٨١- السنة التشريعية وغير التشريعية مجموعة دراسات.
٨٢- شبهات حول الإسلام.
٨٣- المستقبل الاجتماعي للأمة الإسلامية.
٨٤- شبهات حول القرآن الكريم.
٨٥- أزمة العقل العربي.
٨٦- في التحرير الإسلامي للمرأة.
٨٧- روح الحضارة الإسلامية للشيخ ابن عاشور دراسة وتقديم.
٨٨- الغرب والإسلام: افتراءات لها تاريخ.
٨٩- السماحة الإسلامية.
٩٠- الشيخ عبدالرحمن الكواكبي: هل كان علمانيا؟
٩١- أزمة الفكر الإسلامي المعاصر.
٩٢- إسلامية المعرفة: ماذا تعني؟
٩٣- الإسلام وضرورة التغيير.
٩٤- النص الإسلامي بين التاريخية والاجتهاد والجمود.
٩٥- الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية.

٩٦- صلة الإِسـلام بإِصلاح المسيحية للشيخ أمين الخولي دراسة وتقديم.

٩٧- عن القرآن الكريم للشيخ أمين الخولي دراسة وتقديم.

٩٨- الإِسـلام والمـرأة في رأي الإِمـام محمد عبده دراسـة وتحقيق.

٩٩- الإِصلاح الديني في القرن العشـرين: الشيخ المراغي نموذجًا.

١٠٠- فكر التنوير بين العلمانيين والإِسلاميين.

١٠١- اجتهاد الرسـول وقضاؤه وفتواه للشـيخ جاد الحق علي جاد الحق دراسة وتقديم.

١٠٢- شبهات وإجابات حول مكانة المرأة في الإِسلام.

١٠٣- سلامة موسى: اجتهاد خاطئ أم عمالة حضارية؟

١٠٤- العالم الإِسلامي والمتغيرات الدولية.

١٠٥- عالمنا: حضارة أم حضارات؟

١٠٦- الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين.

١٠٧- السلفية: واحدة.. أم سلفيات؟

في مكتبة الإمام البخاري سلسلة «إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت»:

١٠٨- رفع الملام عن شيخ الإِسلام ابن تيمية.

١٠٩- الفارق بين الدعوة والتنصير.

١١٠- علمانية المدفع والإنجيل.
١١١- صيحة نذير من فتنة التكفير.
١١٢- مقومات الأمن الاجتماعي في الإسلام.
١١٣- في النظام السياسي الإسلامي: الخلافة والدولة المدنية.
١١٤- أضواء على الموقف الشيعي من الصحابة.
١١٥- بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية.
١١٦- القدس: أمانة عمر في انتظار صلاح الدين.
١١٧- القرآن يتحدى.
١١٨- تحرير المرأة بين الغرب والإسلام.
١١٩- في فقه المصطلحات.
١٢٠- طريق جارودي إلى الإسلام.
١٢١- صورة الإسلام في الخطاب الغربي.
١٢٢- الديانات السماوية والحروب الدينية.
١٢٣- سلامة موسى: اجتهاد خاطئ أم عمالة حضارية؟
١٢٤- الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين.
١٢٥- الحضارات العالمية: واحدة أم حضارات؟

في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية:

١٢٦- شبهات وإجابات حول القرآن الكريم.
١٢٧- شبهات وإجابات حول مكانة المرأة في الإسلام (ج ١، ٢، ٣).

١٢٨- دليل الإمام إلى تجديد الخطاب الديني وزارة الأوقاف بالاشتراك مع آخرين.

١٢٩- الإمام الأكبر الشيخ محمد شلتوت.

١٣٠- حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين.

١٣١- السلف والسلفية.

في مجمع البحوث الإسلامية:

١٣٢- ملاحظات علمية على كتاب المسيح في الإسلام ملحق مجلة الأزهر شهر صفر سنة (١٤٢٧هـ).

١٣٣- رد الأزهر على كتاب ما هي حتمية كفارة المسيح ملحق مجلة الأزهر شهر ربيع الأول (١٤٢٦هـ).

١٣٤- الرد على كتاب فصل الخطاب في تاريخ قتل ابن الخطاب.

١٣٥- تقرير علمي في الرد على المنصرين.

بالاشتراك مع آخرين:

١٣٦- قارعة سبتمبر مكتبة الشروق الدولية سنة ٢٠٠٢م.

١٣٧- الحركة الإسلامية: رؤية مستقبلية الكويت سنة ١٩٨٩م.

١٣٨- القرآن المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت سنة ١٩٧٢م.

١٣٩- محمد المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت سنة ١٩٧٢م.

١٤٠- عمر بن الخطاب المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت سنة ١٩٧٣م.

١٤١- علي بن أبي طالب المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت سنة ١٩٧٤م.

١٤٢- السنة والشيعة وحدة الدين وخلاف السياسة والتاريخ مكتبة النافذة سنة ٢٠٠٨م.

كتب نفدت.. وأدمج بعضها في كتب أخرى:

١٤٣- فجر اليقظة القومية دار الوحدة بيروت سنة ١٩٨٤م.

١٤٤- العروبة في العصر الحديث دار الوحدة بيروت سنة ١٩٨٤ م.

١٤٥- الأمة العربية وقضية الوحدة دار الوحدة بيروت سنة ١٩٨٤م.

١٤٦- ثورة الزنج دار الوحدة بيروت سنة ١٩٨٠م.

١٤٧- دراسات في الوعي بالتاريخ دار الوحدة بيروت سنة ١٩٨٠م.

١٤٨- الإسلام وقضايا العصر دار الوحدة بيروت سنة ١٩٨٤م.

١٤٩- التراث في ضوء العقل دار الوحدة بيروت سنة ١٩٨٤م.
١٥٠- الفريضة الغائبة: عرض وحوار وتقييم دار الوحدة بيروت سنة ١٩٨٣م.
١٥١- الإسلام والسلطة الدينية المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت سنة ١٩٨٠م.
١٥٢- الإسلام والوحدة القومية المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت سنة ١٩٧٩م.
١٥٣- الإسلام بين العلمانية والسلطة الدينية دار ثابت القاهرة سنة ١٩٨٢م.
١٥٤- في المشروع الحضاري الإسلامي مركز الراية جدة سنة ٢٠٠٤م.
١٥٥- الإمام محمد عبده: مشروع حضاري للإصلاح بالإسلام مكتبة الإسكندرية سنة ٢٠٠٤م.
١٥٦- محمد عبده: سيرته وأعماله دار القدس بيروت سنة ١٩٧٨م.
١٥٧- نظرة جديدة إلى التراث دار قتيبة دمشق سنة ١٩٨٨م.
١٥٨- القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب دار الفكر القاهرة سنة ١٩٥٨م.

١٥٩- ظاهرة القومية في الحضارة العربية الكويت سنة ١٩٨٣م.

١٦٠- رحلة في عالم: الدكتور محمد عمارة حوار دار الكتاب الحديث بيروت سنة ١٩٨٩م.

١٦١- نظرية الخلافة الإسلامية دار الثقافة الجديدة سنة ١٩٨٠م.

١٦٢- العدل الاجتماعي لعمر بن الخطاب دار الثقافة الجديدة سنة ١٩٧٨م.

١٦٣- الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب دار الثقافة الجديدة سنة ١٩٧٨م.

١٦٤- إسرائيل هل هي سامية؟ دار الكتاب العربي سنة ١٩٦٧م.

١٦٥- الإسلام وأصول الحكم دراسات ووثائق المؤسسة العربية بيروت سنة ١٩٧٢م.

١٦٦- الدين والدولة الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٩٧م.

١٦٧- المواجهة بين الإسلام والعلمانية مناظرة دار الآفاق الجديدة القاهرة سنة ١٤١٣هـ.

١٦٨- تهافت العلمانية مناظرة دار الآفاق الجديدة القاهرة سنة ١٤١٣هـ.

١٦٩- الشيخ الشهيد أحمد ياسين وفقه الجهاد على أرض فلسطين مركز الإعلام العربي ٢٠٠٤م.

١٧٠- القدس: أمانة عمر في انتظار صلاح الدين مركز الإعلام العربي.

١٧١- إسلامية الصراع على القدس وفلسطين مركز الإعلام العربي.

١٧٢- المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد دار المعارف سنة م.

١٧٣- الفكر القائد للثورة الإيرانية دار ثابت سنة م.

في دار السلام:

١٧٤- معالم المنهج الإسلامي.

١٧٥- المشروع الحضاري الإسلامي.

١٧٦- شخصيات لها تاريخ.

١٧٧- الإسلام وحقوق الإنسان ضرورات لا حقوق.

١٧٨- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية.

١٧٩- كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام دراسة وتحقيق.

١٨٠- الشيخ محمد الغزالي: الموقع الفكري والمعارك الفكرية.

١٨١- إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات.

١٨٢- الدكتور عبدالرزاق السنهوري: إسلامية الدولة والمدنية والقانون.

١٨٣- أكذوبة الاضطهاد الديني في مصر.

١٨٤- فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية.

١٨٥- إسلاميات السنهوري باشا ج ١، ٢.

١٨٦- الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ.

١٨٧- جمال الدين الأفغاني بين حقائق التاريخ وأكاذيب لويس عوض.

١٨٨- المنهج الإصلاحي للإمام محمد عبده.

١٨٩- محمد المصطفي المعصوم بشر يوحى إليه.

١٩٠- رد افتراءات الجابري على القرآن الكريم.

١٩١- حقائق وشبهات حول القرآن الكريم.

١٩٢- حقائق وشبهات حول السنة النبوية.

١٩٣- حقائق وشبهات حول السماحة الإسلامية وحقوق الإنسان.

١٩٤- حقائق وشبهات حول مكانة المرأة في الإسلام.

١٩٥- حقائق وشبهات حول معنى النسخ في القرآن الكريم.

١٩٦- حقائق وشبهات حول الحرب الدينية والجهاد والقتال والإرهاب.

١٩٧- حقائق وشبهات حول السنة والشيعة.

١٩٨- أبو الأعلى المودودي والصحوة الإسلامية.

١٩٩- الإسلام والتعددية: الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة.

٢٠٠- الغرب والإسلام أين الخطأ وأين الصواب؟

٢٠١- في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام.

٢٠٢- في فقه الحضارة الإسلامية.

٢٠٣- الإسلام والسياسة: الرد على شبهات العلمانيين.

٢٠٤- الطريق إلى اليقظة الإسلامية.

٢٠٥- عمر بن عبدالعزيز: ضمير الأمة وخامس الخلفاء الراشدين.

٢٠٦- الإسلام والآخر: من يعترف بمن ومن ينكر من؟

٢٠٧- العطاء الحضاري للإسلام.

٢٠٨- قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي.

٢٠٩- مفهوم الحرية في مذاهب الإسلاميين.

٢١٠- مقالات الغلو الديني واللاديني.

٢١١- التراث والمستقبل.

٢١٢- معارك العرب ضد الغزاة.

٢١٣- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال لابن رشد دراسة وتحقيق.

٢١٤- ابن رشد (فقيه الفلاسفة وفيلسوف الفقهاء)

٢١٥- مقال في السنن الإلهية الكونية والاجتماعية (رسائل الإصلاح ١)

٢١٦- الحل الإسلامي لأزمة الرأسمالية العالمية (رسائل الإصلاح ٢).

٢١٧- المؤسسية والمؤسسات في الحضارة الإسلامية (رسائل الإصلاح ٣).

٢١٨- التأويل العبثي للوحي والنبوة والدين (رسائل الإصلاح ٤).

٢١٩- افتراءات شيعية على البخاري ومسلم (رسائل الإصلاح ٥).

٢٢٠- افتراءات شيعية على عمر بن الخطاب (رسائل الإصلاح ٦).

٢٢١- القدس الشريف في الدين والتاريخ والأساطير (رسائل الإصلاح ٧).

٢٢٢- ثورة يناير وكسر حاجز الخوف (رسائل الإصلاح ٨).

٢٢٣- أضواء على محاورات الشيخ الغزالي (رسائل الإصلاح ٩).

٢٢٤- مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية (رسائل الإصلاح ١٠).

٢٢٥- إحياء الخلافة الإسلامية حقيقة أم خيال؟! (رسائل الإصلاح ١١).

٢٢٦- الدراما التاريخية وتحديات الواقع المعاصر (رسائل الإصلاح ١٢).

٢٢٧- الشيخ رشيد رضا والعلمانية والصهيونية والطائفية (رسائل الإصلاح ١٣).

٢٢٨- الشيخ البشير الإبراهيمي إمام في مدرسة الأئمة (رسائل الإصلاح ١٤).

٢٢٩- الشيخ شلتوت إمام في الاجتهاد والتجديد (رسائل الإصلاح ١٥).

٢٣٠- الشيخ المراغي والإصلاح الديني في القرن العشرين (رسائل الإصلاح ١٦).

٢٣١- الدين والدولة في الإسلام لفقيه الشريعة والقانون الدكتور عبدالرزاق السنهوري (رسائل الإصلاح ١٧).

٢٣٢- الإسلام والأقليات: الماضي والحاضر والمستقبل (رسائل الإصلاح ١٨)

٢٣٣- الدين والدولة شهادات غربية (رسائل الإصلاح ١٩).

٢٣٤- الإسلام والديانات الأخرى (رسائل الإصلاح ٢٠).

٢٣٥- احترام المقدسات بين الإسلام والآخر (رسائل الإصلاح ٢١).

٢٣٦- خيرية الأمة الإسلامية : شروط مكتسبة لا عنصرية موروثة (رسائل الإصلاح ٢٢).

٢٣٧- الإسلام والحضارة (رسائل الإصلاح ٢٣).

٢٣٨- أسباب انتشار الإسلام. شهادة غربية (رسائل الإصلاح ٢٤)

٢٣٩- عوامل امتياز الإسلام شهادة غربية (رسائل الإصلاح ٢٥).

٢٤٠- عوامل تفوق الإسلام شهادة غربية (رسائل الإصلاح ٢٦).

٢٤١- الإسلام والحضارات الأخرى (رسائل الإصلاح ٢٧).

٢٤٢- حوار الإسلام والعلمانية (رسائل الإصلاح ٢٨)

٢٤٣- السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية للعلامة الشيخ عبدالوهاب خلاف ـ دراسة وتحقيق (رسائل الإصلاح ٢٩).

٢٤٤- محمد الرسول السياسي (رسائل الإصلاح ٣٠).

٢٤٥- السلفية (رسائل الإصلاح ٣١).

٢٤٦- أمريكا... هل هي شعب الله المختار (رسائل الإصلاح ٣٢).

٢٤٧- أثر القرآن في تحرير الفكر البشري (رسائل الإصلاح ٣٣).

٢٤٨- الأزهر والشيعة.
٢٤٩- مدخل إلى السياسة الشرعية «دراسة وتحقيق».
٢٥٠- ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين «دراسة وتحقيق».
٢٥١- الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني «دراسة وتحقيق».
٢٥٢- السياسة الشرعية والفقه الإسلامي ـ للشيخ عبدالرحمن تاج ـ تقديم وتعليق.
٢٥٣- حقائق وشبهات حول الوطنية والقومية والجامعة الإسلامية.

في مكتبة وهبة:

٢٥٤- من يحمي المسيحين العرب: الغرب أم الإسلام؟
٢٥٥- الغرب والإسلام: تاريخ من الغزو والتزييف وغواية الأقليات.
٢٥٦- الاستغلال الأمريكي للأقليات.
٢٥٧- مقام العقل عند الصوفية.
٢٥٨- مقام العقل عند شيخ الإسلام ابن تيمية.
٢٥٩- الفارق بين الدعوة والتنصير.
٢٦٠- العلمانية بين الغرب والإسلام.
٢٦١- خطر النزعة التاريخية.
٢٦٢- السلف والسلفية.

٢٦٣- أشهر مناظرات القرن العشرين جـ١ ، ٢ .
٢٦٤- الأنبياء في القرآن والكتاب المقدس.
٢٦٥- الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني.
٢٦٦- هل في القرآن تناقضات؟
٢٦٧- التعارف بين الحضارات والمراجعات العلمانية.
٢٦٨- الفتنة الطائفية: متى وكيف ولماذا؟
٢٦٩- مقال في التحذير من التكفير.
٢٧٠- الفاتيكان والإسلام: أهي حماقة أم عداء له تاريخ؟
٢٧١- في المسألة القبطية حقائق وأوهام.

في دار المعارف:

٢٧٢- القرآن يتحدى.
٢٧٣- تحرير المرأة بين الغرب والإسلام.
٢٧٤- صورة الإسلام في الخطاب الغربي.
٢٧٥- مقومات الأمن الاجتماعي في الإسلام.
٢٧٦- في النظام السياسي الإسلامي.
٢٧٧- أضواء على الموقف الشيعي من الصحابة.
٢٧٨- سلامة موسى: اجتهاد خاطئ أم عمالة حضارية؟
٢٧٩- علمانية المدفع والإنجيل.
٢٨٠- في فقه المصطلحات.
٢٨١- الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين.

٢٨٢- طريق جارودي إلى الإسلام.

٢٨٣- عالمنا حضارة أم حضارات.

٢٨٤- صورتان متضادتان عند السنة والشيعة.

٢٨٥- الخطوط العريضة لدين الشيعة.

٢٨٦- في الرد على الماديين.

٢٨٧- الجهاد دفاعا عن الإسلام.

٢٨٨- ضلالة فصل الدين عن السياسة.

٢٨٩- نبي الإسلام في مرآة الفكر الغربي.

٢٩٠- التشيع الفارسي المعاصر - مركز الإعلام العربي سنة م.

في دار الفكر العربي:

٢٩١- طه حسين - من الانبهار بالغرب إلى الانتصار للإسلام «سلسلة هذا هو الإسلام».

٢٩٢- الأدلة المادية على وجود الله للشيخ الشعراوى - دراسة وتقديم.

٢٩٣- حوار الإيمان والإلحاد - دراسة وتحقيق.

٢٩٤- لماذا أنا مسلم، للشيخ عبدالمتعال الصعيدى - دراسة وتحقق.

في نيوبوك للنشر والتوزيع:

٢٩٥- روائع ابن تيمية.

٢٩٦- دراسات عن القرآن الكريم.

٢٩٧- دفاع عن القرآن ضد منتقديه.
٢٩٨- دفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره.
٢٩٩- روائع الشيخ الشعراوي.

دار البشير:

٣٠٠- الفتوحات الإسلامية: تحرير.. أم تدمير؟
٣٠١- ظاهرة الإسلاموفوبيا: الجذور التاريخية والنهايات المنتظرة.
٣٠٢- وسطية الإسلام.
٣٠٣- بماذا تقدم الأوروبيون وتأخرنا؟
٣٠٤- الشفا بتعريف حقوق المصطفى.
٣٠٥- حقيقة الإسلام وأصول الحكم.

في مفكرون للنشر والتوزيع:

٣٠٦- معالم المشروع الحضاري في فكر الشيخ الغزالي - مع سيرته الذاتية.
٣٠٧- الوشيعة في نقض عقائد الشيعة.
٣٠٨- التشيع الفارسي المعاصر - خفايا المؤامرة.
٣٠٩- نظرات في الإسلام - دراسة وتقديم.
٣١٠- العلمانية في ميزان الإسلام.
٣١١- بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني - دراسة وتقديم.

٣١٢- الدين ـ بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ـ دراسة وتقديم.

٣١٣- حاجة الإنسان إلى الدين ـ دراسة وتقديم.

٣١٤- محمد الرسالة والرسول ـ دراسة وتقديم.

٣١٥- امتياز المرأة على الرجل في الميراث والنفقة ـ دراسة وتقديم.

٣١٦- القدس بين اليهودية والإسلام.

٣١٧- في التعامل مع القرآن الكريم ـ منهج وتطبيقه ـ دراسة وتقديم.

٣١٨- التشريع الإسلامي وآثره في الفقه الغربي ـ دراسة وتقديم.

٣١٩- الاجتهاد ـ للشيخ المراغي ـ دراسة وتقديم.

٣٢٠- إسلاميات الدكتور نظمي لوقا ـ دراسة وتقديم.

في روابط:

٣٢١- موسوعة روائع الكتب الإسلامية، جـ ١، ٢، ٣، ٤.

٣٢٢- موسوعة الإسلام وقضايا العصر ـ جـ١، ٢، ٣

٣٢٣- موسوعة فقه الربا في تراثنا القديم والحديث والمعاصر.

٣٢٤- ثورة الاستقلال والوحدة الوطنية ـ هدية مجلة الأزهر شوال ١٤٤٠هـ

الفهرس

***